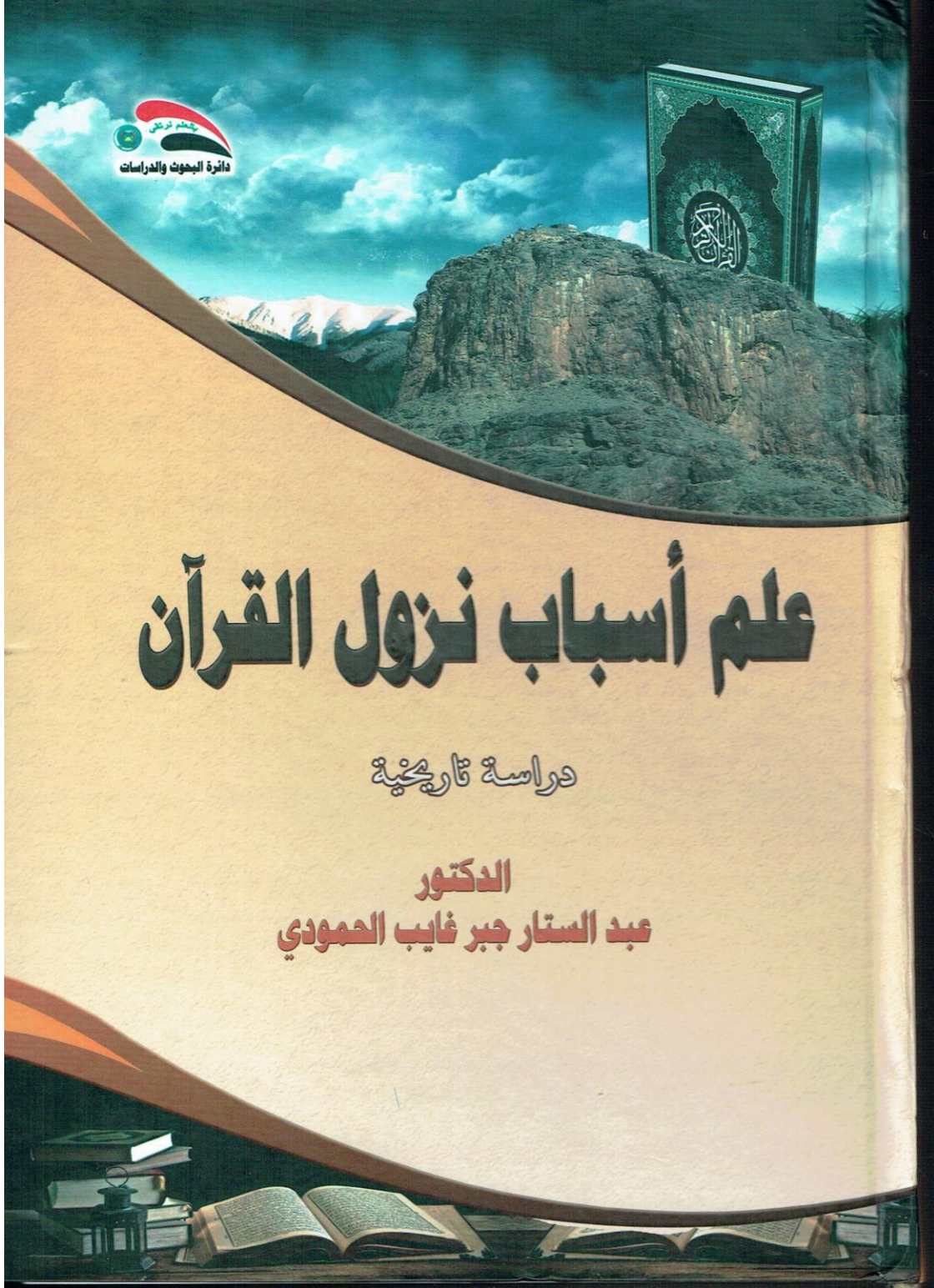




علم أسباب نزول القرآن

دراسة تاريخية

الدكتور
عبد الستار جبر فايب الحمودي





سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة
(٢٧١)

جمهورية العراق
ديوان الوقف السني
دائرة البحوث والدراسات

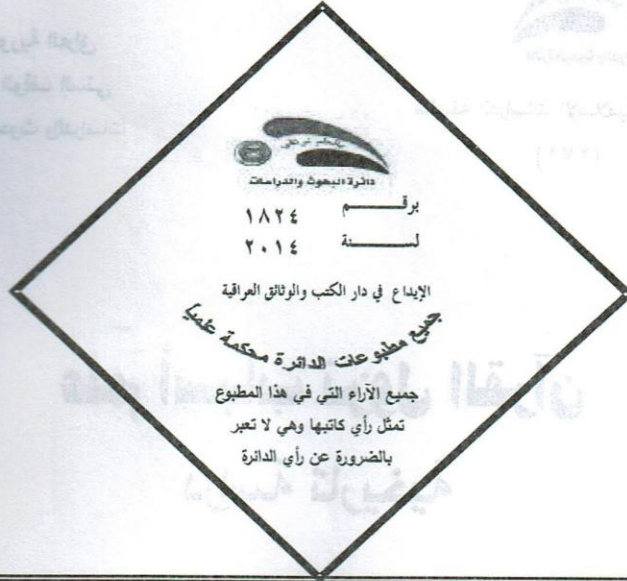
علم أسباب نزول القرآن دراسة تاريخية

الدكتور
عبد الستار جبر غايب الحمودي

٢٠١٤م

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ



٢٢٣
ح ٥٣٨

الحمودي، عبد الستار جبر غائب

علم اسباب نزول القرآن. دراسة تاريخية. _ بغداد: ديوان الوقف السني، ٢٠١٤.

ص. ٢٥ سم. (سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، ٢٧١)

١. القرآن _ اسباب نزول أ. العنوان، ب. السلسلة

العراق - بغداد - سبع أبار - ديوان الوقف السني

E.mail: mabdaw_1@yahoo.com

صندوق البريد - ٥٣٠٠٨ باب المعظم

حقوق الطبع محفوظة للمركز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ
أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا
الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ
مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

سورة الشورى: الآية / ٥٢

الإهداء

إلى سيدنا رسول الله ﷺ

القدوة الحسنة والأسوة الصالحة صاحب

المعجزة الخالدة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

التي بشر فيها بانتصار الإسلام في الملاحم في آخر الزمان

والى صحابته الكرام رضي الله عنهم جميعا الذين نقلوا لنا الشريعة بأمان

إلى الطليعة المباركة التي ستحمل عن الأمة مسؤولية الدفاع عن هذا الدين

وأهله وتبعث الأمل في كلِّ الأجيال في آخر الزمان

اهدي إليهم جميعا هذا البحث سائلا الحق تبارك وتعالى

أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وابتغاءً لمرضاته إنه نعم المولى ونعم

النصير.

الباحث

المقدمة

المقدمة

نطاق البحث وتحليل المصادر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين . اما بعد . .

فإنَّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم أنزله على النبي محمد ﷺ منجِّمًا كما أنزل قسما من آياته تبعًا للأحداث والوقائع، على مدى ثلاث وعشرين سنة قال تعالى: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦)}^(١).

وإنَّ صحابة رسول الله ﷺ شديدي الحرص لأداء الأمانة ونقل ما جاء عن رسول الله صلى عليه وسلم وكان منهم من لازم الرسول ﷺ ولم يفارقه في سفر ولا حضر، فاطلع على أسباب النزول، وكان ابن عباس رضي الله عنه صاحب النصيب الأوفر في ذلك، بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالتفقه بالدين.

ولا يحل القول في أسباب نزول القرآن إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل؛ لأنها تمثل الواقع الحي الذي نزل القرآن الكريم لعلاجه من خلال حوادث أو وقائع وأسئلة عرضت على النبي ﷺ.

وقول الصحابي في سبب النزول حكمه الرفع؛ لأنها غير خاضعة للاجتihad .

(١) سورة الاسراء آية ١٠٦ .

و إن الأمة الإسلامية أنجبت الكثير من العلماء في شتى أنواع العلوم، ومنها علم أسباب النزول الذي بدأ بروايات متفرقة لا يضمها اسم، ولا يجمعها كتاب، فلم يزل ينمو ويتطور حتى انتهى به المآل إلى الحال التي هو عليها، الآن.

وبيان سبب النزول طريق قوى في فهم معاني القرآن الكريم ولا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على واقعها، وبيان سبب نزولها، ولذلك عُدَّ العناية بأسباب النزول أمراً مهماً لمن أراد تفسير القرآن الكريم، ومعرفة تأريخ التشريع الإسلامي، ومراقبة سيره التدريجي، والوصول من وراء ذلك إلى حكمة الإسلام وسياسته في أخذه الناس بالرفق، ولما عُرِضَ على النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل رأس النفاق عبدالله ابن أبي ابن سلول قال: صلى الله عليه وسلم (وكيف يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟) ^(١)؛ لأنه ﷺ أراد الناس ان تقول: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً، وآخر يقول: "أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً" ^(٢).

(١) البخاري؛ محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط ١، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ٢٠٠١م، ٤ / ١٨٣؛ مسلم؛ مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت - لبنان، ١٩٩١م، ٤ / ١٩٩٨م .

(٢) البخاري، صحيح البخاري ٣ / ١٩٥.

وفي جواب ابن عباس -رضي الله عنه- لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ما يبين أهمية معرفة سبب النزول: إذ سأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن سر اختلاف الأمة، " فقال له: كيف تختلف هذه الأمة ونبياها واحد وقبلتها واحدة؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيم نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيم نزل فيكون لهم فيه رأي فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا فإذا اختلفوا اقتتلوا" (١).

ولأن معرفة أسباب النزول تُعين القارئ لكتاب الله تعالى على فهمه فهماً صحيحاً سليماً ويكون على بصيرة من كتاب ربه، ولولا هذا العلم لزلت الأقدام، وكبت الأفهام وبالجهل به هلك الخوارج (٢) وكان ابن عمر

(١) ابن عطية؛ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط ١ دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٢ هـ / ١ / ١٢. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، العجائب في بيان الأسباب، المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٩٩٧م / ١ / ٩٧.

(٢) الخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان، وإن أول من خرج على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه جماعة ممن كان معه في حرب صفين، وأنهم قالوا: أخطأ علي في التحكيم إذ حكم الرجال ولا حكم إلا الله، فقاتلهم علي رضي الله عنه بالنهروان مقاتلة شديدة، وطعنوا في عثمان رضي الله عنه للأحداث التي عدوها عليه، وطعنوا في أصحاب الجمل وأصحاب صفين، وكانت بدعة الخوارج في الإمامة، إذ جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش وهم أشد الناس قولا بالقياس، وجوزوا أن يكون الإمام عبداً أو حراً، أو نبطياً، أو قريشاً، وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار. (ينظر: الشهرستاني لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، ط ١، مؤسسة الحلبي / ١١٤ - ١١٧).

رضي الله عنهما يراهم شرار خلق الله وقال: "إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين"^(١) ، ولا يخلو باحث في مجال علوم القرآن خاصة، وعلوم الشريعة عامة من الاقتباس من هذا العلم ، ومعرفة الأحداث التاريخية التي حدثت في زمن الرسول ﷺ فهو مصدر مهم من مصادر السيرة النبوية و معرفة الأحوال الاجتماعية السائدة حين نزول الأحكام التشريعية ، ولمعرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن، إذ تعين على فهم الآيات التي تتحدث عنهم أو ترد عليهم ، و معرفة الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم بربط أول ما نزل منه بآخره .

والذي دعاني للكتابة في هذا الموضوع هو الحاجة الشديدة لدراسة تاريخية للمنهج القرآني في تعامل النبي ﷺ مع أهل الكتاب والمنافقين والمشركين على ضوء التربية الخاصة التي تلقاها من ربه خلال الثلاث والعشرين سنة والتي بنى بها المجتمع المثالي الأول الذي ما زال هو القمة التي تحاول البشرية أن تصل لمثله ؛ ولأن علم اسباب النزول يتعلق بكتاب الله تعالى، وشرف كل علم بشرف متعلقه، ولان الاشتغال بالعلوم الشرعية

(١) البخاري، صحيح البخاري ٩ / ١٦ .

من أفضل القربات عند الله سبحانه وتعالى لمن صلحت نيته ، وصفت سريرته والعيش في كنف كتاب الله تعالى والتعلق به ، فأرجو من الله تعالى أن يكون عملنا مساهمة في خدمة هذا العلم الجليل ، وللوصول بالبحث بعلمية صحيحة اتبعت المنهج التحليلي للروايات التي وردت في ثنايا المصادر والمراجع التي اعتمدتُ عليها في ثنايا فصول الأطروحة .

و جاءت خطة الاطروحة مرتبة على مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول وخاتمة تضمنت أهم نتائج البحث، تناولت في التمهيد تعريفاً لأسباب النزول ونشأته ، و خصصت الفصل الأول لتناول علم أسباب النزول، وصيغ معرفته، وفوائده، وجهود العلماء في تطوره، وذكر مؤلفاتهم مع دراسة كتاب الواحدي إنموذجاً ، وأمّا الفصل الثاني فكان عن اليهود من خلال مرويات أسباب النزول من المعاهدة حتى الجلاء و تحدثت في الفصل الثالث عن النصارى من خلال مرويات أسباب النزول وجدالهم الباطل في التثليث والمباهلة ،وأفردتُ الفصل الرابع للحديث عن المنافقين من خلال مرويات أسباب النزول وأذاهم لرسول الله ﷺ ولصحابته رضي الله عنهم بالإشاعات والأرجاف والتأمر ،وتناولت في الفصل الخامس والأخير الحديث عن المشركين من خلال مرويات أسباب النزول، ومكابرتهم وصددهم عن الحق، وعدائهم للإسلام وقتالهم للمسلمين .

ومع كلِّ الصعوبات والمعوقات التي واجهتني خلال البحث والكتابة ولاسيما فيما يتعلق بتوفير بعض المصادر والمراجع لكن تم تذليلها بفضل الله تعالى فالحمد لله أولاً واخراً.

تحليل المصادر:

ومن أجل الوصول إلى هدف البحث كانت الاستعانة بالله جلّ وعلا ، وبكتابه الكريم ثم اعتمدت في كتابة هذه الأطروحة على العديد من المصادر القديمة والمراجع الحديثة وهي كالاتي وبحسب أهميتها ومدى الإفادة منها:

١- كتب تفسير القرآن الكريم: لما كان موضوع الدراسة عن أسباب نزول الآيات القرآنية كان اعتمادنا على كتب التفسير بالمأثور و منها ، كتاب جامع البيان في تأويل آي القرآن ، المسمى (تفسير الطبري) الذي صنّفه ، بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) والذي أفدّت منه في فصول الإطروحة كافة ولأنه أوسع مصادر التفسير بالمأثور ،وتفسير البغوي (ت ٥١٠هـ / ١١٢٢م)والذي نقل فيه مصنّفه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم، حاوياً للصحيح من الأقوال بإسلوب عارٍ عن الغموض والتكلف في توضيح النص القرآني ، محلى بالأحاديث النبوية والآثار الغالب عليها الصحة ،الذي قال عنه ابن تيمية:«والبغوي تفسيره مختصر من الثعالبي لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعية والآراء المبتدعة» وكذلك أفدّت منه في فصول الإطروحة كافة، فضلا عن تفسير القرآن العظيم لابن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٨٦م) لما امتاز به مصنّفه من العناية بالمأثور، وتجنب الروايات الضعيفة و المنكرة وقد احتوى هذا التفسير على الكثير من الأحاديث والآثار من مصادر شتى، وقال عنه

السيوطي: لم يؤلف على نمط مثله^(١) ، يذكر الآية، ثم يذكر معناها العام، ثم يورد تفسيرها من القرآن أو من السنة أو من أقوال الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، وأحياناً يذكر كل ما يتعلق بالآية من قضايا أو أحكام وابتعد عن الإسرائيليات وغيرها .

٢- كتب الحديث النبوي الشريف: وفي مقدمتها صحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ/٨٦٨م)، وصحيح مسلم (ت ٢٦١هـ/٨٧٣م) لإجماع الأمة على صحتها وإنهما اصح كتابين بعد كتاب الله تعالى ولا يساور أي باحث التردد عندما يخرج الحديث منهما ولذلك اعتمدهما في كل فصول الأطروحة، تلاهما كتب السنن الأربعة لابن ماجه، والترمذي، والنسائي، وأبي داود، وكان حجم الافادة كبيراً في الفصول الثاني، والثالث ، والرابع ولجميع مرويات اسباب النزول التاريخية التي تخص موضوعات الفصول لإعتمادهما على الحديث النبوي الشريف.

٣- كتب السيرة : لما كانت الدراسة تختص بمرحلة السيرة النبوية المطهرة وأحداثها، كان لا بد من الإعتماد على كتب السير ، ومنها كتاب،السيرة النبوية لابن هشام ، أبي محمد عبد الملك الحميري (ت ٢١٨هـ/٨٢٨م) ، وهي اختصار لسيرة محمد بن اسحاق بن

(١) مقدمة تحقيق تفسير ابن كثير ، تحقيق سامي السلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ط٢

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ١ / ١٩ .

يسار (ت ١٥١هـ/٧٦٨م) كوئها مليئة بالأخبار والمادة التأريخية العامة، وكتاب "زاد المعاد في هدي خير العباد"، لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ/١٣٠٤م) كتاب شامل في الهدى النبوي والمغازي، ومؤلفه من الفقهاء المشهورين اشتهر بالعلم الواسع، والتثبت من حقائق السيرة النبوية اعتمده في بعض ثنايا فصول الأطروحة ، والسيرة النبوية لابن كثير أبي الفداء عماد الدين بن اسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٢٧م) ولم تخلُ الفصول الثلاثة الأخيرة من الإفادة منها.

٤ - كتب التاريخ العام: ومنها كتاب (تأريخ الرسل والملوك) لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م) ، وهو من أهم المصادر المعتمدة في التأريخ الإسلامي ، ويعول عليه في دراسة تأريخ صدر الإسلام، وقد خصص قسماً كبيراً من كتابه للسيرة النبوية، واتبع منهج الحوليات في سرد أحداث السيرة سنة بسنة. واعتمد على ابن إسحاق، وبعض مؤرخي السيرة، لكنه لا يهتم بنقد الروايات من حيث الصحة والضعف بل يسوقها بأسانيدھا تاركاً للقارئ مهمة التحقيق والترجيح ، وكتاب الكامل في التأريخ ، لابن الأثير ، أبي الحسن عز الدين علي بن ابي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) ، كون رواياته تتصل بسند تأريخي عملاً

برواية الحديث ، ويعطي رأيه في بعض الأحداث ، فضلا عن تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام" لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي(ت٧٤٨هـ/١٣٥١م)، وقد اشتمل هذا الكتاب على السيرة النبوية، ومغازي الرسول ﷺ، و جمع الذهبي كتابه من كتب عدة في السيرة النبوية، ووثقها، والذهبي مؤرخ مشهور وهو محدث، ثبت، وثقة، وكتابه مبني على نظام الحوليات فكانت الإفادة منه واضحة في فصول الإطروحة جميعها ماعدا الفصل الأول وكتاب البداية والنهاية للحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير(ت٧٧٤هـ/١٣٧٧م) وكتابة في السيرة، وله فيها جهود عظيمة، وقد خصص جزءاً كبيراً من كتابه هذا للسيرة النبوية وهو يوثق معلوماته بشكل مباشر من مصادر السيرة، ومن كتب الحديث والتراجم ، ويعوّل عليه في دراسة السيرة النبوية فكانت الإفادة منه واضحة في جميع فصول الإطروحة ماعدا الفصل الأول .

٥- تراجم الرجال والطبقات: وكتب التراجم كثيرة ولعل من أشهرها: كتاب "الطبقات الكبرى" لابن سعد(٢٣٠هـ/١٨٣٠م)، و كتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨١م) ، وكتاب "سير أعلام النبلاء" للذهبي(ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م). وكتاب "الإصابة

في تمييز الصحابة "لابن حجرالعسقلاني (ت ٨٥٢هـ/٤٥٢م) وقد أفدت منها في ترجمة سير الصحابة رضي الله عنهم وتراجم الشخصيات التي وردت في فصول الاطروحة.

٦- كتب الجغرافية والبلدان: وقد أفدت من كتب الجغرافية والبلدان في فصول الأطروحة جميعها للتعريف بأسماء البلاد والمواقع التي وردت في ثنايا الاطروحة وأبرزها كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ) ، وكتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) ، اللذان زخرا بمعلومات مفصلة عن بعض المدن، والأماكن المتعلقة بالموضوع والذي لا يستطيع أي باحث أو دارس أن يستغني عنهما لسعتهما والمأمهما الواسع .

المراجع:

تم الافادة من بعض المراجع وفي مقدمتها كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، والتفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي المفسر للآيات القرآنية من خلال مرويات اسباب النزول، وكتاب التفسير المنير لوهبة الزحيلي المعتمد على مرويات أسباب النزول في تفسيره والمسبور من التفسير بالمأثور لحكمت بن بشير بن ياسين والذي يعتمد الروايات الصحيحة والراجحة في تفسيره فكانت

أرجع إليه إذا تعددت الروايات وكذلك كتاب الصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل بن هادي الوادعي والذي التزم صحة الرواية في كتابه ، والصحيح من أسباب النزول لعصام بن عبد المحسن الحميدان ، وبحث في أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم لعبد الله بن إبراهيم الوهبي وفي مراجع التراجم كتاب الزركلي الأعلام الذي أفدت منه تعزيزا لبعض التراجم في ثنايا الأطروحة .

الرسائل والأطاريح الجامعية:

هنالك رسائل وأطاريح تناولت علم أسباب النزول من الجانب الشرعي التفسيري والفقهية ودراسات حديثة واصبحت كتب مطبوعة فأشرت إلى طبعاتها مثل أطروحة الدكتوراه لعماد الدين محمد الرشيد؛ ، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص و المحرر في أسباب النزول لخالد بن سليمان المزيني .

التصنيف

التمهيد

تعريف علم أسباب النزول لغة واصطلاحاً:

أولاً: أسباب النزول لغة:

سبب النزول مركب إضافي يتألف من كلمتين هما (السبب والنزول) ولا يوجد تعبير لغوي مركب بلفظ (أسباب النزول)، ولذا فإن المراد بالمعنى اللغوي لأسباب النزول هو معنى هذا التركيب مفرداً^(١).

ومن معاني السبب في اللغة الحبل^(٢)، ومن ذلك قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ

(١) الرشيد؛ عماد الدين محمد، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص ، دار الشهاب، دمشق، ١٩٩٩م، ص ١٧.

(٢) ينظر: ابن فارس؛ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٩٨٦م، ص ٤٥٦؛ الراغب الأصفهاني؛ أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ، ص ٢٢٠؛ الزمخشري؛ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٨م، ٤٣٢/١؛ ابن منظور؛ محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر، ١٩١٠/٣؛ الزبيدي؛ محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة الكويت، الكويت ١٩٦٥م، ٣٧/٣.

ثُمَّ لِيَقْطَعَ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ^(١) والسبب الحبل والسماء السقف أي
فليمدد حبلًا في سقفه ليقطع أي ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا^(٢).
والنزول في اللغة: هبوط الشيء ووقوعه، ونزل من علوٍّ إلى سفلٍ - انحدر،
والنزول أيضاً الحل^(٣). كقوله تعالى: {فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ}^(٤)
الْمُنذَرِينَ^(٤) حلٌّ، يقال: نزل فلان بالمدينة أي حلَّ بها.

(١) الحج: الآية: ١٥

(٢) ينظر تفسير الآية: الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل
آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، هجر للطباعة والنشر، القاهرة،
٢٠٠١م، ٤٧٨/١٦؛ الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد
الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤، ٢٦٢/٣. القرطبي؛ أبو عبد الله
محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي
الفرقان، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٦م،
٣٣٦/١٤.

(٣) الجوهري؛ إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق:
أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م، ١٨٢٩/٤؛ ابن منظور،
لسان العرب، ٤٣٩٩/٦؛ الفيروزآبادي؛ مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط،
تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ١٠٦٢.
(٤) الصافات: الآية: ١٧٧ .

ثانياً: أسباب النزول اصطلاحاً: وقد عرفه السيوطي^(١) (ت ٩١١هـ) قائلاً: "أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه"، وعرفه الزرقاني^(٢) فقال: "ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه"^(٣)، وهذا التعريف أتم من تعريف السيوطي، كما أنه يتضمن حدوداً ترسم معالم هذا الاصطلاح بدقة، أمّا قوله (ما نزلت الآية) فإنه يعني الحادثة التي وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم سواء كانت واقعة حال علق البيان الإلهي عليها ببعض الآيات، أم كانت سؤالاً وجه للنبي ﷺ فنزلت الآية أو الآيات بالجواب المناسب، أي: كل قول أو

-
- (١) أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، الاتقان في علوم القرآن، (د.ت)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٨/١.
- (٢) محمد عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة عام ١٣٦٧هـ. ينظر، الزركلي؛ خير الدين (ت ١٣٩٦هـ)، الأعلام قاموس التراجم، ط ١١، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢م، ٦/٢١٠؛ المرعشلي؛ يوسف، نثر الجواهر والدرر في أعيان القرن الرابع عشر، ط ١، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ٢٠٠٦م، ٢/١٣١٢؛ يوسف؛ محمد خير رمضان، معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم، د. ت، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٤م، ٢/٦٤٢.
- (٣) الزرقاني؛ محمد عبد العظيم (ت ١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥م، ١/٨٩.

فعل نزل بشأنه قرآن عند وقوعه^(١)، وقد تكون هذه الواقعة خصومة دبت كاختلاف الأوس والخزرج حتى أوشك الفريقان على الاقتتال، فأُنزل^(٢) الله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتْلَوْنَ عَلَيكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٣).

وما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه^(٤)، والمراد بهذا التعريف وقوع حادثة في زمن النبي ﷺ، أو توجيه سؤال إليه ﷺ، وأنزل الله تعالى آية أو آيات تبياناً لتلك الحادثة، أو جواباً عن ذلك السؤال، وقيل: "هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال"^(٥)،

(١) المزيني؛ خالد بن سليمان، المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ، ١٥٤/١.

(٢) السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٦٠.

(٣) آل عمران: الآية: ١٠١-١٠٣.

(٤) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١/٨٩.

(٥) القطان؛ مناع (ت ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، مباحث في علوم القرآن، ط١١، مكتبة وهبة، مصر، ٢٠٠٠م، ص ٧٤.

وقال صبحي الصالح^(١) "معرفة ما نزلت الآية بسببه متضمنة له أو مجيبة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه"^(٢)، وقال القطان^(٣) : "ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال"^(٤) وأن علم أسباب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، ومما سبق يتبين أنّ سبب النزول يقتصر على أمرين:

أحدهما: أن تحدث حادثة فينزل القرآن بشأنها كما روى البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت

(١) صبحي الصالح عالم إسلامي لبناني كان واسع الثقافة والإطلاع متبحر في شتى العلوم الإسلامية اغتيل عام ١٤٠٧ هـ. ينظر: يوسف؛ محمد خير رمضان، تنمة الأعلام للزركلي، ط٢، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م، ١/٢٤٢. المرعشلي؛ يوسف عقد الجواهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر، وهو ذيل على كتاب نثر الجواهر والدرر في أعيان القرن الرابع عشر، ط١، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ٢٠٠٦م، ٢/١٨٥٥.

(٢) الصالح؛ صبحي (ت ١٤٠٧ هـ)، مباحث في علوم القرآن، ط٢٤، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٥٤.

(٣) الشيخ مناع خليل القطان داعية مصلح وعالم جليل ولد بمصر عام ١٩٢٥م، غادر مصر سنة ١٩٥٣م إلى المملكة العربية السعودية للتدريس في مدارسها وكلياتها وله مؤلفات عدة توفي عام ١٩٩٩م، ينظر: المجذوب؛ محمد، علماء ومفكرون عرفتهم، د. ت، دار الشواف، القاهرة، ١٩٩٢م، ١/٤٤٧. يوسف، معجم المؤلفين المعاصرين، ٢/٧٨٦.

(٤) القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٧٤.

{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (١) خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف (يا صباحاه) فقالوا من هذا فاجتمعوا إليه فقال: (أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي) قالوا: ما جربنا عليك كذبا قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) ، قال أبو لهب : تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا ثم قام ، فنزل قوله تعالى : {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} (٣).

والثاني: أن يُسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيء فينزل القرآن ببيان الحكم فيه كما في الاسئلة عن مخالطة الايتام وعن الخمر والميسر وعن المحيض وغيرها من الاسئلة التي نزل فيها قرآن يبين حكمها، ولا يدخل في أسباب النزول ما قصه القرآن من أحوال ووقائع الأمم الغابرة، لأن أسباب النزول تختص بما نزل من القرآن بشأنه أيام وقوعه وان تكون الواقعة بعد البعثة ويكون توافق ما بين لفظي الآية النازلة، وسياق الآيات التي تسبق موضع

(١) الشعراء: آية ٢١٤ .

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ص ١٢٧٠. مسلم، صحيح مسلم ١/١٩٢؛ وينظر سبب النزول: الواحدي؛ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (ت ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن - رواية بدر الدين أبي نصر محمد بن عبد الله الأريغاني (ت ٥٢٩هـ)، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، ط ١، دار الميمان، الرياض، ٢٠٠٥م، ص ٧٥٠؛ الوادعي؛ مقبل بن هادي (ت ١٤٢٢هـ)، الصحيح المسند من أسباب النزول، مكتبة صنعاء الأثرية، ط ٢، ٢٠٠٤م، ص ٢٧٢.

(٣) سورة المسد آية ١ .

النزول وتتبعه^(١)، قال السيوطي " والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه ليخرج ما نكره الواحدي في تفسيره في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة^(٢) فإنَّ ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة نوح، وعاد، وشمود، وبناء البيت ونحو ذلك "^(٣) .

(١) المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن ١١٠٨/٢ .

(٢) ينظر الواحدي، أسباب النزول، ص ٧٣٧ .

(٣) السيوطي ، لباب النقول في أسباب النزول ص ١٣ .السيوطي ، الاتقان، ١ / ٢٠٨-٢٠٩ .

نشأة علم أسباب النزول

حين نزل جبريل على الرسول ﷺ في غار حراء بصدر سورة العلق، وحين أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يصدع بما يؤمر، وأن يعلن الدعوة إلى الإسلام امتثل الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر فدعا الناس إلى الإسلام، وأقبل من أسلم منهم على القرآن الكريم يتلونه حق التلاوة ويجتمعون في دار الأرقم بن أبي الأرقم^(١) لحفظه وتدبر آياته وكانوا عرباً خلصاً يفهمون القرآن بمقتضى السليقة العربية فإن أُشكل عليهم معنى أو غمض عليهم مرمى سأل بعضهم بعضاً، فقد يكون أحدهم أعلم من الآخر فإن أُشكل عليهم سألوا الرسول ﷺ فبينه لهم وبهذا ندرك أن علوم القرآن نشأت منذ وقت مبكر في الإسلام وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتعلمون القرآن مشافهة، ولم يعرف عنهم التدوين، لأن أغلب الصحابة

(١) الأرقم بن أبي الأرقم واسمه عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، المخزومي القرشي، أحد السابقين الأولين، أخفى النبي ﷺ في داره بمكة على الصفا، وكان من عقلاء قريش، شهد بدر، استعمله النبي ﷺ على الصدقات، توفي سنة ٥٣هـ وهو ابن خمس وثمانين؛ ينظر: أبو نعيم الأصبهاني؛ أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٣٠هـ)، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، ط ١، الرياض، ١/٣٢٢-٣٢٤. ابن عبد البر؛ أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عادل مرشد، دار الأعلام، الأردن، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٧٠-٧١. الذهبي؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١١، ١٩٩٦م، ٢/٤٧٩-٤٨٠.

رضي الله عنهم كانوا أميون لا يعرفون القراءة والكتابة وأدوات الكتابة لم تكن متوافرة عندهم^(١)، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهاهم عن كتابة شيء غير القرآن بقوله ﷺ: (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني، ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)^(٢) خشية أن يلتبس بغيره، فعن ابن مسعود^(٣) رضي الله عنه قال: "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن"^(٤). وروى أبو عبد

(١) الرومي؛ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، دراسات في علوم القرآن، ط١٢، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٣٣.

(٢) مسلم، صحيح مسلم ٤ / ٢٢٩٨ .

(٣) أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن من أكابر الصحابة وفضلائهم عقلا وقربا من رسول الله ﷺ وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الاسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة توفي سنة ٣٢ هـ. ينظر: ابن حبان؛ محمد بن حاتم البستي (ت ٣٥٤ هـ)، تأريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار، تحقيق: بوران الصناوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٨ م، ص ١٤٩. أبو نعيم، معرفة الصحابة، ٣ / ١٧٦٥. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الصحاب، ص ٤٠٧.

(٤) الطبري، جامع البيان ١ / ٧٤؛ ياسين؛ حكمت بن بشير، التفسير الصحيح - موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور -، ط١، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، المدينة المنورة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ١ / ١١

الرحمن السلمي^(١) قال: "حدثنا الذين كانوا يقرئونا: أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً"^(٢)، ويعد علم أسباب النزول من العلوم التي ارتبطت بالقرآن الكريم منذ نزوله؛ حيث إن القرآن الكريم نزل على النبي ﷺ منجماً^(٣) وقسماً

(١) أبو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب بن ربيعة مقرئ الكوفة، الإمام، العلم، من أولاد الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، قال ان والدي علمني القرآن، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قد غزا معه، وان مولده في حياة النبي ﷺ قرأ القرآن، وجوده، ومهر فيه، أخذ القراءة عرضاً عن: عثمان، وعلي، وزيد، وأبي، وابن مسعود رضي الله عنهم، وعرض عليه: الحسن، والحسين رضي الله عنهما. ينظر: ابن الجوزي؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البغدادي (ت ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٢م، ١٠١/٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٧ - ٢٧٢؛ ابن الجزري؛ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الدمشقي الشافعي (ت ٨٣٣هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٦م، ١/٣٧٠-٣٧١.

(٢) الطبري، جامع البيان ١/٧٤؛ ابن كثير؛ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الرياض، ١٩٩٩م، ٨/١.

(٣) أنزل دفعة واحدة، إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل متفرقا بحسب المصالح، مرة بعد أخرى. (الزبيدي، تاج العروس ٣٠/ ٤٧٩)

من آياته تبعًا للأحداث والوقائع^(١)، في مدى بضع وعشرين سنة ثم ربطه بالحوادث والأسباب الخاصة في كثير من سوره وآياته، ودعمه بالدليل والحجة وخاطب به العقول والضمائر، وناط به مصلحتهم وخيرهم وسعادتهم وصدر في ذلك كله عن رحمة واسعة بهم يكادون يلمسونها باليد ويرونها بالعين^(٢)! فسورة البقرة نزلت بضعة وثمانين نجما في تسع سنين من نزول الوحي المدني: ٩ سنوات، ١١ شهرا، ٢١ يوما، وإن مدة نزول الوحي على رسول الله ﷺ، كانت ثلاثة وعشرين عاما على وجه التقريب ومدة نزول الوحي في مكة ١٣ عاما، ومدة نزول الوحي في المدينة ١٠ أعوام^(٣)، لا تجد فرقا بينها وبين سورة الأنعام التي نزلت دفعة واحدة، كما^(٤) جمعت بين ما نزل في مبادئ السنة الثانية للهجرة كآيات تحويل القبلة، وآيات تشريع صوم رمضان وبين آخر القرآن

(١) ابن كثير، فضائل القرآن، تحقيق: أبو اسحاق الحويني، ط١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٦هـ، ص ١٧٥.

(٢) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن / ١ / ٣٠٤.

(٣) مقاتل؛ أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣هـ، ٥/٢٧٣ (من كلام المحقق). وينظر أيضا: الزركشي؛ بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ت)، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١/٢٢٨؛ السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ١/٢٦٨ .

(٤) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن / ٢ / ٣٤٠ .

نزولا على الإطلاق وهو آية: {وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)}^(١) التي ورد أنها نزلت قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بتسع ليالي^(٢) وفي القرآن آيات كثيرة نزلت على سبب أو أكثر، إذا جهل سببها لا يعرف حكمها، على ما سيأتي بيانه في أسباب النزول، فكم من قضية توقّف النبي ﷺ - في البتّ فيها، حتى نزل في شأنها قرآن يُتلى، فكان ما نزل فيها تقريراً شافياً، وحكماً عادلاً، لا يستطيع أحدٌ رده، ولا يسع المسلمين إلاّ قبوله والرضى به، والردّ على شبهه المشركين، ودحض حجج المبطلين؛ إحقاقاً للحقّ، وإبطالاً للباطل^(٣) أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في بضع وعشرين سنة^(٤)،

(١) سورة البقرة الآية ٢٨١ .

(٢) الطبري، جامع البيان ٥/ ٦٨؛ ياسين، الصحيح المسبور ١/ ٣٨٩.

(٣) إسماعيل؛ محمد بكر (ت ١٤٢٦هـ)، دراسات في علوم القرآن، ط٢، دار المنار، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص ٣٢-٣٣.

(٤) الطبري، جامع البيان ١٥/ ١١٥.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(١) وكانت سيرة سيرة النبي ﷺ التطبيق العملي للقرآن، وقال تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(٢).

وكان صحابة رسول الله ﷺ شديدي الحرص لأداء الأمانة ونقل ما جاء عن رسول الله صلى عليه وسلم وان إمكاناتهم رضوان الله عليهم على تفاضل فيما بينهم في مقادير ما يفهمون منه، وكما جاء عن عدي بن حاتم^(٣) رضي الله عنه قال: أخذ عدي عقلاً أبيض وعقلاً أسوداً حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبيننا، فلما أصبح قال: يا رسول الله جعلت تحت وصادتي فقال: (إن وصادك إذا لعريض أن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وصادتك)^(٤) وكان منهم من لازم الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه في سفر ولا

(١) سورة الفرقان آية ٣٣ .

(٢) سورة الإسراء آية ١٠٦ .

(٣) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي من المهاجرين يكنى أبا طريف قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان من سنة سبع، وقدم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه بصدقات قومه ومنع قومه من الردة بثبوتها على الإسلام وحسن رأيه وكان سيداً شريفاً في قومه خطيباً حاضر الجواب، فاضلاً كريماً، روى عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه قال: ما دخل وقت صلاة قط إلا وأنا أشتاق إليها، مات بالكوفة سنة ٦٧هـ. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب ص ٥٧٧-٥٨٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٤/٧-١٠. ابن حجر، الإصابة ٧/١٢٢-١٢٦.

(٤) البخاري، صحيح البخاري ٦/ ٢٦ .

حضر، فاطلع على أسباب النزول وما كان يرافق أحوال الوحي مما لم يدركه الآخرون، كل ذلك أوجد ملكة في العلم وفقه في الدين قال مسروق^(١): "جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذا -الغدير- فالإخاذا يروي الرجل، والإخاذا يروي الرجلين، والإخاذا يروي العشرة، والإخاذا يروي المائة، والإخاذا لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم"^(٢) قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾^(٣) إن نشأة هذا العلم تحتاج إلى رصد وملاحظة منذ اللبنيات

(١) مسروق بن عبد الرحمن الهمداني أبو عائشة من عباد أهل الكوفة وقرائهم توفي سنة ٦٣هـ. ينظر: الشيرازي؛ أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت ٤٧٦هـ)، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، (د.ت)، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠م، ص ٧٩؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت ٤٩/١؛ الصفدي؛ صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، ٢٥٢/٢٥.

(٢) ابن سعد؛ محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، كتاب الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م، ٢٩٦/٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ١٥٦/٣٣؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: طارق محمد عبد المنعم، د. ت، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ١٥٢/١.

(٣) سورة الرعد آية ١٧ .

الأولى التي قام عليها، وهكذا تبدأ العلوم بجزئيات متفرقة لا تحمل اسماً يميزها، وهكذا علم أسباب النزول بدأ بروايات متفرقة لا يضمها اسم، ولا يجمعها كتاب، فلم يزل ينمو ويتطور حتى انتهى به المآل إلى الحال التي هو عليها الآن، وتتبع أسباب النزول في كتب التفسير والحديث والسيرة والكتب التي تخصصت بعلم أسباب النزول كـ"أسباب النزول" للواحدي، و"لباب النقول" للسيوطي، وانتقاء منها ما صحَّ سنده، ولم يختلف العلماء في صحَّته، وذلك ليكون الربط بين سبب نزول الآيات والأحداث والوقائع مبنياً على أسس سليمة من صحة السبب، واتصال سنده روايةً، ومعرفته درايةً من الصحابة رضي الله عنهم الذين شاهدوا التنزيل، وعرفوا أسباب النزول، والظروف التي قيلت فيها الأحاديث القولية، وشهدوا الحوادث التي قضى فيها الرسول ﷺ بقضاء أو سنَّ فيها سنة، فأغناهم ذلك عن كثير مما احتاج إليه المتأخرون (١).

(١) السلمي؛ عياض بن نامي بن عوض، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله ط١: دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ص ٥.

الفصل الأول

علم أسباب النزول وصيغ وطرائق

معرفته وفوائده

وجهود العلماء في تطوره

ويتضمن مبحثين

المبحث الأول: صيغ معرفة أسباب النزول وطرقها وفوائدها

١- صيغ أسباب النزول

٢- طرائق معرفة أسباب النزول

٣- فوائد معرفة أسباب النزول

المبحث الثاني: تدوين علم أسباب النزول

١- مرحلة أفراد أسباب النزول بالتأليف

٢- عرض كتاب الواحدي انموذجاً

٣- أسباب النزول في العصر الحديث

الفصل الأول

علم أسباب النزول وصيغ وطرق معرفته

وفوائده وجهود العلماء في تطوره

المبحث الاول: صيغ معرفة أسباب النزول وطرقها وفوائدها

١- صيغ أسباب النزول :

تعتمد صيغ الروايات المتعلقة في بيان سبب النزول على عبارة الراوي تصريحاً بالنص الواضح او مايحتمل السبب وسواه^(١).

اولاً: ما كان نصاً صريحاً في السببية وله صورتان:

أن يقول الراوي: سبب نزول هذه الآية كذا^(٢)، فيصرح بلفظ السبب، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٣).

(١) ينظر: صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ص ١٤١.

(٢) المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن ١/١١٥.

(٣) سورة المائدة: الآية: ٨٣.

فعن عبد الله بن الزبير^(١) رضي الله عنه قال: نزلت^(٢) هذه الآية في النجاشي^(٣):
 ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾، أو أن يأتي الراوي بفاء تعقبية
 داخلة على مادة النزول بعد نكر حادثة أو سؤال، كما في هذه الرواية (إن رسول الله
 ﷺ قال لسعد^(٤): ألم تسمع ما

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة اشتهر بالشجاعة
 وكثرة العبادة، بويع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة انتهت بقتله وصلبه
 رضي الله عنه. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٣٩٩-٤٠٢؛ ابن الأثير الجزري؛ عز
 الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي
 محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م، ٣/٢٤١-
 ٢٤٥؛ ابن حجر، الإصابة، ٦/١٤٧-١٥٤.

(٢) النسائي؛ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد
 المنعم شلبي، ط ١، مؤسسة الرسالة - بيروت، ٢٠٠١ م، ١٠/٨٤؛ الطبري، جامع البيان
 ٨/٦٠٢؛ السيوطي، لباب النقول، ص ١٠٨.

(٣) النجاشي ملك الحبشة اسمه أصحمة كان ممن أسلم وأحسن إلى المسلمين ولم يهاجر، ولا له
 رؤية، فهو تابعي وقد توفي في حياة النبي ﷺ صلى عليه بالناس صلاة الغائب. ينظر: ابن
 الأثير، أسد الغابة، ١/٢٥٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/٤٢٨-٤٤٣؛ ابن حجر،
 الإصابة ١/٣٩٦-٣٩٩.

(٤) سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري، سيد الخزرج، يكنى أبا سالم، شهد العقبة وكان أحد النقباء
 وكان مشتهرا بالجوهر هو وأبوه وجده، وكان يحمل راية الأنصار في المعارك، توفي ببصرى في
 الشام سنة ١٦ هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ٣/٣٩٣؛ ابن عبد البر، الاستيعاب،
 ص ٢٨٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٢/٤٤١.

قال أبو الحباب؟ يريد عبد الله بن أبي، قال: كذا وكذا، فقال سعد بن عبادة: أعف عنه واصفح، فعفا عنه رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن أهل الكتابين والمشركين، فأنزل (١) الله عز وجل: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) } (٢).

(١) النسائي، السنن الكبرى ٧ / ٥٦؛ الوادعي، الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٢٣.
(٢) سورة البقرة: الآية: ١٠٩.

أو سئل النبي ﷺ عن كذا فنزلت الآية (١)، كما في قوله تعالى (٢):
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٣) روى علقمة (٤) عن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال:

(١) أبو الشيخ الأصفهاني ؛ عبد الله بن محمد بن جعفر الأصفهاني (ت ٣٦٩هـ)، أخلاق النبي
ﷺ وآدابه، تحقيق: عصام الدين سيد الصباطي، ط٢، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م،
ص ٤٢.

(٢) في هذه الآية ما يزر الخائضين في شأن الروح المتكلمين لبيان ما هيئته وإيضاح حقيقته
أبلغ زجر، ويردعهم أعظم ردع، وقد حكى بعض المحققين أن أقوال المختلفين في الروح بلغت
إلى ثمانية عشر ومائة قول، فانظر إلى هذا الفضول الفارغ والتعب العاقل عن النفع، بعد أن
علموا أن الله سبحانه قد استأثر بعلمه، ولم يطلع عليه أنبياءه، ولا أذن لهم بالسؤال عنه ولا
البحث عن حقيقته، فيا لله العجب حيث تبلغ أقوال أهل الفضول إلى هذا الحد الذي لم تبلغه
ولا بعضه في غير هذه المسألة مما أذن الله بالكلام فيه، ولم يستأثر بعلمه. ينظر: الشوكاني؛
محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم
التفسير، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء، (د.ت)،
٣٥٢/٣.

(٣) سورة الإسراء: الآية: ٨٥.

(٤) علقمة بن قيس النخعي الهمداني أحد علماء الكوفة وعبادهم، ولد في حياة النبي ﷺ وروى
الحديث عن الصحابة وشهد صفيين مع علي رضي الله عنه وغزا خراسان، سكن الكوفة وتلمذ
على يد ابن مسعود توفي سنة ٦٢هـ. ينظر: الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٧٩؛ أبو نعيم
الاصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،
١٩٨٨م، ٩٨/٢؛ الذهبي، طبقات القراء، تحقيق: أحمد خان، ط١، ١٩٩٧م، مركز الملك
فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ٢٩/١.

بيننا أنا مع النبي ﷺ في حرث، وهو متكئ على عسيب، إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي فلما نزل^(١) الوحي، قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢).

ثانياً: ما كان محتملاً للسببية ولأمر آخر وهو بيان ما تضمنته الآية من الأحكام، وصورة ذلك أن يقول الراوي: نزلت هذه الآية في كذا، أو يقول: أحسب هذه الآية نزلت في كذا، فهذه الصيغة تحتل السببية وتحتل معنى آخر وهو أن ما ذكره الراوي داخل في معنى الآية^(٣).

(١) صحيح البخاري ٨٧/٦؛ صحيح مسلم، ٢١٥٢/٤؛ الترمذي؛ محمد بن عيسى بن سوره (ت ٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٧م، ٣٠٤/٥-٣٠٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية: ٨٥.

(٣) القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٨١.

وكما روى عروة بن الزبير^(١)، قال: خاصم الزبير^(٢) رجلا من الأنصار في شريح^(٣) من الحرة، فقال النبي ﷺ: (اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك)، فقال الأنصاري: يا رسول الله، ان كان ابن عمك، فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: (اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك)، واستوعب النبي ﷺ للزبير حقه في

(١) عروة بن الزبير بن العوام القرشي أخو عبد الله بن الزبير وأمهما أسماء بنت أبي بكر أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان عالما بالدين، صالحا كريما، لم يدخل في شئ من الفتن، توفي سنة ٩٩هـ. ينظر: ابن حبان؛ أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٥م، ص ٨٢؛ ابن الجوزي؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البغدادي (ت ٥٩٧هـ) صفة الصفوة، تحقيق: طارق محمد عبد المنعم، د. ت، دار ابن خلدون، الإسكندرية ٢٩٣/١؛ الحسيني؛ أبو المحاسن محمد بن علي العلوي (ت ٧٦٥هـ)، التنكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، (د. ت)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١١٥٨/٢.

(٢) أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي الصحابي الشجاع، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من سلَّ سيفه في الإسلام، وهو ابن عمه النبي ﷺ أسلم وله اثنا عشرة سنة، كان رابعاً أو خامساً في الإسلام، وشهد بدرًا وأحداً وغيرهما، قتله ابن جرّموز غيلة يوم الجمل سنة ٣٦هـ، بوادي السباع في البصرة. ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة ١٠٤/١-١١٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٣٠٧/٢-٣١١؛ ابن حجر، الإصابة ١٧/٤-٢٣.

(٣) مجاري الماء من الحرار إلى السهل. ينظر: ابن منظور، لسان العرب ٣٠٧/٢.

صريح الحكم حين أحفظه^(١) الأنصاري، كان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك^(٢): ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾^(٣).

٢- طرق معرفة أسباب النزول:

ان الطريق إلى معرفة أسباب النزول هو النقل الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم الذين عاصروا نزول القرآن ووقفوا على أسباب نزوله، وقول الصحابي في شيء من هذا العلم من المرفوع يعد حكماً، قال ابن الصلاح^(٤): "ما قيل من أن تفسير الصحابي حديث مسند فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي أو نحو

-
- (١) المحفظات : الأمور التي تحفظ الرجل أي تغضبه و كلمة أحفظته أي أغضبته . ينظر: ابن منظور، لسان العرب ٧ / ٤٤٢ .
- (٢) البخاري، صحيح البخاري ٤٦/٦ . مسلم، صحيح مسلم، ٤/١٨٢٩-١٨٣٠؛ الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص ٣٠٢ .
- (٣) سورة النساء: الآية: ٦٥ .
- (٤) تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقہ وعلم الرجال وكانت له مشاركة في علوم عديدة توفي بدمشق سنة ٦٤٣هـ . ينظر: الذهبي، تنكرة الحفاظ، ٤/١٤٣٠؛ اليافعي؛ أبي محمد عبد الله بن أسعد المكي (ت٧٦٨هـ) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٧م ٤/٨٤؛ ابن كثير، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، ط١، دار المدار الإسلامي، بنغازي - ليبيا، ٢٠٠٤م، ٧٨٢/٢ .

ذَلِكَ" (١)، ومن هنا قال الواحدي: "ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهد التنزيل ووقف على الأسباب، وبحث عن العلم وجدَّ في الطلب، وَقَدْ ورد في الشرع بالوعيد للجاهل ذي العِثار في هذا العِلْم بالنار" (٢)، وقال الحاكم (٣) في "علوم الحديث": "إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا، فإنَّه حديث مسند" (٤)،

(١) ابن الصلاح؛ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ)، مقدمة علوم الحديث، تحقيق: نور الدين عتر، د. ت، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م، ص ٥٠.

(٢) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص ٩٦.

(٣) ابن مُحَمَّد بن حَمْدَوِيَه بن نعيم بن الحكم، أَبُو عبد الله بن البيع الْحَاكِم الصَّبِي النَّيْسَابُورِي (ت ٤٠٥ هـ)، لإمام، الحافظ، الناقد، العلامة، شيخ المحدثين، صاحب التصانيف، يَقُول: شربت ماء رَمَزَم، وَسَأَلت الله أَنْ يَرْزُقَنِي حَسَن التَّصْنِيف، فَبَلَغَت تصانيفه فِي أَيدي النَّاس ألفاً وَخَمْس مئة جُزء، الْحَافِظ الَّذِي لَا يَسْتَعْنَى عَن تصانيفه فِي الْحَدِيث وَعَلِمه. ينظر: ابن عبد الهادي؛ أبي عبد الله محمد بن أحمد الصالحي (ت ٧٤٤هـ)، طبقات علماء الحديث، مؤسسة الرسالة، تحقيق: أكرم البورشي وإبراهيم الزبيق، بيروت، ط ٢، ١٩٩٦م، ٢٣٧/٣؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ ١٠٣٩/٣؛ ابن حجر، لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط ١، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢م، ٢٥٧/٧.

(٤) الحاكم؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، معرفة علوم الحديث، تحقيق: أحمد بن فارس سلوم، ط ١، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣م، ص ١٤٩.

وقال ابن سيرين^(١): سألت عبيدة السلماني^(٢) عن آية من القرآن فقال: "اتق الله وقل سداداً ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن"^(٣).

ولهذا ورد الوعيد لمن قال في القرآن أو أسباب نزوله بغير علم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (اتقوا الحديث إلا ما علمتم فإنه من كذب علي متعمداً فليتبوا مقعده من النار، ومن كذب على القرآن من غير علم فليتبوا مقعده من النار)^(٤)، وإذا كان طريق

(١) محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر بن أبي عمرة، مولى أنس بن مالك، ثقة مأمون، إمام كثير العلم والورع، مشهور بتعبير الرؤيا، توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٢/٩؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة ٦١٦/٢؛ ابن عبد الهادي، طبقات علماء الحديث، ١٥١/١.

(٢) عبيدة بن عمرو ويقال ابن قيس بن عمرو السلماني المرادي، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ولم يلقه، توفي بالكوفة سنة ٧٢هـ وقيل ٧٣هـ. ينظر: ابن حبان، الثقات، ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد - الدكن، ١٩٧٣م، ١٣٩/٥. الحسيني، التنكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة، ١١٢٣/٢؛ الذهبي، تنكرة الحفاظ، ٥٠/١.

(٣) أبو عبيدة، فضائل القرآن ٢١٣/٢. سعيد ابن منصور (ت ٢٢٧هـ)، سنن سعيد بن منصور، تحقيق: سعد بن عبد الله آل حميد، ط ١، دار الصميدعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الرياض، ١٩٩٣م، ١٨٥/١؛ ابن أبي شيبه؛ أبو بكر عبد الله بن محمد ابن إبراهيم (ت ٢٣٥هـ)، المصنف، تحقيق: أسامة بن إبراهيم بن محمد، ط ١، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م، ٤٢/١٠.

(٤) ابن حنبل؛ أحمد بن محمد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ١٥٥/٥. أبو يعلى؛ أحمد بن علي بن المثنى الموصلي (ت ٣٠٧هـ)، مسند أبي يعلى، تحقيق: ارشاد الحق الأثري، ط ١، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ١٩٨٨م، ١٠/٣.

معرفة أسباب النزول النقل الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم فإنه إذا روى سبب النزول عن الصحابي وصحَّ وكانت صيغته صريحة في السببية فهو مقبول، وحكمه حكم الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ؛ لأنَّ قول الصحابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه حكمه حكم المرفوع إلى النبي ﷺ.

قال ابن تيمية: "وقد تنازع العلماء في قول صاحب: "نزلت هذه الآية في كذا" هل يجري مجرى المسند - أي المرفوع إلى النبي ﷺ - كما لو ذكر السبب أنزلت لأجله، أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند، فالبخاري يدخله في المسند، وغيره لا يدخله في المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره، بخلاف ما إذا ذكر سبباً نزلت عقبه فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند"^(١)، فالحاصل أن قول الصحابي في سبب النزول إذا كان بصيغة صريحة في السببية فهو في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، وإذا كان بالصيغة المحتملة فهو في حكم الموقوف، وأما قول التابعي في سبب النزول فإن كان بالصيغة الصريحة فقد عدّه السيوطي مرفوعاً أيضاً ولكنه مرسل، وقد يقبل إذا صح المسند إليه،

(١) ابن تيمية؛ تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني (ت ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية - المنصورة، ط ٣، ٢٠٠٥م، ١٣/١٨٢.

وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة رضي الله عنهم واعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك^(١).

٣ - فوائد معرفة اسباب النزول:

معرفة أسباب نزول القرآن مهمة جداً، لا يستغني عنها المتدبر لكلام الله تعالى، وان لهذا العلم فوائد كثيرة^(٢)، منها:

أولاً: أن معرفة أسباب النزول تُعين القارئ لكتاب الله تعالى على فهمه فهماً صحيحاً سليماً، وذلك أن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبب ويُعين على فهم الآية، ويدفع الإشكال عنها، ويكشف الغموض الذي يكتنف تفسيرها، وقال ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"^(٣)، ولهذا قال الواحدي عن سبب تأليفه كتاب أسباب نزول القرآن للمتعلمين: "قال الأمر بنا إلى إفادة المبتدئين بعلوم الكتاب، إبانة ما أنزل فيه من الأسباب، إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها وأولى ما تصرف العناية إليها؛ لامتناع معرفة تفصيل الآية وقصد سبيلها، من دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"^(٤)، وقال ابن دقيق العيد^(٥):

(١) الانتان في علوم القرآن ٢٠٩/١ ولباب النقول، ص ٩.

(٢) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ١١٠.

(٣) مجموع الفتاوى، ١٣/١٨١.

(٤) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص ٩٥-٩٦.

(٥) تقي الدين محمد بن علي بن وهب القشيري يعرف بابن دقيق العيد إمام في الفقه والأصول متقن في الحديث تولى القضاء بمصر توفي بالقاهرة سنة ٧٠٢هـ. ينظر: ابن عبد الهادي، طبقات علماء الحديث، ٤/٢٦٥؛ الكتبي؛ محمد بن شاکر (ت ٧٦٤ هـ)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، د. ت، دار صادر، بيروت، ٤/٤٤٢؛ ابن كثير، طبقات الشافعية، ٢/٨٥٩.

"بيان سبب الآية طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز"^(١).
 ثانياً: أنها تُيسِّرُ حفظ كتاب الله عزَّوجل وتُنَبِّتُ معناه؛ لأنَّ ربط الأحكام بالحوادث والأشخاص والأزمنة والأمكنة يساعد على استقرار المعلومة وتركيزها^(٢).
 ثالثاً: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومن المعلوم أن هناك من الآيات ما يصعب فهم المراد منها، ويقع الخطأ في تفسيرها في حال الجهل بأسباب نزولها، فيزداد المؤمن إيماناً، وتسوق الكافر إلى الإيمان والتصديق كما في تحريم الخمر وما نزل فيه^(٣).
 رابعاً: دفع توهم الحصر، عمّا يفيد بظاهره الحصر. قال الإمام الشافعي^(٤) : ما معناه في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى

(١) ابن دقيق العيد؛ تقي الدين محمد بن علي (ت ٧٠٢ هـ)، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٦٤٣.

(٢) الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ١ / ١١٣ .

(٣) الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ١ / ١٠٩ .

(٤) محمد بن إدريس بن العباس بن شافع بن السائب بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب المطلبي أبو عبد الله الشافعي، أحد الأئمة الأربعة وهو أول من أظهر أصول علم الفقه ولد في غزة وحمل منها طفلاً إلى مكة ونشأ بالبادية وتعلم الشعر والفروسية: تفقه على مالك بالمدينة وذهب إلى بغداد مرتين تم قصد مصر وتوفى بها عام (٢٠٤ هـ). ينظر: الخطيب البغدادي؛ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ)، تأريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ٢/٣٩٢-٤١٤؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٧١-٧٣؛ ابن كثير، طبقات الشافعية ١/١٧-١١٠.

طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلٍ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ
اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(١).

إنَّ الكفارَ لَمَّا حرموا ما أحلَّ اللهُ وأحلوا ما حرم اللهُ، وكانوا على المضادة والمحاددة، فجاءت الآية مناقضة لغرضهم، فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه، ولا حرام إلا ما أحللتموه، نازلاً منزلة من يقول: لا تأكل اليوم حلاوة، فتقول: لا آكل اليوم إلا الحلاوة. والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة، فكأنه تعالى، قال: لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، ولم يقصد حل ما وراءه، إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل^(٢).

خامساً: تخصيص الحكم بالسبب، عند من يرى أنَّ العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ^(٣) مثال ذلك: آيات الظهار في مفتتح سورة المجادلة وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ

(١) سورة الأنعام: الآية: ١٤٥.

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن ٢٣/١؛ الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ١١٢/١.

(٣) ينظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن ١٠٨/١-١١٠؛ الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ٨٣/١-٨٦.

أُمَّهَاتِهِمْ إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي وَلِدْنِهِمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ (٢)
 وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ تَوْعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ
 سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١) وبالرجوع إلى
 مَصَادِرَ أَسْبَابِ النُّزُولِ وَالَّتِي تَتَاوَلَّتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ، وَبَيَّنَّتْ سَبَبَهَا أَنَّ أَوْسَ بْنَ الصَّامِتِ
^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظَاهِرٌ مِنْ زَوْجَتِهِ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ^(٣)، وَالْحُكْمَ الَّذِي تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ
 الْآيَاتُ خَاصٌّ بِهِمَا وَ أَنَّه لَا يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ الْمَقْصُودِ بِهَذَا الْحُكْمِ أَوْ الْقِيَاسِ عَلَيْهِ إِلَّا إِذَا
 عُلِمَ السَّبَبُ، وَبِدُونِ

(١) سورة المجادلة: الآيات: ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٢) أوس بن الصامت بن قيس من بني عمرو بن عوف من الخزرج أخو عبادة بن الصامت
 شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وتوفى بالمدينة في خلافة عثمان بن عفان وله
 خمس وثمانون سنة. ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ٢٥؛ ابن الأثير، أسد
 الغابة ٣١٤/١؛ الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، (د. ت)، دار المعرفة للطباعة والنشر،
 بيروت - لبنان، ٣٦/١ .

(٣) خولة بنت ثعلبة وقيل خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم الأنصارية الخزرجية صحابية هي
 التي ظاهرها منها زوجها فنزل فيها قوله تعالى {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي
 إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (١) {سورة المجادلة آية ١}، زوجها هو
 أوس بن الصامت. ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة ٣٣١٠/٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب،
 ص ٨٩٣؛ ابن حجر، الإصابة ٣٤٠/١٣ .

معرفة السبب تعد الآية معطلة عن بيان الحكم^(١)، وحتى يصبح قارئ كتاب الله والمفسر على علم ودراية بأسباب النزول؛ وعلى بصيرة من كتاب ربه، فيفهمه فهماً صحيحاً سليماً، أما إذا لم يكن على معرفة وبينة من تلك الأسباب فربما فهمه على غير ما قُصد منه، فيكون قد أخطأ من حيث أراد الصواب، ومثال ذلك ما نقله لنا القرآن العظيم عن الجانب الديني عند العرب قبل الاسلام، وهو قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩)}^(٢) فهذه الآية نزلت لأبطال عادة اتخذوها ديناً في الجاهلية ولا يستقيم فهمها فهماً صحيحاً إلا في ضوء معرفة سبب نزولها، وكما جاء في سبب نزولها، ما رواه البخاري في "صحيحه" من حديث البراء^(٣) رضي الله عنه أنه قال: (كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره^(٤)، فأنزل الله

(١) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ١/٩٤.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٨٩ .

(٣) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري شهد أحداً وما بعدها مع النبي ﷺ روى أكثر من ثلاثمائة حديث سكن الكوفة ومات بها سنة ٧٢هـ. ينظر: ابن حبان، تاريخ الصحابة، ص ٤٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٨٠؛ ابن حجر، الإصابة، ١/٥١٩.

(٤) البخاري، صحيح البخاري ٦/٢٦؛ وينظر في سبب نزول الآية الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص ١٦٢-١٦٣؛ ابن حجر، العجائب في بيان الأسباب، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط ١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٧م، ١/٤٥٥.

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾^(١).
ونظراً لأهمية العلم بأسباب النزول فقد تحدث عنه العلماء الذين أفردوا مؤلفات خاصة بعلم
القرآن، وفي مقدمتهم الإمام بدر الدين الزركشي^(٢) في كتابه "البرهان في علوم القرآن"^(٣)، وجمال
الدين السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن"^(٤)، وكل الذين ألفوا كتباً في علوم القرآن من
المعاصرين خصوصاً فصلاً خاصاً عن (علم أسباب النزول) في مؤلفاتهم، مثل عبد العظيم
الزرقاني في "مناهل العرفان"^(٥)،

(١) سورة البقرة آية ١٨٩ .

(٢) بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي التركي الأصل المصري الموطن عالم بالفقهِ والأصول والحديث له مصنفات عدة توفي بالقاهرة سنة ٧٩٤هـ. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (د. ت)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م، ٣/٣٩٧؛ ابن تغري بردي؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٢م، ١٢/١٠٣؛ ابن العماد، شذرات الذهب ٨/٥٧٢.

(٣) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن ١/٢٢-٣٤.

(٤) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ١/١٨٩ وما بعدها.

(٥) ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان للزرقاني، ١/٨٩-١١٣.

ومحمد عزة دروزة^(١) في كتابه "القرآن المجيد تنزيله وأسلوبه"^(٢)، وصبحي الصالح في كتابه "مباحث في علوم القرآن"^(٣)، والشيخ مناع القطان في كتابه "مباحث في علوم القرآن"^(٤)، وغيرهم من العلماء المعاصرين ممن كتبوا في علوم القرآن.

المبحث الثاني

تدوين علم اسباب النزول

ارتبط علم أسباب النزول منذ بداياته الأولى بالوحي الإلهي الذي كان ينزل به جبريل عليه السلام من رب العالمين عز وجل على النبي ﷺ إثر حادثة تحدث، أو سؤالٍ يسأل، أو مقالةٍ تقال، أو شكاية ترفع فينزل الوحي لبيان هذا الأمر الطارئ بآيات من القرآن لبيان حكمها أو لحكايتها أو إنكارها^(٥)، فكانت حياته ﷺ ترجمة فعلية

-
- (١) محمد عزة دروزة باحث ومؤرخ وموسوعي فلسطيني ولد في نابلس ساهم في تأسيس حزب الاستقلال عام ١٩٣٦م، وقد سجن غير مرة، له عدة مؤلفات منها كتاب في التفسير يسمى "التفسير الحديث" توفي بدمشق سنة ١٤٠٤هـ. ينظر: يوسف، تنمة الأعلام للزركلي، ١٩٦٢/٢؛ المرعشلي، عقد الجواهر، ٢٠٩٥/٢.
- (٢) ينظر: دروزة؛ محمد عزة (ت ١٤٠٤ هـ)، القرآن المجيد تنزيله وأسلوبه، (د.ت)، منشورات المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ص ٢١٧ - ٢٢٤.
- (٣) ينظر: الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ٥٥.
- (٤) ينظر: القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٧١-٩٤.
- (٥) ابن عاشور؛ محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت ١٣٩٣ هـ)، التحرير والتنوير، (د.ت)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ١/ ٤٦.

حية للقرآن الكريم، فقد كان ﷺ كما قالت عنه ام المؤمنين عائشة^(١) رضي الله عنها: (كان خلقه القرآن)^(٢)، أو كان قرآنا يمشي على الأرض، وإن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين صاحبوا النبي ﷺ والوحي ينزل عليه فعرفوا أسباب النزول، وأدركوا ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، تعين على فهم كثير من الآيات^(٣) فيحفظ ذلك من حضره من أصحاب النبي ﷺ ويكون ذلك من جملة العلم الذي تلقوه عن نبيهم ﷺ لكنه يتميز بأنه أمر حادث يعقبه وحي إلهي ينزل، ويحفظ في الصدور، حيث لم تكن الكتابة آنذاك أسلوباً مستعملاً لعامة الناس، فالصحابه رضي الله عنهم عرب خُص أميون لا يقرؤون ولا يكتبون إلا النفر القليل، فكل اعتمادهم على ملكاتهم في الحفظ، وقوة شأنهم فيه، وعبر عن ذلك حالهم في الجاهلية فقد حفظوا أنسابهم، ومناقبهم، وأشعارهم، وخطبهم، فكانت

-
- (١) أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق أفضه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب، تزوجها النبي ﷺ في السنة الثانية بعد الهجرة وهي بكر وتوفيت سنة ٥٨هـ. ينظر: ابن حبان، تاريخ الصحابة ص ٢٠١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٩١٨؛ الزركشي؛ بدر الدين (ت ٧٩٤هـ)، الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة، تحقيق وتخريج: رفعت فوزي عبد المطلب، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣٤ - ٣٥ .
- (٢) أحمد، مسند الإمام أحمد ١٤٨/٤١-١٤٩؛ الطبراني؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، ط ١، دار الحرمين للطباعة والنشر والإعلان، القاهرة، ١٩٩٥م، ٣٠/١.
- (٣) مقاتل بن سليمان ، تفسير مقاتل ٧ / ٥ (من كلام المحقق).

هذه الصدور الحافظة مهذاً لآي الذكر الحكيم، وكانت هذه القلوب الواعية أوعية لحديث النبي الكريم ﷺ^(١)، ولقد عني الصحابة رضوان الله عليهم بهذا العلم الشريف عنايةً فائقة؛ وذلك حرصاً منهم على فهم القرآن، وربط الآيات بأسبابها التي نزلت فيها مما يوضح المعنى، ويرفع الإشكال، ولقد برع في هذا العلم جمعٌ من الصحابة رضي الله عنهم؛ وكما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال: "والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت؟ وأين نزلت؟ إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤلًا"^(٢)، وقال في حديث آخر وهو على المنبر: "سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليلاً نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل"^(٣)، والنصوص في ذلك كثيرة كلها تثبت أنّ الصحابة رضوان الله عليهم لم يكتفوا بحفظ نصوص القرآن الكريم فحسب بل حفظوا معها علومه ومعارفه، و قال ابن مسعود رضي الله عنه في خطبة خطبها "والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ - إني من أعلمهم بكتاب الله"^(٤)، وقال في حديث آخر " والذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ولا أنزلت

(١) أبو زهو؛ محمد محمد (ت ١٤٠٣هـ)، الحديث والمحدثون، ط ٢، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية - الرياض، ١٩٨٤م، ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) ابن حجر، العجاب في بيان الأسباب ١ / ١٠٤.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٣٩٨؛ ابن حجر، فتح الباري ٨ / ٥٩٩.

(٤) البخاري، صحيح البخاري ٦ / ١٨٦.

آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه" (١).

وبرز من الصحابة رضوان الله عليهم ممن لهم علم ورواية لأسباب نزول القرآن ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وغيرهم من صحابة رسول الله ﷺ الذين شهدوا التنزيل، وعرفوا أسباب النزول للآيات، ومواضع نزولها؛ لأن هذا العلم قائم على الرواية والسماع، ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب (٢) ونقل هذا العلم بطريق التلقي والحفظ في الصدور فكان التابعون يقصدون أصحاب النبي ﷺ لأخذ العلم فعن الحسن (٣) أنه قال " ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم فيم أنزلت وما أراد بها" (٤)، وهو يشير إلى تعلم

(١) مسلم، صحيح مسلم ١٩١٣/٣.

(٢) الواحدي، أسباب النزول، ص ٩٦. وينظر مقدمة ابن حجر في كتابه العجائب في بيان الأسباب ص ٥٥.

(٣) أبو سعيد الحسن بن يسار البصري مولى زيد بن ثابت الأنصاري وكانت أمه خيرة مولاة لأم المؤمنين أم سلمة، تابعي جليل، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه، ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب وسكن البصرة. وعظمت هيئته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة، توفي رحمه الله سنة ١١٠ هـ. ينظر: أبو نعيم، حلية الأولياء ١٣١/٢؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٨٧. الذهبي، طبقات القراء ٤٦/١.

(٤) أبو عبيد، فضائل القرآن ٢٧٦/١؛ ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٧٩/١٣؛ الشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط ١، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الخبر، ١٩٩٧م، ٤/١٥٣.

علم أسباب النزول، واشتهر لبعض الصحابة رضي الله عنهم رواة وتلاميذ يأخذون عنهم ويروون علمهم^(١)، وأبرزهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وتلاميذه زر بن حبيش^(٢) وأبو وائل شقيق بن سلمة^(٣)،

-
- (١) ينظر: الرومي، دراسات في علوم القرآن، ص ٣٢ - ٣٧.
- (٢) زر بن حبيش الأسدي أدرك الجاهلية ولا صحبة له كان فاضلاً عالماً بالقرآن والعربية سكن الكوفة وعاش مائة وعشرون سنة توفي سنة ٨٧هـ. ينظر: المزي؛ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن (ت ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م، ٣٣٥/٩؛ مغلطاي؛ علاء الدين بن قليط (ت ٧٦٢هـ)، الإنابة إلى معرفة المختلف فيهم من الصحابة، تحقيق: عزت المرسي وآخرون، مطبعة الرشد، (الرياض، د. ت)، ٢٢٢/١؛ الحسيني، التذكرة بمعرفة رجال العشرة ٥٠٨/١.
- (٣) أبو وائل شقيق بن سلمة أدرك النبي ﷺ وليست له صحبة عالم بالحديث سكن الكوفة وكان من عبادها، توفي سنة ٨٣هـ. ينظر: ابن أبي حاتم؛ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، الجرح والتعديل، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن - الهند، ط ١، ١٩٥٣م، ٣٧١/٤؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ١٢٤؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٥١٠/٢.

وعلقمة بن قيس، والأسود^(١)، وغيرهم، وعبد الله بن عباس رضي الله عنه وتلاميذه
سعيد بن جبير^(٢)، وعطاء بن أبي رباح^(٣)،

-
- (١) الأسود بن يزيد بن قيس النخعي كان صواماً قواماً فقيهاً زاهداً كان عالم الكوفة في عصره
توفي سنة ٧٥هـ. ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، تحقيق: هاشم الندوي، د. ت، دائرة المعارف
العثمانية، حيدرآباد الدكن، ١٣٦٠هـ، ٤٤٩/١؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار،
ص ١٢٦؛ ابن حجر؛ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تهذيب
التهذيب، تحقيق: إبراهيم الزبيق وعادل مرشد، (د. ت)، مؤسسة الرسالة، ١٧٣/١.
- (٢) سعيد بن جبير بن هشام مولى بني أسد من عباد المكيين وفقهاء التابعين أحد العلماء في
التفسير قتله الحجاج سنة ٩٤هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٧١/٢؛ الحسيني،
التنكرة بمعرفة رجال العشرة، ٥٧٦/١؛ الداودي؛ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد
(ت ٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٩٨٣م، ١٨١/١.
- (٣) عطاء بن أبي رباح مولى آل أبي خثيم، من سادات التابعين في مكة في الفقه والورع كان
أسود أعور أشل أعرج ثم عمي في آخر عمره توفي سنة ١٠٢هـ وقيل ١٠٣هـ. ينظر: ابن
حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ١٠٦؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٦٩؛ ابن الجوزي،
صفة الصفوة، ٣٥٠/١.

ومجاهد ابن جبر^(١)، وطاووس بن كيسان اليماني^(٢) وغيرهم، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتلاميذها كمسروق، وعروة بن الزبير، وأبي سلمة بن عبد الرحمن^(٣) وغيرهم، وان مرويات اسباب النزول كانت من ضمن مرويات اهل الحديث وكان التدوين على نحو محدود في عهد النبي ﷺ وقد كتب رسول الله ﷺ كتابا لعمر بن حزم^(٤) إلى أهل اليمن^(٥)،

(١) مجاهد بن جبر مولى عبد الله بن السائب عالم في التفسير والفقہ مع الورع والزهد والعبادة توفي سنة ١٠٢هـ وقيل ١٠٣هـ. ينظر: الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٦٩؛ المزي، تهذيب الكمال، ٢٢٨/٢٧؛ الأدنه وي؛ أحمد بن محمد (من علماء القرن الحادي عشر هجري)، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٩٧م، ص ١١.

(٢) طاووس بن كيسان الهمداني الخولاني من فقهاء أهل اليمن وعبادهم وخيار التابعين توفي سنة ١٠١هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥٠٩/٢؛ أبو نعيم، حلية الأولياء ٣/٤؛ الحسيني، التذكرة بمعرفة رجال العشرة، ٧٦٥/٢.

(٣) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف من أفاضل قريش وعبادهم وفقهاءهم توفي سنة ١٠٤هـ. ينظر: الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٦١؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٦٣/١؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٥٣١/٤.

(٤) عمرو بن حزم بن زيد الأنصاري شهد الخندق وهو ابن خمسة عشرة استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على نجران وهو ابن سبع عشرة سنة توفي سنة ٥١هـ. ينظر: ابن حبان، تاريخ الصحابة، ص ١٧٤؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٥٠٠؛ ابن حجر، الإصابة، ٣٥٩/٧.

(٥) ينظر نص كتاب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن: ابن حبان، الثقات ١٠٦/٢. الطبراني، الأحاديث الطوال، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق، ١٩٩٨م، ص ١٣٣-١٣٥. الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق وتعليق: مقبل الوداعي، ط١، دار الحرمين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٧م، ١/٥٥٠-٥٥٢.

وامر الصحابة رضي الله عنهم أن يكتبوا لأبي شاه^(١)، وفي عهد الصحابة رضي الله عنهم فقد كتب أبو بكر لأنس بن مالك^(٢) رضي الله عنهم كتاباً في شأن زكاة بهيمة الأنعام^(٣)، واستمرت الحال كذلك على نحو فردي، حتى جاء الخليفة عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى وكتب إلى عامله وقاضيه على المدينة أبي بكر بن محمد بن حزم^(٤): "انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإني خفت دروس

-
- (١) أبو شاه اليماني يقال أنه كلبى ويقال أنه فارسي قد ورد ذكره في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ حين ذكر حُرمة مكة، فقال: (لا يخلتلى خلالها ولا يعضد شجرها)، فقال أبو شاه: اكتب لي يا رسول الله، فقال: (اكتبوا لأبي شاه). ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة ٦٠٦/٢؛ الذهبي، تجريد أسماء الصحابة ١٧٦/٢؛ ابن حجر، الإصابة، ٣٤١/١٢.
- (٢) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين صحابي مشهور توفي بالبصرة سنة ٩٢ هـ وقيل ٩٣ هـ وقيل غير ذلك. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٩٤/١؛ النووي؛ محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، (بيروت د. ت) ١٢٧/١؛ والصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٣٤/٩.
- (٣) ينظر نص الكتاب: صحيح البخاري ١١٧/٢-١١٨؛ ابن ماجه؛ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، د. ت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ٥٧٥/١؛ الطبراني، الأحاديث الطوال، ص ١٣٨-١٤٠.
- (٤) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الخزرجي الأنصاري من سادات التابعين، قاضي المدينة وأميرها إشتهر بالعبادة والتهجد، توفي سنة ١٢٠ هـ. ينظر: وكيع؛ محمد بن خلف ابن حبان (ت ٣٠٦ هـ)، أخبار القضاة، تحقيق: محمد سعد اللحام، د. ت، عالم الكتب، ص ٩٣. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ٣٣٧/٩؛ ابن حبان، الثقات ٥٦١/٥.

العلم، وذهاب العلماء^(١)، وأوصاه أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية^(٢)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق^(٣)، وكذلك كتب إلى عماله في أمهات المدن الإسلامية بجمع الحديث، وممن كتب إليه بذلك ابن شهاب الزهري^(٤).

(١) الدارمي، السنن، ١/١٣٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢/٣٣٢-٣٣٣؛ المروزي؛ أبو عبد الله محمد بن نصر (ت ٢٩٣هـ)، السنة، تحقيق: عبد الله بن محمد البصري، ط ١، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠١م، ص ١٠٢.

(٢) عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة من بني النجار سيدة نساء التابعين فقيهة، عالمة بالحديث صحبت عائشة أم المؤمنين، وأخذت الحديث عنها. توفيت سنة ٩٨هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ١٠/٤٤٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٣/٦٢؛ كحالة؛ عمر رضا (ت ١٤٠٨هـ)، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، د. ت، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٣/٣٥٦.

(٣) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق نشأ بعد قتل أبيه في حجر عمته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كان فقيهاً إماماً مجتهداً ورعاً عابداً ثقة حجة في الحديث ويعد من سادة التابعين في زمانه توفي سنة ١٠٧هـ. ينظر: أبو نعيم، حلية الأولياء، ٢/١٨٣؛ المزي، تهذيب الكمال، ٢٣/٤٢٧؛ الحسيني، التنكرة بمعرفة رجال العشرة، ٣/١٣٧٨.

(٤) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله المعروف بابن شهاب من بني زهرة بن كلاب من قريش من أحفظ أهل زمانه للسنن ويعد أول من دون الحديث وكان فقيهاً فاضلاً توفي سنة ١٢٤هـ. ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ٨٧؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٦٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٣٢.

ومن حينها أقبل العلماء على كتابة السنن وتدوينها، وشاع ذلك في الطبقة التي تلي طبقة الزهري، فكتب عبد الملك بن جريج^(١) بمكة، ومحمد بن إسحاق صاحب السيرة والإمام مالك بن أنس^(٢) بالمدينة، والربيع بن صبيح^(٣) ،

(١) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج مولى أمية بن خالد بن أسيد القرشي من فقهاء أهل مكة وقرائهم ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر توفي سنة ١٥٠هـ. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم ١٢٤/٨؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٦٣/٣؛ الحسيني، التذكرة بمعرفة رجال العشرة، ١٠٦٨/٢.

(٢) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الاصبحي أحد الأئمة الأربعة ويسمى إمام دار الهجرة، من سادات اتباع التابعين وجلة الفقهاء والصالحين صاحب كتاب الموطأ توفي سنة ١٧٩هـ. ينظر: ابن الجوزي، صفة الصفوة ، ٣٣٤/١؛ ابن فرحون؛ إبراهيم بن نور الدين المالكي (ت ٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجتنان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٦م، ص ٤٤؛ ابن عبد الهادي، طبقات علماء الحديث، ٣١٢/١ .

(٣) الربيع بن صبيح السعدي البصري كان عابدا مجاهدا قال الرامهرمزي هو أول من صنف الكتب بالبصرة توفي سنة ١٦٠هـ. ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٣٠٤/٦؛ مغطاي، علاء الدين بن قليط (ت ٧٦٢هـ) ، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: عادل بن محمد وأسامة بن إبراهيم، ط١، دار الفاروق للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م، ٣٤١/٤؛ حاجي خليفة؛ مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار إحياء التراث العربي، (بيروت ، د. ت) ، ٦٣٧/١.

وسعيد بن أبي عروبة^(١) ، وحماد بن سلمة^(٢) بالبصرة، وسفيان الثوري^(٣) بالكوفة
وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي^(٤)

(١) سعيد بن أبي عروبة واسم أبي عروبة مهران مولى بنى يشكر من فقهاء أهل البصرة
وحفاظهم وأول من صنف السنن النبوية ولد في حياة أنس بن مالك توفي سنة ١٥٦هـ وقيل
١٥٧هـ. ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ٤/٦٥؛ ابن حبان، الثقات، ٦/٣٦٠؛ الذهبي،
تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: غنيم عباس غنيم وأيمن سلامة، ط١،
الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م، ٤/٢٩.

(٢) حماد بن سلمة بن دينار البصري مفتي البصرة وأحد حفاظ الحديث اشتهر بالزهد والعبادة
توفي سنة ١٦٧هـ. ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/٢٤٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٣/٨٩.
الحسيني، التذكرة بمعرفة رجال العشرة، ١/٣٧٥.

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من الحفاظ المتقنين والفقهاء في الدين ممن لزم الحديث
والفقه وواظب على الورع والعبادة توفي بالبصرة سنة ١٦١هـ. ينظر: أبو نعيم، حلية الأولياء،
٦/٣٥٦؛ السمعاني، الأنساب، ١/٥١٧؛ ابن عبد الهادي، طبقات علماء الحديث، ١/٣٠٩.

(٤) عبد الرحمن بن عمرو بن محمد بن عبد عمرو الأوزاعي إمام أهل الشام في الفقه والحديث
وكان عبداً زاهداً ورعا توفي ببيروت سنة ١٥٧هـ. ينظر: الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٧٦؛
الحسيني، التذكرة بمعرفة رجال العشرة، ٢/١٠١٢؛ ابن زيد الحنبلي؛ أبو العباس أحمد بن محمد
بن أحمد الدمشقي (ت ٨٧٠ هـ)، محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي،
تحقيق وتعليق: شكيب أرسلان، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.

بالشام، وهشيم بن بشير^(١) بواسط، ومعمر^(٢) باليمن وجريير بن عبد الحميد^(٣)، وابن المبارك^(٤) بخراسان^(٥)، وكان معظم هذه المصنفات والمجاميع يضم الحديث الشريف وفتاوى الصحابة رضي الله عنهم والتابعين كما ورد في موطأ الأمام مالك بن أنس^(٦). وافردت أحاديث

-
- (١) هشيم بن بشير بن القاسم السلمي من متقنى الواسطيين وجلة مشايخها ممن كثرت عنايته بالأثار وجمعه للاخبار قال ابن النديم له من الكتب له كتاب السنن في الفقه وكتاب التفسير وكتاب القراءات توفي سنة ١٨٣هـ. ينظر: ابن النديم؛ ، أبو الفرج محمد بن إسحاق المعروف بالوراق (ت ٣٨٠هـ)، الفهرست، تحقيق: رضا - تجدد، حقوق الطبع محفوظة للمحقق، ص ٢٨٤؛ المزي، تهذيب الكمال، ٣٠/٣٧٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/٦٢٤.
- (٢) معمر بن راشد مولى عبد السلام بن عبد القدوس مولده بالبصرة سكن اليمن وبها توفي سنة ١٥٢هـ أو ١٥٣هـ. ينظر: ابن حبان، الثقات، ٧/٤٨٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧/٥؛ الحسيني، التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة، ٣/١٦٩٥.
- (٣) جريير بن عبد الحميد بن فُرط الضبي الكوفي نزيل الري وقاضيا ثقة توفي سنة ١٨٨هـ. ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ٢/٥٠٥؛ الذهبي، تهذيب التهذيب، ٢/١٣١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١١/٦٠.
- (٤) عبد الله بن المبارك مولى بني حنظلة من أهل مرو أحد الائمة فقها وورعا وعلماء وفضلا وشجاعة ونجدة توفي سنة ١٨١هـ وقبره بهيت. ينظر: الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٩٤؛ الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام ١١/٣٨٨.
- (٥) أبو الزهو، الحديث والمحدثون، ص ٢٤٤.
- (٦) الخطيب؛ محمد عجاج، السنة قبل التدوين، ط ٢، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٨٨م، ص ٣٣٨.

النبي ﷺ في مؤلفات خاصة، فألفت المسانيد^(١)، وهي كتب تضم أحاديث رسول الله ﷺ بأسانيد خالية من فتاوى الصحابة رضي الله عنهم والتابعين تجمع فيها أحاديث كل صحابي، ولو كانت في مواضيع مختلفة تحت اسم مسند فلان، ومسند فلان وهكذا، وأول من ألف المسانيد أبو داود سليمان بن داود الطيالسي^(٢) (ت ٢٠٤هـ)، كما يعد مسند الأمام أحمد بن حنبل^(٣)

(١) ويقصد بها الكتب التي جمعت فيها أحاديث كل صحابي على حدة، من غير النظر إلى موضوعات الأحاديث وأبوابها. ينظر: ابن الصلاح، مقدمة علوم الحديث، ص ٣٧-٣٨؛ السخاوي؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق: عبد الكريم بن عبد الله الخضير ومحمد بن عبد الله آل فهيد، ط ١، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الرياض، ١٤٢٦ هـ ، ١٥٧/١

(٢) أبو داود سليمان بن داود بن الجارود مولى قريش من كبار حفاظ الحديث والطيالسي نسبة إلى الطيالسة وهي التي تكون فوق العمامة توفي سنة ٢٠٤هـ. ينظر: السمعاني؛ أبو سعيد عبد الكريم بن محمد التميمي (ت ٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت ، ط ١، ١٩٨٨م ، ٩١/٤؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٣٥١/١؛ الحسيني، التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة، ٦٤٣/١ .

(٣) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، أحد أئمة المذاهب الأربعة في الفقه، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ وهو إمام حجة في الحديث له المسند يضم ما يقارب الأربعين ألف حديث، توفي ببغداد سنة ٢٤١هـ. ينظر: ابن أبي يعلى؛ أبو الحسين محمد بن الفراء الحنبلي (ت ٥٢٦هـ)، طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٩٩٩م، ٨/١؛ ابن الجوزي؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٣/١ .

وهو من اتباع التابعين أوفى تلك المسانيد وأوسعها^(١)، وجمع هؤلاء الأئمة الحديث ودونوه بأسانيده، ونكروا طرقاً كثيرة لكل حديث يتمكن بها جهابذة هذا العلم، من معرفة الصحيح من الضعيف ثم رأى بعض الأئمة أن يصنفوا في الحديث الصحيح فقط، وكان أول من صنف ذلك الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ) ثم الإمام مسلم (ت ٢٦١هـ) ثم ظهرت الكتب الأربعة مرتبة على الأبواب كسنة أبي داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ) وأبي عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، والنسائي (ت ٣٠٣هـ) وابن ماجه (ت ٢٧٣هـ) ومرويات أسباب النزول القرآني مبنوثة في بطون المؤلفات الضخمة حتى جاءت مرحلة أفراد هذا العلم بمصنفات خاصة به.

(١) ينظر: أبو موسى المدني؛ محمد بن عمر بن أحمد (ت ٥٨١هـ)، خصائص مسند الإمام أحمد، تحقيق: محمد ناصر العجمي، ط ١، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧م. وحاجي خليفة، كشف الظنون، ١/٦٣٨؛ العمري؛ أكرم ضياء، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ط ٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ص ٣١٢.

١ - مرحلة إفراد أسباب النزول بالتأليف

إنّ المؤلفات التي أفردت أسباب النزول بشكل مستقل هي :

- أ- (تفصيل لأسباب التنزيل) مخطوط^(١) عن ميمون بن مهران^(٢) (ت ١١٧هـ).
ب- (أسباب النزول) مفقود^(٣) لعلّي بن المديني^(٤) (ت ٢٣٤هـ).

-
- (١) ينظر: مقدمة محقق كتاب العجائب في بيان الأسباب لعبد الحكيم محمد الأنيس ٨٠/١.
- (٢) أبو أيوب ميمون بن مهران الرقي فقيه من القضاة استوطن الرقة استعمله عمر بن عبد العزيز على خراجها وقضائها توفي سنة ١١٧هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ٤٨٣/٩؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق ٣٣٦/٦١؛ ابن الجوزي، المنتظم ١٨٤/٧.
- (٣) ينظر: طاش كبري زاده؛ أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٥م، ٣٤٩/٢؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ٧٦/١؛ القنوجي، صديق بن حسن، أبجد العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، د. ت، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨م، ٥٣/٢؛ الوهبي؛ عبد الله بن إبراهيم، أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم، مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ، العدد ٣٨، ص ١٩٠.
- (٤) أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر البصري إمام عصره في الحديث وعلله توفي سنة (ت ٣٣٤هـ). ينظر: ابن عبد الهادي، طبقات علماء الحديث، ٧٧/٢؛ الذهبي، تنكرة الحفاظ، ٤٢٨/٢؛ الحسيني، التنكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة، ١٢٠٢/٢.

ج- (القصص والأسباب التي نزل من أجلها القرآن) للمحدث القاضي عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس^(١) (ت ٤٠٢هـ) قال ابن بشكوال^(٢) إنه في نحو مئة جزء ونيف^(٣)، والكتاب مفقود.

د- (أسباب النزول) لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ) ويعد كتابه أكثر الكتب انتشاراً وتداولاً قديماً وحديثاً^(٤).

(١) عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس أبو المطرف القرطبي المالكي عالم بالتفسير والحديث والرجال توفي سنة ٤٠٢هـ. ينظر: ابن بشكوال؛ أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن مسعود (ت ٥٧٨هـ)، الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م، ٤٦٦/٢؛ النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي (ت بعد ٧٩٣هـ)، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا أو تاريخ قضاة الأندلس، ط٥، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٨٧؛ الداودي، طبقات المفسرين، ٢٨٥/١.

(٢) أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الاندلسي محدث ومؤرخ توفي سنة ٥٧٨هـ). ينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ١٨٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/٢٤٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٣/٢٢٩.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ٤٦٨/٢.

(٤) ينظر: ابن حجر، العجائب في بيان الأسباب، ١/٢٠٠؛ السيوطي، لباب النقول، ص ٩؛ مقدمة محقق كتاب أسباب نزول القرآن للواحدي، ص ٦.

- هـ - (أسباب النزول والقصص الفرقانية) مطبوع^(١) لأبي المظفر محمد بن أسعد العراقي الحنفي الحكيمي^(٢) (ت ٥٦٧هـ).
- و - (أسباب النزول على مذهب آل الرسول) مفقود^(٣) لأبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب^(٤) (ت ٥٨٨هـ).
- ز - (أسباب النزول)^(٥) لأبي الفرج ابن الجوزي^(٦) (ت ٥٩٧هـ).

- (١) ينظر: العراقي؛ محمد بن أسعد (ت ٥٦٧هـ)، أسباب النزول والقصص الفرقانية، تحقيق: عصام أحمد أحمد غانم، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٧م؛ الرشيد، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، دار الشهاب، دمشق، د. ت، ١٩٩٩م، ص ١٠٧.
- (٢) أبو المظفر محمد بن أسعد بن الحكيم العراقي الحنفي الواعظ عالم مفسر توفي سنة ٥٦٧هـ. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٥/٥٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٤٥/٢؛ اليافعي، مرآة الجنان، ٢٨٨/٣.
- (٣) ينظر: حرز الدين؛ عبد الرزاق محمد حسين، تفسير القرآن الكريم لأبي حمزة الثمالي (ت ١٤٨هـ)، ط١، مطبعة الهادي، إيران، ١٤٢٠هـ، ص ٥٨.
- (٤) أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني أحد علماء الشيعة في الفقه والتفسير والنحو وله مشاركة في الأصول والقراءات، توفي سنة ٥٨٨هـ. ينظر: ابن حجر، ميزان الاعتدال، ٣٨٩/٧؛ السيوطي، بغية الوعاة، ١٨١/١؛ البغدادي، هدية العارفين، ١٠٢/٢.
- (٥) ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ٧٦/١؛ القنوجي، أبجد العلوم، ٥٤/٢.
- (٦) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي فقيه مفسر محدث مؤرخ كان كثير التصانيف في مختلف العلوم توفي سنة ٥٩٧هـ. ينظر: الذهبي، المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الديبشي (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: مصطفى جواد، (د.ت)، مطبعة الزمان، بغداد، ٢٠٥/٢؛ الدمياطي؛ أحمد بن أبيك بن عبد الله (ت ٧٤٩هـ)، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: قيصر أبو فرح، (د.ت)، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ١٥٥؛ ابن رجب؛ عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ)، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٥م، ٤٥٨/٢.

ح- (أسباب نزول الآي) للملك الصالح الأرتقي^(١) (ت ٦١٩هـ). وهو مختصر كتاب الواحدي^(٢).

ط- (عجائب النقول في أسباب النزول) لأبي إسحاق إبراهيم بن عمر الجعبري^(٣) (ت ٧٣٢هـ) ذكر السيوطي أنه اختصره من كتاب الواحدي، فحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئاً^(٤).

(١) الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان صاحب آمد كان شجاعاً عاقلاً محباً للعلماء توفي سنة ٦١٧هـ. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٠٨/٢٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠١/١٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ٦/٢٢١.

(٢) الرشيد، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، ص ١٠٨.

(٣) برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري عالم بالقراءات من فقهاء الشافعية توفي سنة ٧٣٢هـ. ينظر: السبكي؛ تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، (د.ت)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ٣٩٨/٩؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ١/٥٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٩/٢١٨.

(٤) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ١/١٨٩.

- ى - (سبب النزول في تبليغ الرسول)^(١) لابن الفصيح: فخر الدين أحمد بن علي ابن أحمد الكوفي^(٢) (ت ٧٥٥هـ).
- ك - (رسالة في أسباب النزول)^(٣) لعلي بن شهاب الدين حسن بن محمد الهمداني^(٤) (ت ٧٨٦هـ).
- ل - (العجاب في بيان الأسباب)^(٥) للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).

-
- (١) الرشيد، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، ص ١٠٩.
- (٢) فخر الدين أبو طالب أحمد بن علي بن أحمد الكوفي البغدادي الحنفي، الشهير بابن الفصيح من فقهاء الحنفية له نظم ونثر توفي سنة (ت ٧٥٥هـ)، ينظر: الصفدي، أعيان العصر ٢٩٥/١؛ ابن أبي الوفاء الحنفي؛ محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد القرشي (ت ٧٧٥هـ)، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط ٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ١٩٩٣م، ٢٠٣/١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٣٢/١٠.
- (٣) مقدمة محقق كتاب العجاب في بيان الأسباب ٨٢/١؛ المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن، ٤٢/١.
- (٤) علي بن شهاب الدين حسن بن محمد الحسيني الهمداني سافر إلى الهند وتوفي بها له تصانيف بالعربية والفارسية توفي سنة ٧٨٦هـ. ينظر: البغدادي، هدية العارفين، ٧٢٥/١؛ الزركلي، الأعلام، ٢٩٤/٤.
- (٥) وهو مطبوع ولكنه لم يتمه وصل فيه الآية (٧٨) من سورة النساء. ينظر: مقدمة محقق كتاب العجاب في بيان الأسباب ١٢٦/١.

- س- (مدد الرحمن في أسباب نزول القرآن)^(١) للقاضي زين الدين عبد الرحمن بن علي بن إسحاق التميمي الداري الخليلي المقدسي الشافعي^(٢) (ت ٨٧٦هـ).
- ف- (لباب النقول في أسباب النزول)^(٣) للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ).
- ص- (إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ المتشابه وتجويد القرآن)^(٤) لعطية الله بن عطية البرهاني الشافعي الأجهوري^(٥) (ت ١١٩٠هـ).

- (١) وهو نظم لأسباب النزول للجعبري. ينظر: السخاوي؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ٩٥/٤؛ الأدته وي، طبقات المفسرين، ص ٣٤١؛ كحالة، معجم المؤلفين، ٩٩/١.
- (٢) زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن إسحاق التميمي الخليلي الشافعي مفسر ومحدث وأديب توفي سنة ٨٧٦هـ. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ٩٥/٤؛ الأدته وي، طبقات المفسرين، ص ٣٤١؛ البغدادي، هدية العارفين، ٥٣٣/١.
- (٣) وهو مطبوع عدة طبعات ومشهور جداً.
- (٤) سركييس؛ يوسف اليان سركييس (ت ١٣٥١هـ)، معجم المطبوعات العربية والمعرية، د. ت، مطبعة بهمن، قم، ١٤١٠هـ، ٣٦٦/١؛ كحالة، معجم المؤلفين، ٣٨٠/٢.
- (٥) عطية الله بن عطية البرهاني الشافعي عالم مفسر فقيه كان ضريراً من أهل أجهور إحدى قرى مصر توفي بالقاهرة سنة ١١٩٠هـ. ينظر: المرادي؛ محمد خليل بن علي (ت ١٢٠٦هـ)، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، د. ت، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٢٦٥/٣؛ الجبرتي؛ عبد الرحمن بن حسن (ت ١٢٤٠هـ)، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م، ٣/٢؛ البغدادي، هدية العارفين، ٦٦٥/١.

٢- عرض كتاب الواحدي انموذجاً

يعدُّ كتاب أسباب نزول القرآن الام في هذا العلم لمؤلفه الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري، قال ابن خلكان^(١) : " لم أعرف هذه النسبة -أي الواحدي- إلى أي شيء هي، ولا نكرها السمعاني^(٢)، ثم وجدت هذه النسبة إلى الواحد بن الدين بن مهرة، ذكره

(١) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان أحد الأئمة الفضلاء والسادة العلماء تولى القضاء في الشام توفي سنة ٦٨١هـ. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى ٣٣/٨؛ ابن كثير البداية والنهاية ٥٨٨/١٧؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي ٨٩/٢.

(٢) تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي يلقب بقوام الدين فقيه شافعي حافظ توفي سنة ٥٦٢هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٠٩/٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١١٨/٣٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٦٥/١٩.

أبو أحمد لعسكري^(١) " (٢)، وذكر ابن الكلبي^(٣) أنّ الواحد هو ابن الدين بن مهرة بن قضاة^(٤)، قال الحموي عن الواحدي: "الإمام المصنف المفسر النحوي أستاذ عصره وواحد دهره أنفق صباه وأيام شبابه في التحصيل فأتقن الأصول على الأئمة وطاف على أعلام الأمة... وسافر في طلب الفوائد ولأزم مجالس الثعلبي في تحصيل التفسير... وأخذ في التصنيف... وأحسن كل الإحسان في البحث والتتقير^(٥)... وقد للإفادة

-
- (١) الأديب العلامة أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري له مصنفات في اللغة والأدب والأمثال توفي سنة ٣٨٢هـ. ينظر: الحموي، معجم الأدباء، ٩١١/٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٨٣/٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٩٩/٤ وقد ذكر وفاته سنة ٣٨٧هـ .
- (٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٠٤/٣.
- (٣) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي أديب عالم بالنسب وأخبار العرب توفي سنة ٢٠٤هـ وقيل سنة ٢٠٦هـ. ينظر: الأنباري؛ كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري (ت ٥٧٧هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء - الأردن، ١٩٨٥م، ص ٧٥؛ الحموي، معجم الأدباء، ٢٧٧٩/٦؛ السمعاني، الأنساب، ٨٦/٥؛ أبو زيد؛ بكر، طبقات النسابين، ط١، دار الرشد، الرياض، ١٩٨٧م، ص ٤٧.
- (٤) ينظر: ابن الكلبي؛ أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ)، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، ط١، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨٨م، ٧١٣/٢-٧١٤.
- (٥) التتقير: التفتيش، نقر عن الأمر: إذا بحث عنه. ينظر: الحميري؛ نشوان بن سعيد اليميني (ت ٥٧٣هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩م، ٦٧٣٣/١٠؛ الفيومي؛ أحمد بن محمد بن علي (ت ٧٧٠هـ)، المصباح المنير، د. ت، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٢٣٧.

والتدريس سنين وتخرج به طائفة من الأئمة سمعوا منه وقرأوا عليه وبلغوا محل الإفادة وعاش سنين ملحوظا بعين الإعزاز، والإكرام، وكان حقيقا بكل احترام وإعظام^(١)، صنف الواحدي التفاسير الثلاثة البسيط، والوسيط، والوجيز^(٢) وله مصنفات أخرى منها كتاب التحبير في الأسماء الحسنى وكتاب الدعوات وكتاب المغازي وكتاب الإغراب في الإعراب وكتبا كثيرة^(٣)، تصدر للتدريس مدة وعظم شأنه^(٤)، وكان نظام الملك^(٥) يكرمه ويعظمه وكان حقيقا بالاحترام والإعظام، وقد قيل فيه:

قد جمع العالم في واحد عالمنا المَعْرُوف بالواحد^(٦)

-
- (١) الحموي، معجم الأدباء، ١٦٦٠/٤.
- (٢) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٠٣/٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٤٠/١٨. الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٠١/٢٠.
- (٣) الحموي، معجم الأدباء، ١٦٦٠/٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٥٩/٣١.
- (٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٤١/١٨.
- (٥) الوزير قوام الدين أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي من أشهر الوزراء في العصر العصر السلجوقي، عرف بالعدالة والصلاح والديانة بنى المدارس ومن أشهرها النظامية في بغداد توفي سنة ٤٨٥هـ. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم ٣٠٢/١٦؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان ١٢٨/٢؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى ٣٠٩/٤.
- (٦) لم اهتد لصاحب هذا البيت، ولكن ذكره أغلب من ترجم للواحدي، ينظر: الحموي، معجم الأدباء ١٦٦٠/٤. الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٠٢/٢٠؛ السيوطي، بغية الوعاة، ١٤٥/٢.

وكتاب اسباب النزول من اشهر مصنفاته يضم أكثر ما قيل في تفسير الآية من سبب النزول .

أوضح الواحدي الاسباب التي دعت إلى تأليف كتابه في زمن كثر فيه الخوض في كتاب الله على غير علم، واتسم أهله بالجهالة واختراع الأشياء واختلاق الكذب والإفك، ونبه إلى اتباع المنهج السليم في دراسة كتاب الله مشيراً إلى أن أول ما يجب على الدارس للقرآن هو معرفة أسباب النزول التي لا يمكن معرفة تفسير الآية إلا بالوقوف عليها، كما نبه على وجوب الرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على أسباب نزول القرآن الكريم من أصحاب رسول الله ﷺ^(١)، وكتابه هذا أكثر كتب أسباب النزول شيوعاً وانتشاراً وتداولاً بين أهل العلم والمختصين، وقد اعتنى به أهل العلم قديماً وحديثاً^(٢) .

قال السيوطي: " أشهر كتاب في هذا الفن الآن كتاب الواحدي، وكتابي هذا - يقصد لباب النقول في أسباب النزول - يتميز عليه بأمور: أحدها: الاختصار.

ثانيها: الجمع الكثير، فقد حوى زيادات كثيرة على ما ذكر الواحدي...

(١) ينظر مقدمة الواحدي لكتابه أسباب النزول ص ٩٣ وما بعدها.

(٢) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص ٢٨؛ ابن حجر، العجَاب في بيان الأسباب ٢٠٠/١.

ثالثها: عزوه كل حديث إلى مخرجه من أصحاب الكتب المعتمدة... وأمّا الواحدي فتارة يورد الحديث بإسناده، وفيه مع التطويل عدم العلم بمخرج الحديث فلا شك أن عزوه إلى أحد الكتب أولى من عزوه إلى تخريج الواحدي، لشهرتها واعتمادها وركون الأنفس إليها، وتارة يورده مقطوعاً فلا يدري هل له إسناد أم لا؟
رابعها: تمييز الصحيح من غيره، والمقبول من المردود.

خامسها: الجمع بين الروايات المتعددة.

سادسها: تحية ما ليس من أسباب النزول" (١).

واختصر برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت ٧٣٢هـ) كتاب الواحدي فحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئاً (٢).

وقد حظى كتاب أسباب النزول للأمام الواحدي بعناية كبيرة من دور النشر، وظهر في طبعات عدة، وله عدة تحقيقات وأهمها تحقيق أحمد صقر ويمتاز بالدقة وقلة الأخطاء (٣)، وهناك تحقيقات امتازت بتخريج الأحاديث وبيان درجتها من حيث الصحة والضعف كت تحقيق عصام الحميدان وكمال بسيوني زغلول (٤)، وتحقيق ماهر ياسين الفحل الذي

(١) لباب النقول في أسباب النزول، ص ٩-١٠.

(٢) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ١/١٨٩.

(٣) ينظر: أسباب نزول القرآن للواحدي تحقيق: أحمد صقر، ط ١، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٩م.

(٤) ينظر: أسباب نزول القرآن للواحدي تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط ٢، دار

الإصلاح، الدمام، ١٩٩٢م؛ وأسباب نزول القرآن للواحدي تحقيق: كمال بسيوني زغلول، ط ١،

دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩١م.

امتاز بتخريج الأحاديث الواردة في الكتاب مع ترجمته للأعلام والرواة وبيان حال المجروحين والكذابين منهم، وإنه حقق كتاب الواحدي على رواية تلميذه الشيخ أبي نصر محمد بن عبد الله الأريغاني^(١) (ت ٥٢٩هـ) وهي سماع كامل من الإمام الواحدي، وقد اعتمدها الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني حينما ألف كتابه ، العجائب في بيان الأسباب^(٢).

٣- مؤلفات أسباب النزول في العصر الحديث:

أفردت مؤلفات حديثة أسباب النزول بالتصنيف كما في المؤلفات التالية:

- ١- (أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين)^(٣) للشيخ عبد الفتاح القاضي^(٤) (ت ١٤٠٣هـ)، وهو كتاب متوسط الحجم جمع فيه مؤلفه

(١) أبو نصر محمد بن عبد الله بن أحمد الأريغاني فقيه شافعي من أهل أريغان من نواحي نيسابور، انتقل إلى نيسابور وتوفي بها سنة ٥٢٩هـ. ينظر: السمعاني، الأنساب، ٣/٣٢؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٦/١٠٨؛ ابن كثير، طبقات الشافعية، ٢/٥٤٨.

(٢) مقدمة المحقق، أسباب نزول القرآن للواحدي، ص ٦-٧.

(٣) القاضي؛ عبد الفتاح عبد الغني (ت ١٤٠٣هـ)، أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين، تخريج وشرح: أحمد عبد الرزاق البكري، ط ١، دار السلام، مصر، ٢٠٠٣م.

(٤) عبد الفتاح عبد الغني القاضي شيخ أزهرى عالم بالقراءات ولد بدمهور في مصر له كثير من المؤلفات في القراءات والتفسير وغيرها توفي سنة ١٤٠٣هـ. ينظر: العلاونة؛ أحمد، ذيل الأعلام، ط ١، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة - السعودية، ١٩٩٨م، ص ١٢٦؛ أباطة؛ نزار، والمالح؛ محمد رياض، إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام للزركلي)، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م، ص ١٦٠؛ يوسف، معجم المؤلفين المعاصرين، ١/٣٦٥.

روايات أسباب النزول، وجل اعتماده على الواحدي والسيوطي، كما أنه قدم لكتابه بقواعد أسباب النزول، وقد أفاد في ذلك من كتاب الاتقان للسيوطي، وقد طبع عدة طبعات.

٢- (جامع النقول في أسباب النزول وشرح آياتها)^(١)

لابن خليفة عليوي^(٢) (ت ١٤١٦هـ)، بدأ كتابه بمقدمة بين فيها معنى أسباب النزول وفوائدها وبعض القواعد المتعلقة بها، ثم شرع في جمع أسباب النزول بدون أسانيد، مرتبة على ترتيب سور القرآن وقد اعتمد في ذلك على كتاب الواحدي، وعضده بالنقل من (لباب النقول) للسيوطي. وكتب التفسير، وفي جمعه لهذه الأسباب لم يفرق بين الصحيح منها من الضعيف وقد اقتصر على جمع ما في الكتب من دون تمحيص، مع ذكر أقوال المفسرين في الآية والأحكام المستنبطة منها بأدلتها، طبع بجزئين.

(١) عليوي؛ عليوي خليفة، جامع النقول في أسباب النزول وشرح آياتها، ط١، مطابع الإشعاع، الرياض، ١٤٠٤هـ.

(٢) عليوي خليفة عليوي عالم سوري ولد في حماة له مؤلفات في التفسير وعلوم القرآن وغيرها توفي سنة ١٤١٦هـ. ينظر: كالمو؛ محمد محمود، ابن خليفة عليوي...عالم في حقل الدعوة، موقع أحباب الكلتاوية،

<http://www.alkeltawia.com/vb/showthread.php?p=21093>

٣- (تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول الجامع بين روايات الطبري والنيسابوري وابن الجوزي، والقرطبي، وابن كثير، والسيوطي)^(١) للشيخ خالد عبد الرحمن العك^(٢) (ت ١٤٢٠هـ) فالمؤلف لم يقتصر على الروايات الصحيحة فقط بل جمع كل ما ذكره هؤلاء، وقصد بالنيسابوري الإمام الواحدي.

٤- (الصحيح المسند من أسباب النزول)^(٣) لمقبل بن هادي الوداعي (ت ١٤٢٢هـ) وهو بحث مختصر خرج فيه بعض أسباب النزول ورتبه على ترتيب سور القرآن، وقدم له بمقدمة قصيرة ذكر فيها أهمية أسباب النزول وبعض قواعدها باختصار، وقد طبع عدة طبعات.

(١) العك؛ خالد عبد الرحمن (ت ١٤٢٠هـ)، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م.

(٢) خالد بن عبد الرحمن العك من أهل العلم والفضل، ولد بدمشق عام ١٣٦٢هـ، اعتنى بالتأليف والتحقيق في موضوعات عدة، وأعدّ بعض الموسوعات توفي سنة ١٤٢٠هـ. ينظر: شبكة الألوكة http://www.alukah.net/Literature_Language/0/4436

(٣) الوداعي؛ مقبل بن هادي (ت ١٤٢٢هـ)، الصحيح المسند من أسباب النزول، ط٢، مكتبة صنعاء الأثرية، ٢٠٠٤م.

٥- (فتح الرحمن في أسباب نزول القرآن)^(١) للدكتور محمد محمد محمد سالم محيسن^(٢) (ت ١٤٢٢هـ)، اقتصر المؤلف على نكر رواية واحدة في أسباب النزول طلباً للاختصار، ولم يشر إلى درجة الروايات من حيث الصحة والضعف.

٦- (صحيح أسباب النزول)^(٣) لإبراهيم محمد العلي^(٤) (ت ١٤٢٥هـ)، وهو محاولة جادة لاستخراج الروايات الصحيحة في أسباب النزول من المصادر الأصلية، مع تمييز الصحيح والضعيف فيها.

(١) محيسن؛ محمد محمد محمد سالم، فتح الرحمن في أسباب نزول القرآن، ط١، دار الأفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٩م.

(٢) محمد سالم محيسن أزهري عالم بالقراءات والتفسير ولد في محافظة الشرقية بمصر له مصنفاتٍ عدة في التفسير والقراءات وغيرها، ودُرِّس في جامعاتٍ عدة توفي بمصر سنة ١٤٢٢هـ. ينظر: منتدى شبكة القراءات القرآنية <http://qiraatt.com/vb/showthread.php?t=380>

(٣) العلي؛ إبراهيم محمد (ت ١٤٢٥هـ)، صحيح أسباب النزول، ط١، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق - سوريا، ٢٠٠٣م.

(٤) إبراهيم محمد علي الأطرش الجبيني عالم وخطيب اختص في علم الحديث ولد في كفر راعي في فلسطين عام ١٣٧٧هـ استقر في الأردن وعمل في وزارة الأوقاف في المملكة الأردنية له مؤلفات عدة كصحيح السيرة النبوية وصحيح أسباب النزول توفي سنة ١٤٢٥هـ. ينظر: شبكة الألوكة http://www.alukah.net/Literature_Language/0/2329

٧- (مع نزول القرآن)^(١) لمحمد محمد خليفة، تحدّث في أوّل الكتاب عن نزول القرآن من حيث المكان والزمان، وأول ما نزل وآخر ما نزل، وكيفية الإنزال وطريقته وصور الوحي، وقد اختص معظم الكتاب بذكر أسباب النزول ورتبها بحسب موضوعاتها، فبدأ بذكر الأسباب التي تدور حول مواقف المنافقين، ثم الأسباب التي تدور حول مواقف اليهود والنصارى والكفار، ثم ما دار حول أحكام شرعية، أو مبادئ اجتماعية أو سياسية، وهكذا. ويذكر الأسباب بدون أسانيد ولا يشير إلى المراجع، ولم يذكر في كتابه المصادر التي رجع إليها.

٨- (أسباب نزول القرآن)^(٢) للدكتور حماد عبد الخالق حلوة ، تحدث فيه عن تأريخ أسباب النزول ومصادرها ومناهج المؤلفين في الحديث والتفسير والتأريخ في عرض أسباب النزول والحديث عنها ، ويقع هذا الكتاب في جزئين.

٩- (أسباب النزول وأثرها في التفسير) لعصام بن عبد المحسن الحميدان حصل به على درجة الماجستير سنة ١٤٠٦ هـ من كلية أصول الدين بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقع هذه الرسالة في مجلدين، تناول فيها أهمية أسباب النزول وقواعدها وأثرها في التفسير، واختص القسم الأكبر من الرسالة

(١) خليفة؛ محمد محمد، مع نزول القرآن ، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٧١م.

(٢) حلوة؛ حماد عبد الخالق، أسباب نزول القرآن، د. ت، مكتبة الطليعة، أسيوط -مصر،

١٩٨٠م.

بذكر الصحيح والضعيف من أسباب النزول مرتبا بحسب ترتيب سور القرآن، معتمدا في ذلك على كتابي "أسباب النزول" للواحي "ولباب النقول" للسيوطي، مع تخريج ما ذكره من الأسباب والحكم عليها^(١)، طبع منها جزء (الصحيح من أسباب النزول)^(٢).

١٠- (أسباب نزول القرآن: دراسة وتحليل) لعبد الرحيم فارس أبي علبة، وهو بحث في دقائق علم أسباب النزول، وهو في الأصل رسالة نال بها درجة الماجستير في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية عام ١٩٩٠م.^(٣)

١١- (الاستيعاب في بيان الأسباب)^(٤) لسليم بن عيد الهاللي ومحمد بن موسى آل نصر، وهو أول موسوعة علمية حديثة محققة في أسباب النزول، ثلاثة مجلدات.

(١) ينظر: الوهبي، أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم، العدد ٣٨، ص ١٧٧ - ١٩٧.

(٢) الحميدان؛ عصام بن عبد المحسن، الصحيح من أسباب النزول، ط١، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٩٩م.

(٣) ينظر: مقدمة محقق كتاب العجائب في بيان الأسباب ١/٨٠ - ٩٠.

(٤) الهاللي؛ سليم بن عيد، وآل نصر؛ محمد بن موسى، الاستيعاب في بيان الأسباب، ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ.

١٢- (المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة)^(١) لخالد بن سليمان المزيني، وهو في الأصل رسالة نال بها درجة الدكتوراه من جامعة محمد بن سعود صدر في مجلدين.

١٣- (أسباب النزول "أسانيدھا وأثرھا في تفسير القرآن الكريم)، أطروحة دكتوراه، للشيخ بن جمعة سهل، تقدم بها إلى جامعة أم القرى، وتوجد بمكتبتها المركزية مطبوعة بالإستئصال عام ١٩٨٣م.

١٤- (أسباب النزول الواردة في جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري)، جمعاً وتخرجاً ودراسة، أطروحة دكتوراه أعدها حسن بن محمد بن علي شبالة البلوط، في ٣ مجلدات، موجودة في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، ١٤١٥هـ^(٢).
ولابدّ من القول بأنّ هذا العلم دين فلا يحل القول فيه بالاجتهاد ولكن بالرواية الصحيحة ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها ولا توجد صيغة محددة لأسباب النزول^(٣) وقول

(١) المزيني؛ خالد بن سليمان، المحرر في أسباب النزول، ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ.

(٢) ينظر: مقدمة محقق كتاب العجائب في بيان الأسباب ١/٨٠ - ٩٠؛ الوهبي، أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم، العدد ٣٨، ص ١٧٧ - ١٩٧.

(٣) الطيار؛ مساعد بن سليمان بن ناصر، أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، ط٢، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ، ص ١٦٠-١٦١؛ المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن ١/١٢٠.

الصحابي في سبب النزول، حكمه الرفع؛ لأنَّ أسباب النزول غير خاضعة للاجتهاد ولأنَّ رسول الله ﷺ قال: (اتقوا الحديث إلا ما علمتم فإنه من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن كذب على القرآن من غير علم فليتبوأ مقعده من النار)^(١) ولا يمكن معرفة تفسير الآية من دون الوقوف على قصتها، وبيان سبب نزولها، لأنَّه طريق قوي في فهم معاني القرآن ويعين على فهم الآية^(٢)، وإنَّ ربط الأسباب بالمسببات يؤدي الى سهولة حفظها واستدكارها ومن فوائد أسباب النزول الاستدلال التاريخي كما في حادثة خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها فأنزل الله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (١) {^(٣)، فهو أصدق مرويات يستند إليها التاريخ الإسلامي والذي يجب أن تحاكم رواياته التاريخية بنفس طريقة محاكمة أهل الحديث للسنة النبوية، لأنَّ هناك روايات تدخل في صلب عقيدة المسلم، كما ان هناك علم المناسبة وهو علم ترابط القرآن بعبءه ببعض، وله جوانب عديدة، منها ترابط الآيات في السورة الواحدة، وترابط السور كلها من حيث توافق خاتمة السورة مع فاتحة السورة التي تليها، ومن حيث توافق

موضوعات

(١) أحمد، مسند الإمام أحمد ١٥٥/٥.

(٢) ينظر: الواحدي، أسباب النزول، ص ٩٥-٩٦.

(٣) سورة المجادلة آية ١.

كل سورة مع المناسبة التاريخية لها، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١) فالمناسبة التاريخية لهذه الآية مكر قريش في دار الندوة بالنبي ﷺ بهدف قتله حتى لا يهاجر وتقوى دعوته، وتاريخ نزول سورة الأنفال بعد غزوة بدر وقبل غزوة أحد أي بعد السابع عشر من رمضان للسنة الثانية من الهجرة^(٢)، فالمناسبة التنزيلية هنا متأخرة عن المناسبة التاريخية، وعلم المناسبة وعلم أسباب النزول علمان يكملان بعضهما بعضاً، أي أن علم المناسبة هو المكمل لعلم أسباب النزول، ومن خلال دراسة علم أسباب النزول عبر مراحل التاريخ نجد الاهتمام الخاص للعلماء به وحرصهم على تحري مروياته سناً وممتناً بالدراسة والتمحيص لأنه تبنى على مروياته أحكاماً فقهية وعقائدية ومعالجات سياسية واجتماعية ويعدُّ انموذجاً لمعالجة واقع المسلمين اليوم من خلال الوقائع المشابهة في عصر التنزيل.

(١) سورة الأنفال، الآية ٣٠.

(٢) ينظر: ابن هشام؛ عبد الملك (ت ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (د.ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٤٨٤/٢.

الفصل الثاني
اليهود من خلال مرويات
أسباب النزول

ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الاول: أثر الدعوة الاسلامية

على اليهود

المبحث الثاني: التحريف وكتمان الحق

وافتراء الباطل دينا لليهود

المبحث الثالث: اليهود يكيّدون للمسلمين ويحرضون الأعداء

لمحاربتهم

المبحث الرابع: اليهود يكثرّون الاسئلة والجدال ويتعلمون السحر

ويعملون به

الفصل الثاني

اليهود من خلال مرويات اسباب النزول

تُعدّ الديانة اليهودية من الديانات السماوية القديمة ومع تشتتهم فإنّ العذاب كان يحل بهم أينما حلوا، وتعرضوا لنقمة أهل البلاد التي يسكنون فيها بسبب كفرهم وفسقهم وفسادهم وإفسادهم في الأرض وإشاعتهم للفتن والردائل وأكل أموال الناس بالباطل، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

فَكَانَ عِقَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ بِأَنْ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ مِنْ يَسُومِهِمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) فسلط الله عليهم الآشوريين والبابليين^(٣) والفرعنة المصريين

(١) سورة المائدة ، آية ٦٤ .

(٢) سورة الأعراف، آية ١٦٧ .

(٣) وقع اليهود الإسرائيليون في سنة ٧٢١ ق.م تحت قبضة الآشوريين في عهد الملك سرجون الثاني ملك آشور ، وفي عام ٦٠٥ ق . م تولى نبوخذ نصر العرش الكلداني البابلي في العراق، وفي عهده بلغت الدولة أوجها، وحالف الملك اليهودي يواقيم إلا أن العلاقات بينهما تدهورت عندما حاول يواقيم التخلص من الحلف مع جاره القوي؛ فجرد نبوخذ نصر حملة عسكرية حاصر فيها القدس، وفتحها، واقتاد الملك الجديد يهويا كين، وحاشيته، وأركان حكمه، وأشرف دولته إلى بابل عام ٥٨٦ ق . م، وحرق هيكل سليمان بن داود _ عليهما السلام _ وتم القضاء على مملكة يهوذا، ودمر أورشليم والمعبد واستباح اليهود وسلبهم ملكهم، فأهلكهم وشردهم وسبى حوالي ٥٠ ألف يهودي إلى العراق هم أغلبية ما تبقى في القدس، وقد ساقهم الكلدانيون مكبلين بالحديد والأصفاد إلى أراضي العراق، ومنذ ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل وتشتتوا في أنحاء الأرض، واستقر جماعات منهم في الحجاز ومصر وغيرها واستمرت هذه

الوثنيين ثم الرومان الوثنيين والنصارى قديماً وحديثاً لقرون عديدة، فلما تولى
أدريانوس^(١) عرش الرومان، أرسل جيشاً وقهر اليهود قتلاً

الدولة حتى عام ٥٠٤ ق. م. وهذا هو التدمير الأول. (ينظر: الندوة العالمية للشباب
الإسلامي، إشراف د. مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب
والأحزاب المعاصرة، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤٢٠ هـ،
١/ ٤٩٩؛ العسيري؛ احمد معمور، موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا
الحاضر، ط ١، الناشر: غير معروف، ١٤١٧ هـ، ص ١٩؛ الحمد؛ محمد بن إبراهيم بن أحمد،
مصطلحات في كتب العقائد، ط ١، دار ابن خزيمة، ص ٩٧).

(١) ويسمى هادريانوس وفي بعض المصادر انريانس أحد أباطرة الروم حكم إحدى وعشرين سنة
(١١٧-١٣٨م) يتحدر من مستوطنة ايتاليكا الإسبانية ولد في مدينة روما عام ٧٦م وفي
عهده سحق التمرد اليهودي في أورشليم عام ١٣٥م بعد حرب استمرت عامين، ولقد بلغ عدد
اليهود الذين لقوا حتفهم ما يقارب من نصف مليون يهودي ودمر أورشليم التي تحولت إلى
أطلال وتفرق اليهود هائمين على وجوههم بعضهم وصل إلى الحجاز واليمن ومصر. ينظر:
ابن العبري؛ أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون الملطي (ت ٦٨٥هـ)، تاريخ مختصر الدول،
تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط ٢، دار الرائد اللبناني، الحازمية - لبنان، ١٩٩٤م،
ص ١٢٠ - ١٢١؛ الناصري؛ سيد أحمد علي، تأريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي
والحضاري، ط ٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٢٤٧-٢٧٠.

وتشريدًا وهدمًا أورشليم^(١) وبنى مكانها مدينة

(١) كانت فلسطين اسمها القديم أرض كنعان، بنيت أورشليم (القدس) بحدود سنة ٣٠٠٠ ق.م على يد الكنعانيين، وبعدها عام ١٠٠٠ ق.م سيطر عليها اليهود بقيادة النبي داود عليه السلام وخلفه ابنه سليمان عليه السلام. ثم احتلها البابليون بقيادة (نبوخذ نصر) فدمروها وشتتوا وأبادوا اليهود، في سنة ٣٣٢ ق.م احتلها الإسكندر المقدوني وخلفه الرومان السلوقيون الذين دخلت فلسطين وسائر الشام تحت سلطتهم. في عام ٦٦ م وفي عام ١٣٥ م، قام الإمبراطور الروماني (هدريان) بتدمير أورشليم، وقتل وتشريد اليهود وفي سنة ١٥ هـ/٦٣٦ م تمكنت الجيوش الإسلامية من فتح القدس وبلاد الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وظلت القدس عربية إسلامية. (العسيري؛ احمد معمور، موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر، كتاب الكتروني على شبكة الانترنت، المكتبة الوقفية <http://www.waqfeya.com/book.php?bid=4985>، ص ٤٤٨).

إيلياء^(١)(٢)، وكان هذا آخر عهد اليهود بفلسطين إذ تشتت في بقاع الأرض وهاجر جماعة منهم إلى يثرب^(٣)، وقال الله عز وجل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٤) فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً^(٥) ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً^(٦) إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول

(١) إيلياء: اسم مدينة بيت المقدس، قيل: معناه بيت الله، وقيل: إنما سميت إيلياء باسم بانيتها وهو إيلياء بن إرم بن سام بن نوح. ينظر: البكري؛ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، (د.ت)، عالم الكتب، بيروت، ٢١٧/١؛ ياقوت الحموي؛ ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ٢٩٣/١؛ ينظر: البغدادي؛ صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق الحنبلي (ت ٧٣٩هـ)، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد الجاوي، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ١٣٨/١.

(٢) ينظر: المسيري؛ عبد الوهاب، من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟، ط ١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨م؛ أنور؛ أحمد فؤاد، تاريخ اليهود، ط ١، دار الزاوية، ١٩٩٩م، ص ٢٠-٢٢.

(٣) السمهودي؛ علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي نور الدين أبو الحسن (ت : ٩١١هـ)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٢٨/١.

مَرَّةً وَلِيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا تَتَّبِعُوا (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عِدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا^(١).
 إِنَّ مِنَ الَّذِينَ سَلَطَهُمُ اللَّهُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ إِفْسَادِهِمُ الْأُولَىٰ، هُمُ جَالُوتُ
 وَجُنُودُهُ، وَقَدْ ذَكَرَهُمُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، عِنْدَ عَرْضِهِ لِقِصَّةِ الْقِتَالِ الَّذِي دَارَ
 بَيْنَ طَالُوتَ قَائِدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبَيْنَ «جَالُوتَ» قَائِدِ أَعْدَائِهِمْ، مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مَقْهُورِينَ مَهْزُومِينَ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ
 الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ اأَبْعَثْ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ
 إِنْ كُنْتُمْ عَلَيَّكُمْ الْقِتَالَ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاؤُنَا فَلَمَّا
 كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ^(٢).

وَمِنْ دَلَالَةِ الْآيَةِ نَسْتَدِلُّ بِأَنَّهَمْ كَانُوا قَبْلَ قِتَالِهِمْ لَجَالُوتَ مَهْزُومِينَ هَزِيمَةً اضْطَرَّتْهُمْ
 إِلَىٰ الْخُرُوجِ عَنْ دِيَارِهِمْ، وَإِلَىٰ مَفَارِقَةِ أَبْنَائِهِمْ، وَبَعْدَ أَنْ تَابُوا وَأَنَابُوا إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ
 نَصَرَهُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ
 وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَانصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ

(١) سورة الإسراء، آية ٤-٨

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٦ .

وَقَتَلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ^(١).

وبعد حكم طالوت، وداود عليه السلام، وسليمان عليه السلام لهم ازدهرت مملكتهم، وعز سلطانهم وأمدهم الله خلاله بالأموال الوفيرة، وبالبنين الكثيرة، وجعلهم أكثر من أعدائهم عددا وقوة كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا^(٢)﴾ ، وبعد هذا العهد الذي دام زهاء ثمانين سنة، أصبحت حياتهم سلسلة من المآسي والنكبات، فبعد موت سليمان - عليه السلام - سنة ٩٧٥ ق. م تقريبا، قُسمت مملكتهم على قسمين: مملكة يهوذا في الجنوب، ومملكة إسرائيل في الشمال، واستمرت في صراع ونزاع حتى غزا «صحابين» ملك النبط، الذي يسميه المؤرخون «سنحاريب» ملك الأشوريين، مملكة إسرائيل وقضى عليها سنة ٧٢١ ق. م قبل غزو بختنصر بأكثر من مائة سنة وقضى «بختنصر» على مملكة يهوذا^(٣)، وساقهم أسارى إلى بابل سنة ٥٨٨ ق. م . ومكثوا في الأسر زهاء خمسين سنة ثم عادوا إلى ديارهم مرة أخرى، « سنة ٥٣٨ ق. م تقريبا، وبدءوا يتكاثرون من جديد، وبعد إفسادهم الثاني وبعد قتلهم أنبياء الله زكريا

(١) سورة البقرة الآيتان ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٢) سورة الأسراء آية ٦ .

(٣) ينظر: الطبري ، جامع البيان ٤٩٧ / ١٤ .

ويحيى - عليهما السلام ومحاولتهم قتل عيسى عليه السلام سلط الله تعالى عليهم الرومان بقيادة زعيمهم، تيطس سنة ٧٠ م وكان في الثلاثين من عمره، حين اقتحم أسوار أورشليم على رأس جيشه، بعد أن بدأت المدينة تعاني من أهوال الحصار، وأصدر أمره أن احرقوا وانهبوا واقتلوا، فأموال اليهود وأعراضهم حلال لكم، وقد أحرقوا معبد اليهود ودمروه، وبلغ عدد القتلى من اليهود مليون قتيل، وبلغ عدد الأسرى نحو مائة ألف أسير، فلم تقم لهم قائمة، ومزقوا في الأرض شر ممزق، وانقطع دابريهم وتفرقوا في جميع بلاد الله تعالى وانتهى تاريخ الإسرائيليين كأمة^(١)، وبقي بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمره المسلمون بأمره^(٢).

أحدث بنو إسرائيل إفسادا كثيرا في الأرض وأن المقصود من قوله تعالى: **{لَتُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ}** إنما هو أبرز مرتين حدث فيهما الإفساد منهم، ومما يدل على أن هذا الإفساد قد تكرر منهم قوله تعالى: **{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}**^(٣) ثم بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ينظر: طنطاوي؛ محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط١ دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٩٧م، ٨ / ٢٩٦ - ٣٠١.

(٢) البغوي؛ محي السنة الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، ط١، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٩م، ٥ / ٧٦.

(٣) سورة الأعراف ١٦٧ .

وهجرته الى يثرب أرسى قواعد مجتمع جديد وأمة إسلامية جديدة، بإقامة الوحدة العقدية، والسياسية، والنظامية بين المسلمين، بدأ بتنظيم علاقاته بغيرالمسلمين وهم اليهود فعقد معهم معاهدة قرر لهم فيها النصح والخير .

وأهم بنود هذه المعاهدة:

١. إن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، وكذلك لغير بنى عوف من اليهود.
٢. وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.
٣. وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.
٤. وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.
٥. وإنه لم يأتهم امرؤ بحليفه.
٦. وإن النصر للمظلوم.
٧. وإنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.
٨. وإنّ يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.
٩. وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإنّ مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله ﷺ.
١٠. وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها.
١١. وإنّ بينهم النصر على من دهم يثرب على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.
١٢. وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم.

وبإبرام هذه المعاهدة صارت المدينة وضواحيها دولة نافذة، الكلمة والسلطان الغالب فيها للمسلمين^(١).

وهذه النصوص واضحة الدلالة في بيان أن الاسلام دين سلام وانه يقر الألفة بين المختلفين في الأديان وقد جاء في الذكر الحكيم: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢)

وعلى الرغم من موقف المسلمين السامح كان اليهود غيرمخلصين لما جاء فى هذه الصحيفة، وقد تبين من خلال مواقفهم من المسلمين بعد ذلك .

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ١٤٧/٢-١٥٠؛ ابن سيد الناس؛ أبو الفتح محمد بن محمد اليعمرى (ت٧٣٤هـ)، عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير، تحقيق: د. محمد العيد الخطراوى ومحبي الدين مستو، (د.ت)، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ٣١٨/١-٣٢٠.

(٢) سورة الانفال الآية ٦١ .

المبحث الاول

أثر الدعوة الاسلامية على اليهود

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصاً على إسلام اليهود وأنه أتى بيت المدراس^(١) فقال: (أخرجوا اليّ أعلمكم فقام عبد الله بن سوريا^(٢)) فخلا به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فناشده بدينه وبما أنعم الله عليهم، وأطعمهم من المنّ والسلوى وظلّهم به من الغمام أتعلم أنّي رسول الله، قال: اللّهم نعم وإنّ القوم يعرفون ما أعرف فإنّ صفتك ونعتك لمبين في التوراة ولكنّهم حسدوك قال: فما يمنعك أنت؟ قال: أكره خلاف قومي وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم)^(٣).

-
- (١) البيت الذي يدرسون فيه . (ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ١١٣).
- (٢) عبد الله بن سوريا الأعور من بني ثعلبة بن الفطيون كان من أحبار اليهود، ولم يكن بالحجاز في زمانه أحد أعلم بالتوراة منه، يقال إنّه أسلم وقيل أنه أسلم وأرتد وقيل لم يسلم. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية ١٦١/٢؛ المقرئ؛ تقي الدين أحمد بن علي الحسيني (ت ٨٤٥هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ١٤ / ٣٧٠؛ ابن حجر، الإصابة ٦ / ٢١٤-٢١٦.
- (٣) الدياربكري، تاريخ الخميس ١ / ٣٤٩ .

ولما بلغ عبد الله بن سلام^(١)، مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشرط الساعة؟، وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال ولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال ﷺ: (أخبرني به جبريل أنفا) قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة، قال ﷺ: (أما أول أشرط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد)، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، قال يا رسول الله: إن اليهود قوم بهت^(٢) فاسألهم عني، قبل أن يعلموا بإسلامي، فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ: (أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟) قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا، فقال النبي ﷺ: (أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام) قالوا: أعاده الله من ذلك، (فأعاد عليهم)، فقالوا: مثل ذلك، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول

(١) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ثم الأنصاري يكنى أبا يوسف وهو من ولد يوسف ابن يعقوب عليهما السلام، كان أحد أئمة اليهود في المدينة وكان اسمه في الجاهلية حصين فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله توفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ٤٣ هـ. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٤٣٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٢٦٥/٣؛ الذهبي، تجريد أسماء الصحابة ٣١٥/١.

(٢) بُهت: جمع بهوت من بناء المبالغة وهو كثير الكذب. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ١٦٥/١؛ ابن منظور، لسان العرب ٣٦٨/١؛ الزبيدي، تاج العروس ٤٥٢/٤.

الله، قالوا: شرنا وابن شرنا، وتتنقصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله (١) .
وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: " لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن
سعية(٢)، وأسيد بن سعية(٣)، وأسد بن عبيد(٤)، ومن أسلم من اليهود معهم، فأمنوا
وصدقوا ورجبوا في الإسلام، ورسخوا فيه، قالت أحبار

(١) صحيح البخاري ١٣٢/٤؛ البزار؛ أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق العتكي
(ت ٢٩٢هـ)، البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق: عادل بن سعد، ط ١، مكتبة العلوم
والحكم، المدينة المنورة، ٢٠٠٥م، ١٣/١٥٤.

(٢) أن إسلام ثعلبة بن سعية، وأسد بن سعية، وأسد بن عبيد إنما كان عن حديث ابن الهيبان،
أحد يهود الشام، وأنه كان يعلمهم بقدم النبي صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام، فلما كانت الليلة
التي فيها فتح قريظة قال لهم هؤلاء الثلاثة: يا معشر يهود، إنه والله للرجل الذي كان
وصف لنا ابن الهيبان، فاتقوا الله واتبعوه، فأبوا عليهم، فنزل الثلاثة إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فأسلموا، وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه، فقال: هذا
ثعلبة بن سعية يبشرنني بإسلام ریحانة، توفي أسيد بن سعية وثعلبة بن سعية في حياة النبي صلى
الله عليه وسلم. (ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/ ٩٧؛ الإصابة في
تمييز الصحابة ١/ ٢٠٦، ٨/ ١٤٦).

(٣) أسيد بن سعية القرظي وقيل: أسد من اليهود أسلم وحسن إسلامه، توفي في حياة النبي صلى
الله عليه وسلم. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٥٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة ١/ ٢٠٢،
٢٣٧؛ ابن حجر، الإصابة ١/ ١٠٨، ١٦٧.

(٤) أسد بن عبيد من اليهود الذين أسلموا وحسن إسلامهم. ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة
١/ ٢٦٩؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٦٦، ابن الأثير، أسد الغابة ١/ ٢٠٣؛ ابن حجر،
الإصابة ١/ ١٠٩.

يهود، أهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلا شرارنا، ولو كانوا من أختيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره. فأنزل^(١) الله تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ}^(٢). ولم يسلم من بني النضير إلا رجلاً وهما يامين بن عمير بن كعب^(٣)

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ٢/٢٠٦؛ الطبري، جامع البيان ٥/٦٩١؛ السهيلي؛ أبو القاسم عبد الرحمن (ت ٥٨١هـ)، الروض الأثف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، ط١، دار الكتب الإسلامية، مصر، ١٩٦٧م، ٤/٣٦٠؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/١٠٥.

(٢) سورة آل عمران آية ١١٣ .

(٣) يامين بن عمير بن كعب ، أبو كعب النضيري، كان من كبار الصحابة، أسلم فأحرز ماله. ولم يحرز ماله من بني النضير غيره، وغير أبي سعيد بن عمرو بن وهب، فأحرزا أموالهما، وأن يامين بن كعب لقي أبا ليلي عبد الرحمن بن كعب، وعبد الله بن مغفل، وهما يبكيان، فقالا: لم نجد عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يحملنا عليه، فأعطاهما ناضحا، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ليامين: ألم تر إلى ابن عمك عمرو بن جحاش، وما هم به من قتلى؟ فجعل يامين لرجل جعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٧٦٩-٧٧٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٥/٤٣٤؛ ابن حجر، الإصابة ١١/٣٧٨-٣٧٩.

ابن عم عمرو بن جحاش^(١) وأبو سعد بن وهب^(٢)، فأحرزا أموالهما^(٣) ، وعندما انتشرت الدعوة الاسلامية في المدينة المنورة كان الرجل من اليهود يقول لصهره ولذوي قرابته ولمن بينهم وبينه رضاع من المسلمين: أثبت على الدين الذي أنت عليه وما يأمرك به هذا الرجل يعنون محمدًا - صلى الله عليه وسلم - فإن

(١) عمرو بن جحاش بن عمرو بن كعب وهو القائل: يا معشر بني النضير والله لا تجدونه أقرب منه الساعة أرقى على ظهر هذا البيت فأدلى عليه صخرة فأقتله بها فنهاهم سلام بن مشكم فعصوه وصعد عمرو بن جحاش ليدحرج الصخرة وأخبر الله جل وعلا رسوله فقام فلما أجلاهم رسول الله ﷺ قال لابن يامين: ألم تر إلى ابن عمك عمرو بن جحاش وما هم به من قتلي؟ فقال ابن يامين: أنا أكفيكه يا رسول الله فجعل لرجل من قيس عشرة دنانير على أن يقتل عمرو بن جحاش، فقتله، ثم جاء ابن يامين إلى النبي ﷺ فأخبره بقتله، فسر بذلك. ينظر: الواقدي؛ محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ)، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، عالم الكتب، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ١ / ٣٧؛ ابن هشام، السيرة النبوية ٣/١٩٩-٢٠٠؛ ابن حجر، الإصابة ١١/٣٧٩.

(٢) أبو سعد بن وهب النضري نسبة إلى النضير ولم يسلم من بني النضير سوى الرجلين: يامين بن عمرو بن كعب وأبي سعد بن وهب، فأحرز أموالهما. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ص٨١٨؛ ابن الاثير، أسد الغابة ٦/١٣٦؛ ابن حجر، الإصابة ١٢/٢٩٤-٢٩٥.

(٣) الواقدي، المغازي ١/٣٧٣؛ البرسوي؛ إسماعيل حقي (ت١١٣٧هـ)، روح البيان في تفسير القرآن، (د.ت)، المطبعة العثمانية، ١٣٣٠هـ، ٩ / ٤١٧.

أمره حق، فكانوا يأمرون الناس بالبر ولا يفعلونه فنزل^(١) قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

ومن اليهود من أسلم وصلاح إسلامه كما روى ابن مسعود رضي الله عنه قال: أخر رسول الله - ﷺ - ليلة صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال: (إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله في هذه الساعة غيركم) فأنزل^(٣) الله عز وجل: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ

(١) الواحدي، أسباب النزول، ص ١٢٦؛ ابن حجر، العجائب في بيان الأسباب ١/٢٥٢.

(٢) سورة البقرة آية ٤٤.

(٣) أبو يعلى، مسند أبو يعلى ٥/١٣٩؛ ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، تحقيق: أسعد

محمد الطيب، ط ١، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض، ١٩٩٧م، ٣/٧٣٨؛

الثعلبي؛ أبو إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان، تحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢م، ٣/١٣٢؛ ابن بلبان؛ علاء

الدين علي الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،

ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ٤/١٩٧-١٩٨.

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ
(١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥) {

(١). (٢) والمشهور عن كثير من المفسرين أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وغيرهم، أي: لا يستوي من تقدم نكروهم بالذم من أهل الكتاب [وهؤلاء الذين أسلموا، ولهذا قال تعالى: {ليسوا سواء} أي: ليسوا كلهم على حد سواء، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم، ولهذا قال تعالى: {من أهل الكتاب} أمة قائمة} أي: قائمة بأمر الله، مطيعة لشرعه متبعة نبي الله، فهي قائمة يعني مستقيمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون} أي: يقومون الليل، ويكثرن التهجد، ويتلون القرآن في صلواتهم (٣) .

وإن نص الآية السابقة: {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يُكْفَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا

(١) سورة آل عمران ، الآيات ١١٣ - ١١٥ .

(٢) واختار الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري رواية ابن مسعود رضي الله عنه بعد ذكر أقوال العلماء وقال: "إن أولى الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عني بذلك تلاوة القرآن في صلاة العشاء؛ لأنها صلاة لا يصلحها أحد من أهل الكتاب". ينظر: الطبري، جامع البيان ٦٩٨/٥ .

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. ١٠٥ / ٢ .

وَكَاثِرًا يَغْتَدُونَ^(١) يعني اليهود وبعدها: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} {والضمير راجع إليهم أي: منهم من كفر بمحمد ومنهم من آمن^(٢). وان الدين الاسلامي ناسخ لجميع الأديان السابقة فعندما آمن عبد الله بن سلام وأصحابه، بالنبِيِّ ﷺ قاموا بشرائعه وشرائع موسى عليه السلام، فعظموا السبوت وكرهوا لحوم الإبل وألبانها بعدما أسلموا، فأنكر ذلك عليهم المسلمون، فقالوا: إِنَّا نَقْوِي عَلَى هَذَا وَهَذَا وَقَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ التَّورَةَ كِتَابُ اللَّهِ فَدَعْنَا فَلْنَعْمَلْ بِهَا، فَأَنْزَلَ^(٣) اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ^(٤).
 ودخل بعض اليهود في الإسلام وهو يرجوا عرض الدنيا وليس عن إيمان وقناعة كما روى أبو سعيد الخدري^(٥) رضي الله عنه أنه قال: أسلم رجل من اليهود فذهب بصره، وماله، وولده وتشاءم بالإسلام، فأتى النبي ﷺ - فقال: أقلني، فقال: (إن الإسلام لا يقال)، فقال: إني لم أصب في

(١) سورة آل عمران آية ١١٢.

(٢) ابن حجر ، العجَاب في بيان الأسباب (كلام المحقق) ٢ / ٧٣٨.

(٣) الواحدي، أسباب النزول، ص ١٧٩؛ ابن حجر، العجَاب في بيان الأسباب ١ / ٥٢٩.

(٤) سورة البقرة آية ٢٠٨.

(٥) أبو سعيد سعد بن مالك بن شيبان الخزرجي الخدري، من فضلاء الصحابة ومن المكثرين في رواية الحديث شهد الخندق وما بعدها، توفي سنة ٧٤هـ. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٨١٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٦ / ١٣٨؛ الذهبي، تنكرة الحفاظ ١ / ٤٤

ديني هذا خيراً، أذهب بصري، ومالي، وولدي، فقال: (يا يهودي إن الإسلام يَسْبُكَ الرجال كما تسبك النار خبث الحديد، والفضة، والذهب)^(١)، قال: ونزلت: ﴿مَنْ النَّاسِ مِنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٢).

ولحكمة لا يعلمها إلا الله تعالى ولسعة رحمة الباري عز وجل بعباده وتيسير أسباب الهداية لهم وما تعودت عليه نفوسهم أمر الله تعالى نبيه - ﷺ - لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان رسول الله - ﷺ - يحب أن يتوجه نحو الكعبة، فأُنزل^(٣) الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^(٤) فكان أول ما نسخ من القرآن القبلة، فقال السفهاء من الناس

(١) الواحدي، أسباب النزول، ص ٥٠١؛ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ط ٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، ٤١٠/٥؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٢٩/١٤؛ الشوكاني، فتح القدير ٣/٥٢٣.

(٢) سورة الحج آية ١١

(٣) الطبري، جامع البيان ٦٥٨/٢-٦٥٩؛ الواحدي، أسباب النزول ص ١٤٩-١٥٠؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٥٨/١؛ ياسين، الصحيح المسبور ١/٢٢١.

(٤) سورة البقرة آية ١٤٤.

- وهم اليهود - ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها^(١)؟ قال الله تعالى فيهم: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهَمَ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} ^(٢) وارتاب من ذلك اليهود ، فأُنزل اللهُ تعالى: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ} ^(٣) وأنَّ يهودَ المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي - ﷺ - إلى قبلتهم فلما صرف اللهُ القبلة إلى الكعبة شقَّ ذلك عليهم، فيئسوا منه أن يوافقهم على دينهم ^(٤)، فأُنزل ^(٥) اللهُ تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ

(١) الطبري، جامع البيان، ٤٥٠/٢؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ٢٤٨/١؛ النحاس؛ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨هـ)، الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك، تحقيق: سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩١م، ٤٥٥/١.

(٢) سورة البقرة آية ١٤٢.

(٣) سورة البقرة آية ١١٥.

(٤) الواحدي، أسباب النزول، ص ١٤٧؛ البغوي، معالم التنزيل ٢٦٦/١؛ السيوطي، لباب النقول ص ٢٥.

(٥) الطبري، جامع البيان ٥٦٢ / ٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ١٨ / ١٠٢؛ ابن حجر، العجاب في بيان الأسباب ١ / ٣٧٢؛ حكمت بن بشير بن ياسين، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ١ / ٢٢٥.

اليهود ولا النصارى حتى تتبع مئتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير^(١).

وأن رؤوس يهود المدينة: كعب بن الأشرف^(٢)، ومالك بن الصيف، ووهب بن يهوذا، وأبي ياسر بن أخطب^(٣)؛ ونصارى أهل نجران؛ خاصموا المسلمين في الدين، كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله تعالى من غيرها، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء، وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعيسى والإنجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى: نبينا عيسى أفضل الأنبياء وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب وديننا

(١) سورة البقرة آية ١٢٠.

(٢) كعب بن الأشرف الطائي شاعر يهودي، أمه من بني النضير وكان سيداً فيهم كثير الهجاء للمسلمين وشبب بنساء المسلمين فأمر الرسول صلى الله عليه محمد بن مسلمة ورهطاً معه من الأنصار فقتلوه ليلاً عام ٣ هـ. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف بمصر، ٤٨٧/٢؛ المرزباني؛ محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ)، معجم الشعراء، تصحيح وتعليق: ف. كرنكو، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٣٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٣٢٦/٥.

(٣) هؤلاء أحناب اليهود ورؤساءهم كانوا شديدي العداوة لرسول الله ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، وكانوا يكثرون الأسئلة لرسول الله ﷺ على وجه التعنت والعناد والكفر. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية ١٦٠/٢-١٦٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٥/٥-٨.

أفضل الأديان وكفرت بمحمد والقرآن ، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك ودعوهم إلى دينهم^(١) وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢). وكان لليهود ثقل تجاري في المدينة وإن سبغ قوافل وافت من بصرى^(٣) وأذرع^(٤) ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البزّ وأوعية الطيب والجواهر وأمتعة البحر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها فأنفقناها في سبيل الله^(٥)، فأنزل الله

(١) الواحدي، أسباب النزول ص ١٤٨؛ البغوي، معالم التنزيل ١/١٥٥؛ ابن حجر، العجائب في بيان الأسباب ١/٣٨٠.

(٢) سورة البقرة آية ١٣٥.

(٣) بُصْرَى: في الشام من أعمال دمشق، وهي قصبه كورة حوران، مشهورة عند العرب ، ولما سار خالد بن الوليد رضي الله عنه من العراق لمدد أهل الشام قدم على المسلمين وهم نزول ببصرى، فضايقوا أهلها حتى صالحوهم على أن يؤدّوا عن كل حالم ديناراً وجريب حنطة، وافتتح المسلمون جميع أرض حوران وغلبوا عليها وقتئذ، وذلك في سنة ١٣ هـ. ينظر: الحموي ، معجم البلدان ١/٤٤١ .

(٤) أذرع^(٤) بلدة في أطراف الشام وتسمى أذرع وتجاور أرض البلقاء وعمّان. ينظر: البكري، معجم ما استعجم ١/١٣١؛ الحموي، معجم البلدان ١/١٣٠؛ البغدادي، مرصد الاطلاع ١/٤٧؛ البلادي؛ عاتق بن غيث (ت ١٤٣١هـ)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٩٨٢م، ص ٢١.

(٥) الرازي. التفسير الكبير ١٩/١٦٧ .

تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(١)، وقال أعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه السبع القوافل^(٢).

وكان ناس من اليهود أسلموا ووافق بعضهم، وكانت قريظة والنضير في الجاهلية إذا قتل رجل من بني قريظة رجلا من بني النضير قتل به وأخذ ديته مائة وسق^(٣) من تمر، وإذا قتل رجل من بني النضير رجلا من قريظة لم يقتل به وأعطى ديته ستين وسقا من تمر، وكانت النضير حلفاء الأوس وكانوا أكبر وأشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج، فقتل رجل من النضير رجلا من قريظة واختصموا في ذلك، فقالت بنو النضير: إنا وأنتم كنا اصطلحنا في الجاهلية على أن نقتل منكم ولا تقتلوا منا، وعلى أن

(١) سورة الحجر آية ٨٧.

(٢) الواحدي، أسباب النزول، ص ٤٦٠؛ ابن الجوزي، زاد المسير ٤/٤١٢؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٢/٣٥٠.

(٣) الوسق: ستون صاعاً عند أهل الحجاز، وقدر حجمه بعض المعاصرين بحوالي (١٦٥) لتر وقيل (٢٥٠) لتر، أما وزنه فحوالي (١٩٥) كيلو جرام عند الحنفية وعند الجمهور (١٣٠.٥٠٠) كيلو جرام. ينظر: المقرئ، الأوزان والأكيال الشرعية، تحقيق: سلطان بن هليل بن عيد المسمار، ط ١، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧م، ص ٨٠؛ هنتس؛ فالتر، المكييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، (د.ت.)، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠، ص ٧٩؛ محمد؛ علي جمعة، المكييل والموازن الشرعية، ط ٢، القدس للنشر والإعلان، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٤١؛ حلاق؛ محمد صبحي بن حسن، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكييل والأوزان، ط ١، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ٢٠٠٧م، ص ١٢٠-١٢٤.

دينكم ستون وسقا - والوسق ستون صاعا - وديتنا مائة وسق فنحن نعطيكم ذلك، فقالت: الخرج: هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لأنكم كثرتم وقللنا فقهرتمونا، ونحن وأنتم اليوم إخوة وديننا ودينكم واحد، وليس لكم علينا فضل؛ فقال المنافقون: انطلقوا إلى أبي بردة الكاهن الأسلمي^(١)؛ وقال المسلمون: لا بل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأبى المنافقون وانطلقوا إلى أبي بردة ليحكم بينهم، فقال: أعظموا اللقمة: يعني الرشوة، فقالوا: لك عشرة أوسق، قال: لا، بل مائة وسق ديتي، فإني أخاف إن نفرت^(٢) النضيري قتلتي قريظة، وإن نفرت القريظي قتلتي النضير، فأبوا أن يعطوه فوق عشر أوسق وأبى أن يحكم بينهم، فأُنزل^(٣) الله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى

(١) أبو بردة الأسلمي أحد الكهان الذين يقضون بين اليهود فيما يتنافرون إليه ، دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأبى. ثم كلمه ابنه في ذلك فأجاب إليه وأسلم . ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان ٣/٣٣٨؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٣٠١؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ٧/٣٢.

(٢) نافر: حاكم يقال نافت الرجل منافرة: إذا قاضيته. ونَفَرَه وأنْفَرَه إذا حكم له بالغلبة، وهو من المنافرة وهي المفاخرة. ينظر: الجوهري، الصحاح، مادة (نفر)، ٢/٨٣٤؛ الزمخشري، أساس البلاغة ٢/٢٩٢؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (نفر) ٦/٤٤٩٩؛ الزبيدي، تاج العروس ١٤/٢٧٠.

(٣) الثعلبي، الكشف والبيان ٣/٣٣٧-٣٣٨؛ الواحدي ، أسباب النزول ص ٣٠١؛ البغوي، معالم التنزيل ٢/٢٤٣.

الطَّاغُوتُ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا^(١)، فدعا النبي - ﷺ -
كاهن أسلم إلى الإسلام، فأبى فانصرف، فقال النبي - ﷺ - لابنيه: (أدركا أباكما،
فإنه إن جاوز عقبة كذا لم يسلم أبدا)، فأدركاه فلم يزلوا به حتى انصرف وأسلم، وأمر
النبي - ﷺ - مناديا فنادى: (ألا إن كاهن أسلم قد أسلم)^(٢).

ولما أصاب رسول الله - ﷺ - قريشا ببدر، فقدم المدينة جمع اليهود وقال: يا معشر
اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر، وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل
بهم، فقد عرفتم أنني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم، فقالوا: يا
محمد، لا يغزتك أنك لقيت قوماً أغماراً^(٣) لا علم لهم بالحرب، فأصبت فيهم فرصة، أما
والله لو قاتلناك

(١) سورة النساء آية ٦٠ .

(٢) السدي الكبير؛ إسماعيل بن عبد الرحمن (ت١٢٨هـ)، تفسير السدي الكبير، جمع وتوثيق
ودراسة: محمد عطا يوسف، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة - مصر، ١٩٩٣م ،
ص٢٠٧-٢٠٨؛ الثعلبي، الكشف والبيان ٣/٣٣٧-٣٣٨؛ الواحدي ، أسباب النزول
ص٣٠١؛ ابن عادل؛ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي (ت٨٨٠هـ)،
اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار
الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ٦/٤٥٤-٤٥٥.

(٣) الأغمار: جمع غمر بالضم، وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور. ينظر: الجوهري،
الصاحح تاج اللغة ٢/٧٧٢-٧٧٣؛ ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٣٨٥؛
الزبيدي، تاج العروس ١٣/٢٥٧.

لعرفت أننا نحن الناس، فأُنزل^(١) الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُّغْلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادُ﴾^(٢).

وأقبلوا إلى النبي ﷺ - فقالوا: يا أبا القاسم نسألك عن أشياء فإن أحببتنا فيها اتبعناك، أخبرنا من الذي يأتيك من الملائكة؟ فإنه ليس من نبي إلا يأتيه ملك من عند ربه - عز وجل - بالرسالة بالوحي فمن صاحبك؟ قال: "جبريل" قالوا: ذاك الذي ينزل بالحرب وبالقتال، ذاك عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالمطر والرحمة اتبعناك^(٣)، فأُنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبَشْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

(١) أبو داود؛ سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، السنن، تحقيق: محمد عوامة، ط١، مؤسسة الريان، بيروت، ١٩٩٨م، ١٦٥/٣؛ الطبري، جامع البيان ٢٣٩/٥؛ البغوي، معالم التنزيل ١٣/٢.

(٢) سورة آل عمران آية ١٢.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ٤٥/١٢-٤٦؛ أبو نعيم، حلية الأولياء ٣٠٥/٤؛ الواحدي، أسباب النزول، ١٣٢-١٣٣.

(٤) سورة البقرة آية ٩٧.

وكان بعض الصحابة يتغشى اليهود في مدارسهم ويدعون الاحبار للاسلام فكان
لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة، وممرها على مدراس اليهود،
وكان إذا أتى أرضه يأتيهم ويسمع منهم، فقال : - رضي الله عنه - كنت آتي اليهود
عند دراستهم التوراة فأعجب من موافقة القرآن التوراة، وموافقة التوراة القرآن، فقالوا:
يا عمر ما أحد أحب إلينا منك، قلت: ولم؟ قالوا: لأنك تأتينا وتغشانا، قلت: إنما
أجيء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضًا وموافقة التوراة القرآن، وموافقة
القرآن التوراة، فبينما أنا عندهم ذات يوم إذ مرّ رسول الله - ﷺ - خلف ظهري،
فقالوا: إن هذا صاحبك فقم إليه، فالتفت إليه وقلت لهم : أنشدكم بالله وما أنزل عليكم
من كتاب أتعلمون أنه رسول الله؟ فقال سيدهم: قد ناشدكم الله فأخبروه. فقالوا: أنت
سيدنا فأخبره، فقال سيدهم: إنا نعلم أنه رسول الله قال: فقلت: فأنت أهلكهم إن كنتم
تعلمون أنه رسول الله - ﷺ - ثم لم تتبعوه، قالوا: إن لنا عدوًا من الملائكة وسلما من
الملائكة، فقلت: من عدوكم، ومن سلمكم؟ قالوا: عدونا جبريل وهو ملك الفضافة
والغلظة والآصار والتشديد؛ قلت: ومن سلمكم؟ قالوا: ميكائيل وهو ملك الرأفة واللين
والتيسير قلت: فأني أشهد ما يحل لجبريل أن يعادي سلم ميكائيل، وما يحل لميكائيل
أن يسالم عدو جبريل، وإنهما جميعًا ومن معهما أعداء لمن عادوا وسلم لمن
سالمو^(١)، ثم قمت فدخلت الخوخة التي دخلها رسول الله

(١) الواحدي، أسباب النزول، ص ١٣٣-١٣٥؛ البغوي، معالم التنزيل ١/١٢٤؛ ابن القيم؛ شمس
الدين محمد بن أبي بكر الزرعي (ت ٧٥٠هـ)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،
تحقيق: محمد أحمد الحاج، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٦م، ص ٣٩٦-٣٩٧.

- ﷺ - فاستقبلني فقال: يا ابن الخطاب ألا أقرؤك آيات نزلت علي؟ قلت: بلى فقرأ^(١) قوله تعالى: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ} (٢) .

قلت^(٣): والذي بعثك بالحق ما جننتُ إلا أخبرك بقول اليهود، فإذا اللطيف الخبير قد سبقني بالخبر، قال عمر: فلقد رأيتني أشدَّ في دين الله من حجر. وقالت اليهود: إن جبريل عدونا أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا، فأنزل الله هذه الآية^(٤).

-
- (١) أن النبي ﷺ قرأ الآية ردا لقول اليهود ولا يستلزم ذلك نزولها حينئذ وهذا هو المعتمد وكان النبي ﷺ لما قال له عبد الله بن سلام إن جبريل عدو اليهود تلا عليه الآية منكرًا له سبب نزولها والله أعلم. ينظر: ابن حجر، فتح الباري ٨/ ١٦٦ .
- (٢) سورة البقرة الآيتان ٩٨، ٩٩ .
- (٣) ان الروايتين تدل على ان هذا القول صدر عن اليهود ولا مانع أن يتعدد السبب، فيكون قد حدث مرة مع النبي ﷺ ومرة مع عمر رضي الله عنه . ينظر: الواحدي، أسباب النزول، تحقيق: عصام الحميدان ٢٨، ٢٩، (كلام المحقق) .
- (٤) الثعلبي، الكشف والبيان ٢٣٩/١؛ ابن حجر، العجائب في بيان الأسباب ٢٩٨/١ .

ولما دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بيت المدراس وجد من يهود ناسا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص^(١)، كان من علمائهم وأخبارهم، ومعه حبر يقال له أشيع. فقال أبو بكر رضي الله عنه لفنحاص: ويحك يا فنحاص، اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله، قد جاءكم بالحق من عند الله، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل! قال فنحاص: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير! وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإننا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم! ينهاكم عن الربا ويعطيناه! ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا! فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله! فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، انظر ما صنع بي صاحبك! فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: (ما حملك على ما صنعت؟) فقال: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولا عظيما، زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء! فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، فضربت وجهه. فجدد ذلك فنحاص وقال: ما قلت

(١) فنحاص، من علماء وأخبار اليهود ومن الأخبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة. ينظر: مغازي الواقدي ٣٢٨/١؛ ابن هشام، السيرة النبوية ٢٠٧/٢-٢٠٨؛ السهيلي، الروض الأنف ٣٦٢/٤-٣٦٣.

ذلك! فأُنزل^(١) الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٢).

وكان علماء بني اسرائيل يبخلون بما عندهم من العلم وينهون العلماء ان يعلموا الناس شيئاً^(٣)، ويتظاهرون بالنصح فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: كان كردم بن زيد حليف كعب بن الأشرف، وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبحري بن عمرو، وحبي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التابوت، يأتون رجالا من الأنصار، وكانوا يخالطونهم، يتنصحن لهم من أصحاب رسول الله ﷺ، فيقولون لهم: لا تتفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ٢/٢٠٧-٢٠٨؛ الطبري، جامع البيان ٦/٢٧٨-٢٧٩؛ البيهقي، معالم التنزيل ٢/١٤٣-١٤٤؛ الشوكاني، فتح القدير ١/٦٥٨-٦٥٩.
(٢) سورة آل عمران آية ١٨١.
(٣) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم ٣/٩٥١؛ السيوطي، الدر المنثور ٤/٤٣٧.

فإنكم لا تدرون ما يكون، فأنزل^(١) الله تعالى فيهم: {الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٣٧)} وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا^(٢) .

وعلى الرغم من أقوالهم وأفعالهم الباطلة كانوا يزكون أنفسهم فأتى جماعة منهم رسول الله ﷺ بأطفالهم وقالوا: يا محمد، هل على أولادنا هؤلاء من ذنب؟ قال: لا، فقالوا: والذي نحلف به ما نحن إلا كهيتهم، ما من ذنب نعمله بالنهار إلا كفر عنا بالليل، وما من ذنب نعمله بالليل إلا كفر عنا بالنهار وكانت اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم، ويقربون قربانهم، ويزعمون

(١) الطبري، جامع البيان ٢٤/٧؛ ابن الجوزي، زاد المسير ٣٧/٢-٣٨؛ السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ٤/٤٣٦؛ الالوسي؛ شهاب الدين محمود البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (د.ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٣٠/٥.

(٢) سورة النساء الآيات ٣٧ - ٣٩.

أنه لا ذنوب لهم وكذبوا فأنزل^(١) الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بِلِ اللَّهِ يُزَكِّي مِنْ يَشَاءَ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾^(٢).

ويحسد اليهود النَّاسَ على ما آتاهم الله من فضله، من أجل أنهم ليسوا منهم؟ فكيف لا يحسدون آل إبراهيم، وقال الله تعالى عنهم ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا﴾^(٣) آتاهم الكتاب كصحف إبراهيم وموسى والزبور وسائر ما آتاهم من الكتب والحكمة^(٤)، ما أوحى إليهم مما لم يكن كتابًا مقروءًا .

(١) الواحدي، أسباب النزول ص ٢٩٢؛ البغوي، معالم التنزيل ٢/٢٣٣؛ الزمخشري، الكشاف، ٢/٩٠؛ ابن الجوزي، زاد المسير ٢/٤٩.

(٢) سورة النساء الآية ٤٩.

(٣) سورة النساء الآية ٥٤.

(٤) الحكمة: السنة، وقيل: إنها تطلق على الفقه والعلم بالدين وعلى ما ينفع من موعظة ونحوها وعلى الحكم بالحق وعلى الفهم عن الله ورسوله والإصابة. ابن حجر، هدي الساري مقدمة فتح الباري، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط ١، دار طيبة، الرياض، ٢٠٠٥م، ١/٢٦٥.

المبحث الثاني

التحريف وكتمان الحق وافتراء الباطل دينا لليهود

كان اليهود يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل^(١)، وبشر بن البراء بن معرور^(٢): يا معشر يهود،

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الخزرجي الأنصاري شهد العقبة وبدرا، وكان إماما ربانيا، قال له النبي ﷺ: (يا معاذ، والله إني أحبك)، وقال النبي ﷺ: (إِنَّهُ يَتَقَدَّمُ الْعُلَمَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِرِثْوَةٍ) أَي بِحَطْوَةٍ وَقِيلَ بِدَرَجَةٍ، وكان معاذ رجلا طويلا أبيض، حسن الشعر، عظيم العينين، مجموع الحاجبين، جعدا قططا، أسلم وله ثماني عشرة سنة، وعاش بضعا وثلاثين سنة، واستشهد هو وابنه في طاعون عمواس، وأصيب ابنه عبد الرحمن قبله سنة ١٨ هـ وقبره بالغور. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ٣/٥٣٩-٥٤٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٥/١٨٧-١٩٠؛ ابن حجر، الإصابة ١٠/٢٠٢-٢٠٦.

(٢) بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن خنساء الأنصاري الخزرجي، من بني سلمة شهد العقبة وبدرا، وأبوه أحد النقباء ليلة العقبة. وهو الذي قال رسول الله ﷺ: (يا بني سلمة، من سيدكم؟) قالوا: الجد بن قيس، على بخل فيه. فقال: "وأى داء أدوى من البخل؟ بل سيدكم الأبيض الجعد بشر بن البراء)، وأن النبي ﷺ أهدت له يهودية بخير شاة، فلما أكل رسول الله ﷺ لقمة قال: "ارفعوا أيديكم فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة" فقال بشر: والذي أكرمك، لقد وجدت ذلك من أكلتي، فما منعني أن ألفظها إلا أنني كرهت أن أبغض إليك طعامك، فمات بشر بن البراء بن معرور، وأمر بها النبي ﷺ فقتلت. ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة ١/٣٨٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٨٣-٨٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة ١/٣٨٠-٣٨١.

اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فكانوا يقولون: إن نبيا الآن مبعثه قد أظل زمانه، يقتلكم قتل عاد^(١) وإرم^(٢)، فلما بعث الله تعالى ذكره رسوله من قريش واتبعناه، كفروا به. يقول الله: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ}، فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكره لكم، فأُنزل^(٣) الله تعالى في ذلك من قولهم: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} ^(٤).

غيروا صفة النبي ﷺ في كتابهم وجعلوه آدم سبطاً طويلاً، وكان ربعة أسمر، وقالوا لأصحابهم وأتباعهم: انظروا إلى صفة النبي، الذي

(١) في حضرموت أماكن قديمة "حضرمية وسبئية"، تنسب إلى عاد وأن بها قبر هود عليه السلام، ومن آثار قوم عاد. (محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، ط ٢، دار المعرفة الجامعية، ص ٢١٨).

(٢) إرم ذات العماد ويقال إنها دمشق، وإن بها أربع مئة ألف عمود من حجارة، ونزلها جيرون بن سعد بن عاد، فسميت باسمه جيرون. ويقال إن إرم ذات العماد بتيه أبين من اليمن، وبهذا التيه سكن إرم بن سام بن نوح، فسميت به. ينظر: البكري، معجم ما استعجم ١/١٤٠؛ الحميري، روض المعطار، ص ٢٢.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية ١٩٦/٢؛ الطبري، جامع البيان ٢٣٧/٢؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣٢٦/١.

(٤) سورة البقرة الآية ٨٩.

يُبعث في آخر الزمان، ليس يشبه نعت هذا، وكانت للأخبار والعلماء مأكلة من سائر اليهود، فخافوا أن يذهبوا مآكلتهم إن بيَّنوا الصفة، فمن ثمَّ غيروا فنزل^(١) قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

وقد توعد الله تعالى الذين يكتُمون الكتاب الذي أنزله على رسوله ولا يُعلِّمونه ولا ينشرونه ولا يبينون أحكامه للناس بالطرد والإبعاد من رحمته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعُنُونَ﴾^(٣).

نزلت في علماء أهل الكتاب وكتمانهم آية الرجم وأمر رسول الله محمد - ﷺ -^(٤) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمْ

(١) الواحدي، أسباب النزول، ص ١٢٩؛ ابن حجر، العجايب في بيان الأسباب ١/٢٧١.

(٢) سورة البقرة آية ٧٩.

(٣) سورة البقرة آية ١٥٩.

(٤) الواحدي، أسباب النزول، ص ١٥٥؛ أبو حيان الأندلسي؛ محمد بن يوسف (ت ٧٣٢هـ)، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٣م، ١/٦٣٣؛ ابن حجر، العجايب في بيان الأسباب ١/٤١١.

الله يوم القيامة ولا يُزكّيهم وهم عذاب أليم^(١) نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يصيبون من أتباعهم الهدايا والفضول، وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب مآكلتهم وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة محمد - ﷺ - فغيروها ثم أخرجوها إليهم، وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان، لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فإذا نظرت السفلة إلى النعت المتغير وجدوه مخالفاً لصفة محمد - ﷺ - فلا يتبعونه وكنتموا اسم محمد - ﷺ - واخذوا عليه طمعا قليلا فهو الثمن القليل^(٢).

واما مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه فكانوا يعرفون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنعته وصفته وبعثه في كتابهم كما يعرف أحدهم ولده إذا رآه مع الغلمان؛ قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: لأننا أشدّ معرفة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - مني بابني، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وكيف ذاك يا ابن سلام؟ قال: لأنني أشهد أن محمداً رسول الله حقاً يقيناً، وأنا لا أشهد بذلك على ابني، لأنني لا أدري ما أحدث النساء، فقال عمر: وفقك الله

(١) سورة البقرة آية ١٧٤.

(٢) الثعلبي، الكشف والبيان ٤٧/٢؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ١٥٧.

يا ابن سلام^(١)، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

وكذلك نزل في أحبار اليهود قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ فَجَاءَهُ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَكَانَ الْعُدَّةَ لِلْإِسْلَامِ الْأَقْبَىٰ﴾^(٣) لكتمانهم العلم الذي آتاهم الله تعالى^(٤)، قال مروان بن

(١) السمرقندي؛ أبو الليث نصر بن محمد (ت ٣٧٥هـ)، بحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض وعادل عبد الموجود وزكريا عبد المجيد النوتي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٣م، ١/١٦٦؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ١٥٢؛ الشربيني؛ شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب (ت ٩٧٧هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية)، مصر، ١٨٨١م، ١/١٠٢-١٠٣.

(٢) سورة البقرة آية ١٤٦.

(٣) سورة آل عمران آية ١٨٨.

(٤) الثعلبي، الكشف والبيان ٣/٢٢١؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٦٣؛ العيني؛ بدر الدين محمود بن أحمد الحنفي (ت ٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠١م، ١٨/٢٠٣-٢٠٤.

الحكم^(١)، لبوابه رافع : اذهب يا رافع^(٢) إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل، معذبا لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أنزلت^(٣) هذه الآية في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُغِضَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ

(١) مروان بن الحكم ابن أبي العاص ابن أمية أبو عبد الملك الأموي المدني ولي الخلافة في آخر سنة أربع وستين ومات سنة خمس وستون في رمضان وله ثلاث أو إحدى وستون سنة لا تثبت له صحبة . ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ٧/٣٩-٤٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٥٧/٢٢٤-٢٨٠؛ ابن حجر، الإصابة ١٠/٣٨٨-٣٩١.

(٢) رافع المدني بواب مروان بن الحكم له نكر في كتب السنة. ينظر: الذهبي، تذهيب التهذيب، ٣/٢٠٢؛ الحسيني، التذكرة في معرفة رجال العشرة، ١/٤٧٠؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/٥٨٦.

(٣) إن رجالا من المنافقين كان يعتذر عن التخلف هكذا ذكره أبو سعيد الخدري رضي الله عنه في سبب نزول الآية وفي حديث بن عباس رضي الله عنه الذي بعده أن المراد من أجاب من اليهود بغير ما سئل عنه وكنتموا ما عندهم من ذلك ويمكن الجمع بأن تكون الآية نزلت في الفريقين معا وبهذا أجاب القرطبي وغيره وحكى الفراء أنها نزلت في قول اليهود نحن أهل الكتاب الأول والصلاة والطاعة ومع ذلك لا يقرؤون بعهد - ﷺ - فنزلت ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا وروى بن أبي حاتم من طرائق أخرى عن جماعة من التابعين نحو ذلك ورجحه الطبري. ينظر: ابن حجر ، فتح الباري ٨ / ٢٣٣ .

يُفْرِحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْتَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١)،
وقال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه، إياه وأخبروه بغيره، وأروه أن قد
أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه، ما
سألهم عنه^(٢).

وكذلك لما جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف، فخاصم النبي ﷺ -
فقال له النبي ﷺ: (أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله
يبغض الحبر السمين؟)، وكان حبراً سمينا، فغضب وقال: والله ما أنزل الله على بشر
من شيء، فقال له أصحابه الذين معه: ويحك، ولا على موسى؟! فقال: والله ما أنزل
الله على بشر من شيء، فأنزل^(٣) الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَ قِرَاطِيْسَ
تَبَدُّونَهَا وَيَخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(٤).

(١) سورة آل عمران الايتان ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٢) أحمد، مسند الإمام أحمد ٤/٤٤٤-٤٤٥؛ مسلم، صحيح مسلم، ٤/٤٣١؛ الطبري، جامع
البيان، ٦/٣٠٥؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٣) الطبري، جامع البيان ٩/٣٩٣-٣٩٤؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم ٤/١٣٤٢؛
الثعلبي، الكشف والبيان ٤/١٦٨؛ السيوطي، الدر المنثور ٦/١٢٦-١٢٧.

(٤) سورة الأنعام آية ٩١.

ويسأل جبل بن أبي قشير وسمول بن زيد رسول الله ﷺ يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا كما تقول، فإننا نعلم متى هي، فأُنزل^(١) الله تعالى {يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون^(٢)، وقال ابن عاشور^(٣): يسأل اليهود عن الساعة اختبارا للنبي ﷺ ويعلنونه في دهائمهم ليقتلعوا من نفوسهم ما عسى أن يخالطها من النظر في صدق الدعوة المحمدية، وهؤلاء هم نظير سؤالهم عن أهل الكهف وعن الروح^(٤)، وأما سؤال المؤمنين فاتهم يسألون عن أحوالها وأهوالها، وهؤلاء هم الذين في قوله تعالى: {يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ٢/٢١٨؛ الطبري، جامع البيان ١٠/٦٠٤؛ الثعلبي، الكشف والبيان

٤/٣١٣؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٣٨٧؛ السيوطي، لباب النقول، ص ١١٩.

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٧.

(٣) محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس

عالم بالتفسير والأصول والفقاه توفي عام ١٣٩٣ هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام ٦/١٧٤؛ كحالة،

معجم المؤلفين ٣/٣٦٣؛ نويهض؛ عادل، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر

الحاضر، ط ٣، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، ١٩٨٨ م، ص ٥٤١؛ يوسف، معجم المؤلفين

المعاصرين ٢/٦٢٨.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢/١١٣-١١٤.

أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يَمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨) {^(١)، ويسألون عنها محبة لمعرفة المغيبات، وهؤلاء نهوا عن الأشتغال بذلك كما في الحديث: أن رجلا سأل رسول الله: متى الساعة؟ فقال النبي ﷺ: (ماذا أعددت لها؟) فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أعددت لها كثير صلاة ولا صوم سوى أنى أحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: (أنت مع من أحببت)^(٢).

مر على النبي ﷺ يهودي محمما^(٣) مجلودا، فدعاهم ﷺ، فقال: (هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟)، قالوا: نعم، فدعا رجلا من علمائهم، فقال: (أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم) قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرفنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم، والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه)، فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا

(١) سورة الشورى آية ١٨.

(٢) البخاري، صحيح البخاري ١٢/٥؛ مسلم، صحيح مسلم ٢٠٣٢/٤؛ الترمذي، سنن الترمذي ٥٩٥/٤.

(٣) محم أي مسود الوجه، حممه تحميما: طلى وجهه بالفحم. ينظر: ابن الجوزي، غريب الحديث ٢٤٤/١-٢٤٥؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٤٤٤/١؛ ابن منظور، لسان العرب ١٠١٠/٢؛ الزبيدي، تاج العروس ٢١/٣٣.

بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ
مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ
اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ^(١).

يقول: انتوا محمداً - ﷺ -، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم
فاحذروا، فأنزل^(٢) الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا
لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ
وَإِخْشَاؤُكُمْ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ^(٣)﴾، ﴿وَكَتَبْنَا
عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ
قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

(١) سورة المائدة آية ٤١.

(٢) أحمد، مسند الإمام أحمد ٤٨٩/٣٠ - ٤٩١؛ مسلم، صحيح مسلم ١٣٢٧/٣؛ أبو داود، سنن أبي
داود ١٠٥/٥ - ١٠٦؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

(٣) سورة المائدة آية ٤٤.

الظالمون} (١)، { ولْيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (٢).

وكذلك روى أبو هريرة (٣) رضي الله عنه قائلا: " زنى رجل من اليهود وامرأة، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبي، فإنه نبي بعث بالتخفيف، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها، واحتججنا بها عند الله، قلنا: فتيا نبي من أنبيائك، قال: فأتوا النبي ﷺ وهو جالس في المسجد في أصحابه، فقالوا: يا أبا القاسم، ما ترى في رجل وامرأة زنيا؟ فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم، فقام على الباب، فقال: (أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحسن؟) قالوا: يحمم، ويجبه، ويجلد - والتجبيه: أن يحمل الزانيان على حمار، وتقابل أفتيتهما،

(١) سورة المائدة آية ٤٥.

(٢) سورة المائدة آية ٤٧.

(٣) أبو هريرة الدوسي صاحب رسول الله ﷺ أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ ثم لزمه وواظب عليه فكان أكثر الصحابة حديثا، كثير العبادة والذكر، حسن الأخلاق توفي سنة ٥٧ هـ وقيل ٥٨ هـ وقيل أيضا ٥٩ هـ. ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ٢١-٢٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٣١٣/٦؛ ابن عبد الهادي، طبقات علماء الحديث ٩١/١؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد ابن بسيوني زغول، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٥م، ٤٦/١

ويطاف بهما - قال: وسكت شاب منهم، فلما رآه النبي ﷺ سكت، أظ به^(١) النشدة، فقال: اللهم إذ نشدتنا، فإننا نجد في التوراة الرجم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (فما أول ما ارتخصتم أمر الله؟) قال: زنى ذو قرابة من ملك من ملوكنا، فأخر عنه الرجم، ثم زنى رجل في أسرة من الناس، فأراد رجمه، فحال قومه دونه، وقالوا: لا يرم صاحبا حتى تجيء بصاحبك فترجمه، فاصطلحوا على هذه العقوبة بينهم، فقال النبي ﷺ: (فإني أحكم بما في التوراة) فأمر بهما فرجما، ونزل^(٢) فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَآخِشُوا اللَّهَ فَإِنَّهُ يَخْشَى الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءً لِمَ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣).

(١) أظ به النشدة: أي ألح في سؤاله وألزمه إياه. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٥٢/٤؛ ابن منظور، لسان العرب مادة (لظظ) ٤٠٣٨/٥؛ الزبيدي، تاج العروس ٢٧١/٢٠.

(٢) الصنعاني؛ عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ)، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، ٣١٧/٧-٣١٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية ٢/٢١٣؛ أبو داود، سنن أبي داود ١٠٧/٥-١٠٨؛ الطبري، جامع البيان ٤١٦/٨-٤١٧.

(٣) سورة المائدة آية ٤٤.

ومن عادات اليهود التي ليس لها اصل في الدين انهم إذا حاضت منهم امرأة أخرجوها من البيت، فلم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيوت، فسئل رسول الله - ﷺ - عن ذلك فأُنزل (١) الله - عز وجل - ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢) .

فقال رسول الله ﷺ (اصنعوا كل شيء إلا النكاح) فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً، إلا خالفنا فيه (٣) .

وكانت اليهود لا تألو ما شددت على المسلمين، كانوا يقولون: يا أصحاب محمد، إنه والله ما يحل لكم أن تأتوا نساءكم إلا من وجه واحد (٤) ويقولون: إذا أتى الرجل امرأته بركة جاء الولد أحول. فنزلت (٥) ﴿نِسَاءُكُمْ حَرَّتْ كُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَلَى شِعْتُمْ وَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ

(١) مسلم، صحيح مسلم ٢٤٦/١؛ أبو داود، سنن أبي داود ٥٦/٣-٥٧؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ١٩٠.

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٢.

(٣) أحمد، مسند أحمد ١٩ / ٣٥٦؛ مسلم، صحيح مسلم ١ / ٢٤٦؛ ابن كثير، تفسير ١ / ٤٣٨.

(٤) البخاري، صحيح البخاري ٦ / ٢٩؛ مسلم، صحيح مسلم ٢ / ١٠٥٨.

(٥) الطبري، جامع البيان ٤ / ٤١٢؛ الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢ / ١٦١؛ ابن كثير، التفسير ١ / ٥٨٩.

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ^(١) أنت الحارث حيث شئت يعني بذلك موضع مزرعة الولد^(٢) (أقبل، وأدبر، واتفق الدبر، والحیضة)^(٣) .

ومن عادات الجاهلية كانت المرأة من نساء الأنصار تكون مقلات^(٤) لا يكاد يعيش لها ولد فتحلف لئن عاش لها ولد أن تهوِّده، فلما أجليت النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل^(٥) الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٦) فمن شاء لحق بهم ومن شاء دخل في الإسلام .

ويتوارثون الأباطيل والظنون التي ليس لها سند شرعي ويجعلونها ديناً فلما قدم رسول الله - ﷺ - المدينة واليهود تقول: إنما هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، إنما يعذب الناس في النار لكل ألف سنة من أيام الدنيا يوم

(١) سورة البقرة آية ٢٢٣ .

(٢) الواحدي، أسباب النزول، ص ١٩٢ .

(٣) النسائي، السنن الكبرى للنسائي ١٨٩ / ٨ .

(٤) المقلات: التي لا يعيش لها ولد كان ذلك قبل الإسلام. ينظر: الزمخشري، الفائق في غريب الحديث ٤٢١/٣؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٩٨/٤؛ الزبيدي، تاج العروس ٤٢/٥ .

(٥) أبو داود، سنن أبي داود ٢٩٦/٣؛ الطبري، جامع البيان ٤٥٦-٤٥٧؛ ابن بلبان، صحيح صحيح ابن حبان ٣٥٢/١؛ ابن حجر، العجائب في بيان الأسباب ٦٠٩-٦١٠ .

(٦) سورة البقرة آية ٢٥٦ .

واحد في النار من أيام الآخرة، وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب، فأُنزل (١) الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

فَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: علم أهل الكتاب ان ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين عامًا قالوا: لن نعذب في النار إلا ما وجدنا في التوراة، فإذا كان يوم القيامة اقتحموا في النار، فساروا في العذاب حتى انتهوا إلى سقر وفيها شجرة الزقوم، إلى آخر يوم من الأيام المعدودة، فقال لهم خزنة النار: يا أعداء الله زعمتم أنكم لن تعذبوا في النار إلا أيامًا معدودة، فقد انقضى العدد وبقي الأبد (٣) ثم قال الله تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام ولمن معه من المؤمنين: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٤).

(١) الواحدي، أسباب النزول، ص ١٢٩-١٣٠؛ ابن حجر، العجايب في بيان الأسباب ١/٢٧٣.

(٢) سورة البقرة آية ٨٠.

(٣) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم ١/١٥٦؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ١٣٠-١٣١؛ ابن حجر، العجايب في بيان الأسباب ١/٢٧٣-٢٧٤.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية ٢/١٨٤؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم ١/١٤٨؛ ابن كثير، كثير، تفسير القرآن العظيم ١/٣٠٧.

(٥) سورة البقرة آية ٧٥.

المبحث الثالث

اليهود يكيّدون للمسلمين ويحرضون الأعداء لمحاربتهم

أمن الرسول ﷺ اليهود على دينهم، وأموالهم، وعاملهم بالحسنى والطيب ولكنهم لم يقدّروا هذه المعاملة وقد حذر الله تعالى منهم في القرآن قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(١).

ولأنّ الغدر والخيانة صفة ملازمة لهم فظهر من كلّ قبيلة ما يدل على ذلك: فسلط الله عز وجل رسوله ﷺ عليهم فأجلى بني قينقاع^(٢)، وبني النضير^(٣) عن المدينة النبوية وقتل بني قريظة^(٤) وحارب يهود خيبر حتى استسلموا له وصالحوه، ثم أوصى بإخراجهم من جزيرة العرب بعد خيانتهم فقال رسول الله ﷺ: (لأخرجن اليهود والنصارى

(١) سورة المائدة، آية ٨٢.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ٣/٥٠-٥٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٥/٣١٨-٣٢٢.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية ٣/١٩٩-٢٠١؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٥/٥٣٣-٥٤٩.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية ٣/٢٤٤ وما بعدها؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٦/٧٠ وما بعدها.

من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً^(١) فنفذ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصية رسول الله ﷺ وطهر جزيرة العرب منهم^(٢).

ولما قدم النبي - ﷺ - المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه، وقبل رسول الله ﷺ ذلك منهم، فلما غزا رسول الله - ﷺ - بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير: والله إنه النبي الذي وجدنا نعتة في التوراة لا ترد له راية، فلما غزا أحدا وهزم المسلمون نقضوا العهد وأظهروا العداوة لرسول الله - ﷺ - والمؤمنين، فحاصروهم رسول الله - ﷺ - ثم صالحهم عن الجلاء من المدينة^(٣) وقال المفسرون: نزلت هذه الآية في بني النضير ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾^(٤).
وإنهم أهل غدر وقتلة الأنبياء هموا بقتل الرسول ﷺ فأوحى الله تعالى إليه وكشف غدرهم^(٥) عندما خرج رسول الله ﷺ

(١) مسلم، صحيح مسلم ١٣٨٨/٣؛ أبو داود، سنن أبي داود ٤٨٥/٣.

(٢) مسلم، صحيح مسلم ٤٨٦/٣.

(٣) الواحدي، أسباب النزول، ص ٦٦٥.

(٤) سورة الحشر آية ٢.

(٥) الواقدي، المغازي ١/ ٣٦٣- ٣٧٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٧٤/٤؛ المقرئ، إمتاع

الأسماع ١٨٨/١-١٩٠؛ الدياربيكري، تاريخ الخميس ١/ ٤٦٠- ٤٦٢.

إليهم في دية الرجلين من بني سليم، قال عروة: "كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، قبل أحد" (١)، فقد روى مجاهد وعكرمة (٢)، والكلبي (٣): قتل رجل من أصحاب رسول الله - ﷺ - رجلين من بني سليم، وبين النبي - ﷺ - وبين قومهما موادة، فجاء قومهما يطلبون الدية، فأتى النبي - ﷺ - ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف رضوان الله عليهم أجمعين، فدخلوا على كعب بن الأشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما، فقالوا: نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسالنا حاجة، اجلس حتى نطعمك، ونعطيك الذي تسألنا، فجلس هو وأصحابه، فخلا بعضهم ببعض وقالوا: إنكم لم تجدوا محمدًا أقرب منه الآن، فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة، فيريخنا منه؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب: أنا، فجاء إلى رجا عظيمة ليطرحها عليه،

(١) البخاري، صحيح البخاري ٨٨ / ٥ .

(٢) عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس رضي الله عنه أصله بربري، ثقة ثبت عالم في التفسير، توفي سنة ١٠٧ هـ وقيل بعد ذلك. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ٣٨٥/٢؛ أبو نعيم، حلية الأولياء ٣٢٦/٣؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة ٣٠١/١.

(٣) محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي يكنى بأبي النضر، كان عالما بالتفسير وأنساب العرب، وأحاديثهم، وأيامهم توفي بالكوفة سنة ١٤٦ هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ٤٧٨/٨؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ٢٧٠/٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان ٣٠٩/٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٤٨/٦.

فَأَمْسَكَ اللَّهُ تَعَالَى يَدَهُ، وَجَاءَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَأَنْزَلَ (١) اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٢)، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ وَعَلَى أَنْ لَهُمْ مَا أَقْلَتِ الْإِبِلَ إِلَّا الْحَلْقَةَ - أَيَّ - السَّلَاحِ فَجَلَّتْ بَنُو النَّضِيرِ وَاحْتَمَلُوا مَا أَقْلَتِ الْإِبِلَ مِنْ أَمْتَعَتِهِمْ وَأَبْوَابَ بِيوتِهِمْ وَخَشَبَهَا وَكَانُوا يَخْرِبُونَ بِيوتَهُمْ فِيهَدْمُونَهَا فَيَحْتَمِلُونَ مَا وَافَقَهُمْ مِنْ خَشَبِهَا وَكَانَ جَلَاؤُهُمْ ذَلِكَ أَوَّلَ حَشْرِ النَّاسِ إِلَى الشَّامِ (٣) وَكَانَ بَنُو النَّضِيرِ مِنْ سَبَطِ مَنْ أَسْبَاطُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَصِبْهُمْ جَلَاءٌ مِنْذُ كَتَبَ اللَّهُ الْجَلَاءَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلِذَلِكَ أَجْلَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَوْلَا مَا كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَلَاءِ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا كَمَا عَذَّبَتْ

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ٩٩/٣-١٠٠؛ الطبري، جامع البيان ٢٢٨/٨-٢٣١؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٣٤٠؛ البغوي، معالم التنزيل ٢٨/٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ٧٨/٢؛ الطنطاوي، التفسير الوسيط ٢٨٢/١٤-٢٨٣.

(٢) سورة المائدة آية ١١.

(٣) وكان الله سبحانه قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا وكانوا أول حشر في الدنيا حشروا إلى الشام، قال ابن عباس: من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لهم يومئذ: «اخرجوا». قالوا: إلى أين؟ فقال: «إلى أرض المحشر»، فأنزل الله سبحانه لأول الحشر. ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان ٢٦٨/٩؛ البغوي، معالم التنزيل ٦٩/٨.

بنو قريظة فأنزل (١) الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بِيُوتِهِمْ أَبْيَدِيَهُمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦)﴾.

وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - لَمَّا نَزَلَ بِبَنِي النَّضِيرِ، وَتَحَصَّنُوا فِي حُصُونِهِمْ أَمَرَ بِقَطْعِ نَخِيلِهِمْ وَإِحْرَاقِهَا، لِيَقْطَعَ تَعَلُّقَهُمْ بِالْأَرْضِ فَجَزَعُ أَعْدَاءِ اللَّهِ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَالُوا: "زَعَمْتَ يَا مُحَمَّدُ أَنَّكَ تَرِيدُ الصَّلَاحَ، أَفَمِنَ الصَّلَاحِ عَقْرَ الشَّجَرِ الْمَثْمَرِ وَقَطْعَ النَّخِيلِ؟ وَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا زَعَمْتَ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ؟ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَوَجَدَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ وَخَشَوْا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فَسَادًا، وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَقْطَعُوا فَإِنَّهُ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْنَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ اقْطَعُوا، فَأَنْزَلَ (٣) اللَّهُ

(١) الواحدي، أسباب النزول، ص ٦٥٧؛ البغوي، معالم التنزيل ٧١/٨؛ الدياربيكري، تاريخ الخميس ٤٦١/١.

(٢) سورة الحشر الآيات ٢ - ٦.

(٣) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٩٤ / ٨.

تبارك وتعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾^(١) .
تصديقاً لمن نهى عن قطعه وتحليله لمن قطعه، وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله تعالى ، فكان نخيل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة فأعطاه الله إياها وخصه بها ولم تحل الغنائم لأحد من قبل^(٢) فقال تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣)، بغير قتال فأعطى النبي ﷺ أكثرها المهاجرين

(١) سورة الحشر آية ٥ .

(٢) قال رسول الله ﷺ: (غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها، ولما بين، ولا آخر قد بنى بنيانا، ولما يرفع سقفها، ولا آخر قد اشتري غنما - أو خلفات - وهو منتظر ولادها"، قال: " فغزا فأدنى للقرية حين صلاة العصر، أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة، وأنا مأمور، اللهم، احبسها علي شيئا، فحبست عليه حتى فتح الله عليه"، قال: " فجمعوا ما غنموا، فأقبلت النار لتأكله، فأبت أن تطعمه، فقال: فيكم غلول، فليباعني من كل قبيلة رجل، فبايعوه، فلصقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك، فبايعته"، قال: " فلصقت بيد رجلين أو ثلاثة، فقال: فيكم الغلول، أنتم غللتم"، قال: " فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب، قال: فوضعوه في المال وهو بالصعيد، فأقبلت النار فأكلته، فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا، ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا، فطيبها لنا). ينظر: صحيح البخاري ٨٦/٤؛ صحيح مسلم ١٣٦٦/٣ .

(٣) سورة الحشر آية ٦ .

وقسّمها بينهم وقسّم منها لرجلين من الأنصار كانا ذوي حاجة لم يقسم لأحد من الأنصار غيرهما^(١).

منذ ظهور الإسلام إلى يومنا هذا واليهود يحرضون أعداء الإسلام لمحاربة المسلمين ولهذا الأمر خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكبًا من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشًا على رسول الله - ﷺ - وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله - ﷺ - فنزل كعب على أبي سفيان^(٢) ونزلت اليهود في دور قريش، فقال أهل مكة: إنكم أهل كتاب، ومحمد صاحب كتاب، ولا نأمن أن يكون هذا مكرًا منكم، فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما فذلك قوله: **لِيُؤْمِنُوا بِالْجُبَّةِ وَالطَّاعُوتِ** ثم قال كعب لأهل مكة: ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فلنلزق أكبادنا بالكعبة، فنعاهد رب البيت لنجهدّ على قتال

(١) أبو داود، سنن أبي داود ٣ / ١٥٧؛ عبد الرزاق الصنعاني، المصنف ٥ / ٣٥٨-٣٦١؛ العواجي؛ محمد بن محمد، مرويات الإمام الزهري في المغازي، ط١، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ٢٠٠٤م، ١ / ٣١١-٣١٦.

(٢) أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أحد زعماء قريش كان من المناوئين للدعوة الإسلامية، أسلم ليلة فتح مكة، شهد حنيناً والطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولاه رسول الله ﷺ على نجران، شهد فتوح الشام في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم، توفي سنة ٣١هـ وهو ابن ثمان وثمانين. ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة ٣ / ١٥٠٩؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٨١٣؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق ٢٣ / ٤٢١.

محمد، ففعلوا ذلك، فلما فرغوا، قال أبو سفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتاب، وتعلم ونحن أميون لا نعلم، فأينا أهدى طريقاً وأقرب إلى الحق؟ نحن أم محمد؟ فقال كعب: عرضوا عليّ دينكم، فقال أبو سفيان: نحن ننحر للحجيج الكوماء، ونسقيهم الماء، ونقري الضيف، ونفك العاني، ونصل الرحم، ونعمر بيت ربنا، ونطوف به، ونحن أهل الحرم، ومحمد فارق دين آبائه، وقطع الرحم، وفارق الحرم، وديننا القديم ودين محمد الحديث؛ فقال كعب: أنتم والله أهدى سبيلاً مما هو عليه، فأُنزل^(١) الله تعالى: ﴿لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجُبَّتِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾^(٢). يعني كعباً وأصحابه الآية، فلما رجعوا إلى قومهم قال لهم قومهم: إن محمداً يزعم أنه قد نزل فيكم كذا وكذا، فقالوا: صدق والله، ما حملنا على ذلك إلا بغضه وحسده^(٣)، وكانوا يهجون المسلمين فقد روى كعب بن مالك^(٤) -رضي الله عنه - أن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً وكان

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٥٦٥/٢؛ البغوي، معالم التنزيل ٢٣٥/٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٨/٤.

(٢) سورة النساء آية ٥١.

(٣) الثعلبي، الكشف والبيان ٣/٢٢٧-٣٢٨؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٩٣؛ البغوي، معالم التنزيل ٢٣٥/٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٨/٤؛ الإلوسي، روح المعاني ٥٥/٥.

(٤) كعب بن مالك بن أبي بن كعب بن القين من الخزرج يكنى أبا عبد الله وقيل أبو عبد الرحمن وهو شاعر رسول الله ﷺ ومات في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد أن كف بصره. وهو أحد السبعين الذين بايعوا بالعقبة. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٦٢٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٤/٢٥٢؛ ابن حجر الإصابة ٩/٢٩٤.

يهجو النبي - ﷺ - ويحرض عليه كفار قريش في شعره، ولما قدم النبي - ﷺ - المدينة وأهلها أخلاط، منهم المسلمون ومنهم المشركون ومنهم اليهود، فأراد النبي - ﷺ - أن يستصلحهم كلهم، فكان المشركون واليهود يؤذونه، ويؤذون أصحابه أشد الأذى، فأمر الله تعالى نبيه - ﷺ - بالصبر على ذلك، وفيهم أنزل (١) الله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٢).

(١) أبو داود، سنن أبي داود ٤٧٦/٣-٤٦٨، البيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٨م، ٣/١٩٧-١٩٨؛ ابن كثير، التفسير ١/٤٥٣؛ المقرئ، إمتاع الأسماع ١٢/١٧٨-١٧٩.

(٢) سورة آل عمران آية ١٨٦.

ومن خبث طبعهم إثارة الفتن ، فقد روى زيد بن أسلم^(١) أنه قال: مر شاس بن قيس - وكان شيخا قد عسا^(٢) في الجاهلية، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، فمرّ على نفر من أصحاب رسول الله - ﷺ - من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاضه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، فقال: قد اجتمع ملاً بني قيلة^(٣) بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار، فأمر شاباً من اليهود كان معه، فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم ذكرهم بيوم بُعث^(٤)

(١) أبو عبد الله زيد بن أسلم أحد مشاهير التابعين كان والده مولى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، إمام في التفسير والحديث توفي سنة ١٣٦هـ. ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ١٠٤؛ المزي، تهذيب الكمال ١٠/١٢؛ الداودي، طبقات المفسرين ١/١٧٦

(٢) عسا: كِبَرٌ وَأَسَنَّ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب ٤/٢٩٤٩؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ١٣١١.

(٣) قيلة: أم الأوس والخزرج وهي قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة بن عمرو مزقياء زوجة حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مزقياء والد الأوس والخزرج. ينظر: ابن حزم، علي ابن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٥، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢م، ص ٣٣٢؛ الحموي، المقتضب من كتاب جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن، ط ١، الدار العربية للموسوعات، بيروت - لبنان، ١٩٨٧، ص ٢٢٢؛ العيني، عمدة القارئ ١٠/٣٢٤.

(٤) يوم بعث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج، فلما التقوا اقتتلوا قتالا شديداً وصبروا جميعاً، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج ، وكان على الأوس يومئذ حضير بن سماك الأشهلي، أبو أسيد بن حضير؛ وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي، فقتلا جميعاً، وكانت قبل الهجرة النبوية بخمس سنوات. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية ٢/٢٠٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ١/٥٣٨-٥٤٠؛ ابن خلدون؛ عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، (د.ت)، دار الفكر ، بيروت، ٢٠٠٠م ، ٢/٣٤٦-٣٤٧.

وما كان فيه، وأنشدهم بعض ما كانوا يتناولوا فيه من الأشعار، وكان بعث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعا وتفاخروا حتى تواتب رجالان من الحيين أوس بن قبيط^(١) أحد بني حارثة من الأوس، وجبار بن صخر^(٢) أحد بني سلمة من الخزرج فتناولوا وقال أحدهما لصاحبه: إن شئت والله رددتها الآن جذعة^(٣)، وغضب الفريقان جميعاً وقالوا: قد فعلنا،

(١) أوس بن قبيط بن عمرو بن زيد الأنصاري الأوسي شهد أحداً هو وابناه: كباثة وعبد الله، ويقال: إن أوس بن قبيط كان منافقاً، وإنه الذي قال إن بيوتنا عورة. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٥٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة ١/٣٢٦؛ النووي، تهذيب الأسماء واللغات ١/٣٣٠؛ ابن حجر، الإصابة ٣/٣١١.

(٢) جبار بن صخر بن أمية السلمية الأنصاري شهد بديراً وأحداً وما بعدها من المشاهد وكان أحد السبعين ليلة العقبة توفي سنة ٣٠ هـ. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ١١٧؛ الذهبي، تجريد أسماء الصحابة ١/٧٥؛ ابن حجر، الإصابة ٢/١٤٦.

(٣) الجذع: الدهر يسمى جذعاً؛ لأنه جديد الدهر. ويقال: فلان في هذا الأمر جذع، إذا أخذ فيه حديثاً. وإذا طفئت حرب بين قوم فقال بعضهم: إن شئتم أعدناها جذعة، أي أول ما يبتدأ فيها. ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة ١/١٢٨؛ لسان العرب ١/٥٧٦؛ الزبيدي، تاج العروس، ٢٠/٤٢٧.

السلاح السلاح، موعدكم الظاهرة وهي حرة، فخرجوا إليها فانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله - ﷺ - فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال: (يا معشر المسلمين، بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم، فترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا؟ الله الله) فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم وكبوا^(١)، وعانق بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله - ﷺ - - سامعين مطيعين، فأُنزل^(٢) الله عز وجل: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ }^(٣)، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } يعني الأوس والخزرج

(١) الكبوة مثل الوقفة تكون عند الشيء يكرهه الإنسان يدعى إليه أو يراد منه كوقفه العاشر، ومنه قيل: لكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة، ولكل صارم نبوة. ينظر: الزمخشري، الفائق في غريب الحديث ٢٤٢/٣؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ١٤٥/٤-١٤٦؛ ابن منظور، لسان العرب ٣٨١٤/٥-٣٨١٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ٢٠٤/٢-٢٠٦؛ الطبري، جامع البيان ٦٢٧/٥-٦٢٩؛ ابن المنذر؛ أبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٣١٨هـ)، كتاب تفسير القرآن، تحقيق: سعد بن محمد السعد، ط ١، دار المآثر، المدينة النبوية، ٢٠٠٢م، ٣١١/١-٣١٣؛ السهيلي، الرّوض الأنف ٣٥٨/٤-٣٦٠.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٠.

{إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} يعني شاسا وأصحابه {يُرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} قال جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(١): فَمَا كَانَ شَخْصًا أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَوْمَأَ إِلَيْنَا بِيَدِهِ، فَكَفَفْنَا وَأَصْلَحَ اللَّهُ تَعَالَى مَا بَيْنَنَا، فَمَا رَأَيْتُ قَطُّ يَوْمًا أَقْبَحَ وَلَا أَوْحَشَ أَوْلًا وَأَحْسَنَ آخِرًا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ^(٢)، وَكَانَ الْيَهُودَ أَهْلَ فِتْنَةٍ وَيُودُونَ لَوْ يَفْتَنُونَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ فَقَدْ رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ: كَانَ الْحَجَّاجُ بْنُ عَمْرٍو^(٣) وَكَهْمَسُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ وَقَيْسُ بْنُ زَيْدٍ - وَهَؤُلَاءِ كَانُوا مِنَ الْيَهُودِ يَبَاطِنُونَ نَفَرًا مِنَ الْأَنْصَارِ لِيَفْتَنُوهُمْ عَنْ

(١) جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري الخزرجي من فقهاء الصحابة ومحدثيهم، غزا تسعة عشرة غزوة مع رسول الله ﷺ توفي بالمدينة بعد أن عمي سنة ٧٨ هـ وله بضع وتسعون سنة. ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ١٧؛ الذهبي تنكرة الحفاظ، ٤٣/١؛ ابن حجر، الإصابة ١٢١/٢.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ٢٠٤-٢٠٦؛ الطبري، جامع البيان ٦٢٧/٥-٦٢٩.

(٣) الحجاج بن عمرو من بني النضير من أحرار اليهود ومن الذين نصبوا العداوة للإسلام وأهله. (ابن كثير، البداية والنهاية ٢٨٩/٣).

دينهم - فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير^(١) وسعيد بن خيثمة^(٢) لأولئك
النفرة: اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنكم عن دينكم، فأبى
أولئك النفرة إلا مباظنتهم وملازمتهم، فأُنزل^(٣) الله تعالى: {لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ
مَنْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى
اللَّهِ الْمَصِيرُ^(٤)، وكان عبد الله بن أبي وأصحابه، يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم
بالأخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله - ﷺ - فأُنزل^(٥) الله تعالى هذه
الآية، نهى المؤمنين عن مثل فعلهم.

-
- (١) عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري أخو خوات بن جبير، شهد العقبة وبدرا، واستشهد
بأحد، وكان أمير الرماة يومئذ، أن المشركين لما انهزموا ذهب الرماة ليأخذوا من الغنيمة،
فنهاهم عبد الله بن جبير، فمضوا وتركوه فاستشهد عبد الله يومئذ. ينظر: ابن سعد، الطبقات
الكبرى ٣/٤٤٠-٤٤٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٣/١٩٤؛ ابن حجر، الإصابة ٦/٥٦-٥٧.
- (٢) سعيد بن خيثمة رضي الله عنه من الأنصار قتل في بدر، مع إخوانه الأربعة عشر رجلاً
المهاجرين و الأنصار ونزل فيهم قوله تعالى: { وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ
أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ } (سورة البقرة آية ١٥٤) أي: لا تسموهم بالموتى، وقولوا لهم:
الشهداء الأحياء، . (ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب ٣/٧٨) .
- (٣) الطبري، جامع البيان ٥/٣١٦؛ الثعلبي، الكشف والبيان ٣/٤٦؛ الواحدي، أسباب النزول،
ص ٢٢٣-٢٢٤؛ ابن حجر، العجائب في بيان الأسباب ٢/٦٧٦.
- (٤) سورة آل عمران آية ٢٨ .
- (٥) الثعلبي، الكشف والبيان ٣/٤٧؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٢٤؛ البغوي، معالم التنزيل
٢/٢٥.

واليهود أهل الكذب والمكر والحيل فقد تواطأ منهم اثنا عشر حبراً من يهود خيبر وقرى عرينة، وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد، واكفروا به في آخر النهار وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم، وقالوا: إنهم أهل كتاب وهم أعلم به منا، فيرجعون عن دينهم إلى دينكم، فأُنزل (١) الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢)، وأخبر به نبيه محمداً ﷺ والمؤمنين . وإن اليهود أخبت الأمم طوية وأرداهم سجية كانوا يخاطبون رسول الله ﷺ بالتورية (٣) يقصدون التتقيص بتورية الكلام، فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا، قالوا: راعنا، ويورون بالرعونة، والظعن (٤) وأن العرب كانوا

(١) الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٣٣؛ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٥١٧/٢؛ ابن حجر، العجائب في بيان الأسباب ٦٩٣/٢-٦٩٤؛ الالوسي، روح المعاني ١٩٩/٣-٢٠٠.
(٢) سورة آل عمران آية ٧٢.

(٣) [ورى] و رى : وَرَاهُ تَوْرِيَةً أَخْفَاهُ وَ تَوَارَى اسْتَتَرَ وَرَى الْخَبْرَ تَوْرِيَةً أَي سَتَرَهُ وَأَظْهَرَهُ غَيْرَهُ. الجوهري، الصحاح ٢٥٢٣/٦؛ ابن منظور، لسان العرب ٤٨٢٢/٦-٤٨٢٣؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ١٣٤٢.

(٤) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الرياض، ١٩٩٩م، ٣٧٣/١؛ العيني، عمدة القارئ ١١٢/١٨؛ طنطاوي؛ محمد سيد (ت ١٤٣١هـ)، التفسير الوسيط، ط ٣، دار الرسالة للطباعة والنشر، مصر، ١٩٨٧م، ٣٠٨/١.

يتكلمون بها، فلما سمعتهم اليهود يقولونها للنبي - صلى الله عليه وسلم - أعجبهم ذلك وكان (راعياً) في كلام اليهود سباً قبيحاً فقالوا: إنا كنا نسب محمدًا سرًّا فالآن أعلنوا السبَّ لمحمد لأنه من كلامهم، فكانوا يأتون نبي الله - ﷺ - فيقولون: يا محمد (راعياً) ويضحكون ففطن بها رجل من الأنصار وهو سعد بن عبادة - رضي الله عنه - وكان عارفاً بلغة اليهود وقال: يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفس محمد بيده لئن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه فقالوا: ألسنتم تقولونها له؟ فأنزل^(١) الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢) فنهى الله تعالى المؤمنين أن يتلفظوا بها، ولو كان قصدهم حسناً إمعاناً في مخالفة اليهود وأمرهم أن يستبدلوا بها لفظة أخرى وقد كان المسلمون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا، من المراعاة، ويقصدون بها انظرنا، ولا يقصدون إلا المعنى الحسن. واليهود لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ولا لمن خالطهم طمأنينة ولا أمانة وكما روي الأشعث بن قيس^(٣) قائلاً: كان بيني وبين رجل من

(١) الواحدي، أسباب النزول، ص ١٣٩؛ البغوي، معالم التنزيل ١/١٣٢-١٣٣؛ ابن حجر، العجائب في بيان الأسباب ١/٣٤٣-٣٤٤.

(٢) سورة البقرة آية ١٠٤.

(٣) الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية الكندي، قدم على رسول الله ﷺ سنة عشرة في وفد كندة وكان رئيسهم توفي سنة ٤٠ هـ. ينظر: ابن حبان، تاريخ الصحابة، ص ٣٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٧١؛ ابن الأثير، أسد الغابة ١/٢٤٩.

اليهود أرض، فجدني، فقدمته إلى النبي ﷺ فقال: (لك بينة؟) قلت: لا، فقال لليهودي: (أتحلف)، قلت يا رسول الله: إن يحلف فيذهب بمالي، فأنزل (١) الله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأِيمَانِهِمْ ثَمًّا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢) فقال: في والله نزلت، وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ (من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان) (٣)، فاليهود أهل الكذب والبهت بكفرهم وتكذيبهم الأنبياء كفروا بعيسي عليه السلام رغم الآيات والمعجزات التي أتى بها ثم ازدادوا كفرا بمحمد ﷺ على الرغم من الآيات ومعجزة القرآن الخالدة وبه كشف الله تعالى تحريفهم وباطلهم وفي اليهود والنصارى نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا تَنْتَقِلُ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ (٤) .

(١) أحمد، مسند الإمام أحمد ١٥٧/٣٦؛ أبو داود، سنن أبي داود ٧٢/٤؛ الطبري، جامع البيان ٥١٧/٥ .

(٢) سورة آل عمران آية ٧٧ .

(٣) مسلم، صحيح مسلم ١ / ١٢٢ .

(٤) سورة آل عمران آية ٩٠ .

كفروا بمحمد - ﷺ - بعد إيمانهم بنعته وصفته، ثم ازدادوا كفرًا بإقامتهم على كفرهم^(١)، واليهود عادتهم البغضاء ودينتهم العداوة والشحناء وعندما كان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود، لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية فنهاهم الله عز وجل وأنزل^(٢): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَّا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأُنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٣) .

ينهاهم عن مباطنتهم لخوف الفتنة عليهم، وبطانة الرجل خاصته تشبيها ببطانة الثوب التي تلي بطنه لأنهم يستبطنون أمره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم ثم بين العلة في النهي عن مباطنتهم، فقال جل ذكره ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ لا يألونكم خبالا أي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والوقية في المسلمين^(٤)، قيل لعمر بن الخطاب

(١) الثعلبي، الكشف والبيان ١٠٨/٣؛ الواحدي، أسباب النزول ص ١١٨؛ ابن الجوزي، زاد المسير ٤١٩/١؛ ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب ٣٧٩/٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ٢٠٧/٢؛ الطبري، جامع البيان ٧٠٩/٥؛ ابن المنذر، كتاب تفسير القرآن، ٣٤٥/١؛ الشوكاني، فتح القدير ٦١٦/١.

(٣) سورة آل عمران آية ١١٨-١١٩.

(٤) البغوي، معالم التنزيل ٩٥/٢.

رضي الله عنه إن هنا غلاما من أهل الحيرة حافظا كاتباً فلو اتخذته كاتباً قال قد اتخذت إذن بطانة من دون المؤمنين^(١)، ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز إستعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين وإطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب ولهذا قال تعالى: {لَا يَأْتُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنْتُمْ} لا يدعون جهدهم في مضرتكم وفسادكم {وَدُؤًا مَا عَنْتُمْ} تمنوا ضلالكم عن دينكم {قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ} أي: ظهرت العداوة {مَنْ أَفْوَاهِهِمْ} بالشتيمة والوقية في المسلمين^(٢) {وَمَا تُخْفِي صدورهم أكبر} من العداوة والخيانة {قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ} أي: علامات اليهود في عداوتهم^(٣) {إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ}.

حاولوا قتل النبي صلى الله عليه و سلم ثلاث مرات أشهرها يوم وضعوا السم في الشاه حتى قال النبي صلى الله عليه و سلم لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخبير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من

(١) ابن أبي شيبة، المصنف ٤٧٢/٨؛ ابن قتيبة؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، عيون الأخبار، (د.ت)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م، ٤٣/١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٠٢/٤؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم ٧٤٣/٣.

(٢) الطبري، جامع البيان ٧١٠/٥؛ السيوطي، الدر ٧٣٨/٣.

(٣) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط ١، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٢٢٨ .

ذلك السم^(١) وقتلهم المتعمد للدعاة إلى الله تعالى قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١)﴾^(٢). وقالوا: يزعم محمد أنه أوتي ما أوتي في تواضع، وله تسع نسوة، فأبي ملك أفضل من هذا، يحسدون النبي محمد ﷺ على ما آتاه الله من فضله من النبوة التي فضله الله عزوجل بها، وشرف بها العرب، إذ آتاها رجلا منهم دون غيرهم، فنزل^(٣) قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا﴾^(٤).

وقال الكلبي: "عيرت اليهود رسول الله - ﷺ - وقالت: ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء والنكاح، ولو كان نبيا كما زعم لشغله أمر النبوة

(١) البخاري، صحيح البخاري ٩/٦؛ الحاكم ، المستدرک علی الصحیحین ٦٤/٣

(٢) سورة آل عمران آية ٢١.

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان ٧/١٥٦-١٥٧؛ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير ١/

٤٢٠

(٤) سورة النساء آية ٥٤.

عن النساء، فأُنزل (١) الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٢).
 وقالت اليهود لو كان نبي لشغله أمر النبوة عن النساء، فحسدوه على كثرة نسائه فأكذبهم الله تعالى فقال: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني بالحكمة النبوة ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ فأخبرهم بما كان لداود وسليمان من النساء، فوبّخهم لذلك، فأقرت اليهود أنه اجتمع عند نبي الله سليمان - عليه السلام - ألف امرأة، ثلاثمائة مهريّة (٣) وسبعمائة سرية (٤)، وعند داود مائة امرأة فلم تمنعهم النبوة عن ذلك (٥)، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألف امرأة عند رجل، ومائة

(١) الثعلبي، الكشف والبيان ٣/٣٢٩؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٤٥٦؛ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٦/٣٩٧؛ الالوسي، روح المعاني ٧/١٥٩.

(٢) سورة الرعد آية ٣٨.

(٣) مهريّة: المهر الصداق، يقال: مهرت المرأة وأمهرتها، إذا جعلت لها مهرا، وإذا سقت إليها مهرا، وهو الصداق. ينظر: الجوهرى، الصحاح تاج اللغة ٢/٨٢١؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٤/٣٧٤؛ ابن منظور، لسان العرب ٦/٤٢٨٦.

(٤) السرية الجارية المملوكة التي تتخذ للجماع. ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة ١/٤٥٢؛ ابن منظور، لسان العرب مادة (سرا) ٣/٢٠٠١؛ الزبيدي، تاج العروس ١٢/١٣.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية ٢/١٥؛ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر ٢/١١٣.

امرأة عند رجل أكثر أو تسع نسوة؟ وكان يومئذ تسع نسوة^(١) عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكتوا^(٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة بمائة امرأة، تلد كل امرأة غلاما يقاتل في سبيل الله، فقال له الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل ونسي، فأطاف بهن، ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان" قال النبي ﷺ: (لو قال: إن شاء الله لم يحنث، وكان أرجى لحاجته)^(٣). ولما حاصر رسول الله ﷺ يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح عليه إخوانهم

(١) قال ابن كثير: (لا خلاف أنه، عليه الصلاة والسلام، توفي عن تسع وهن؛ عائشة بنت أبي بكر الصديق التيمية، وحفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية، وأم حبيبة رمة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموية، وزينب بنت جحش الأسدية، وأم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وسودة بنت زمعة العامرية، وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية، وصفية بنت حيي بن أخطب النضرية الإسرائيلية الهارونية، رضي الله عنهن وأرضاهن. وكانت له سريتان؛ وهما مارية بنت شمعون القبطية المصرية من كورة أنصنا، وهي أم ولده إبراهيم، عليه السلام، وريحانة بنت شمعون القرظية، أسلمت ثم أعتقها، فلحقت بأهلها، ومن الناس من يزعم أنها حجبت - أي ضرب عليها رسول الله ﷺ الحجاب واتخذها زوجة - ابن كثير، البداية والنهاية ٨/٢٠١-٢٠٢.

(٢) أبو حمزة الثمالي، تفسير القرآن الكريم، ص ١٤٤؛ الثعلبي، الكشف والبيان ٣/٣٢٩.

(٣) البخاري، صحيح البخاري ٧/٣٩؛ مسلم، صحيح مسلم ٣/١٢٧٦.

بني النضير على أن يسيروا الى إخوانهم إلى أذرعات وأريحا^(١) من أرض الشام فأبى أن يعطيهم ذلك رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ^(٢) فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة^(٣) بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم، لأن عياله وماله وولده كانت عندهم فبعثه رسول الله ﷺ فأتاهم فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى أنزل على حكم سعد بن معاذ فأشار أبو لبابة بيده على حلقه أنه الذبح فلا تفعلوا، قال أبو لبابة: والله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله

(١) أريحا ويقال لها ربحاء أيضا مدينة في الغور من الأردن قرب بيت المقدس سميت فيما قيل بأريحا بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح. ينظر: الحموي، معجم البلدان ١/١٦٥؛ القزويني؛ زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، (د.ت)، دار صادر، بيروت، ص ١٤٢؛ البغدادي، مرصد الاطلاع ٢/٦٤٧-٦٤٨.

(٢) سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأوسي الأشهلي أسلم على يد مصعب بن عمير لما أرسله النبي ﷺ إلى المدينة يعلم المسلمين، وبإسلامه أسلم جميع قومه فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام شهد بدرًا وأحد والخندق، توفي بعد غزوة قريظة بسهم أصابه في غزوة الخندق سنة ٥هـ. ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة ٣/١٢٤١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٢٧٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٢/٤٦١؛ الذهبي، تجريد أسماء الصحابة ١/٢١٩.

(٣) أبو لبابة هارون بن عبد المنذر الأنصاري من بني عوف بن مالك مختلف في اسمه شهد العقبة ولم يشهد بدرًا وذلك ان المصطفى ﷺ استخلفه على المدينة توفي في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل بعد ٥٠هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ٣/٤٢٣؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٨٤٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٦/٢٦٠؛ ابن حجر، الإصابة ١٢/٥٧٠.

فَلَمَّا نَزَلَ (١) قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢). فشدد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله عليّ فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاما ولا شرابا حتى خرّ مغمياً عليه ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك. قال: لا والله لا أحلّ نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلّني فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: إن من تمام توبتي أن أهجّر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال رسول الله ﷺ: (يجزيك الثلث إن تصدقت) (٣).

وكان اليهود يحسدون مقام النبي - ﷺ - بالمدينة، فقالوا: إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام (٤)، فإن كنت نبيا فالحق بها فإنك إن خرجت إليها صدقناك

(١) الواقدي، المغازي ٥٠٩/٢؛ ابن هشام، السيرة النبوية ٢٤٧/٣؛ البغوي، معالم التنزيل ٣٤٧/٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٨٠/٦.

(٢) سورة الأنفال آية ٢٧.

(٣) الثعلبي، الكشف والبيان ٣٤٦/٤-٣٤٧؛ البغوي، معالم التنزيل ٣٤٧/٣-٣٤٨.

(٤) يقول ابن كثير في تفسيره عن هذا الحديث المذكور الذي رواه البيهقي (وفي هذا الإسناد نظر. والأظهر أن هذا ليس بصحيح؛ إن النبي ﷺ غزا تبوك امتثالاً لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ)، وقوله تعالى: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)، وغزاها ليقصص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة، من أصحابه، والله أعلم). ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٠١/٥.

وَأَمَّا بَكَ، فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ لَمَا يَحِبُّ مِنْ إِسْلَامِهِمْ، فَأَنْزَلَ (١) اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خَلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سَنَةً مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لَسْتِنَا مُحْوِيلًا﴾ (٢).

وَيُؤْذِنُ الْمُؤْمِنِينَ بِشَتَى الْوَسَائِلِ إِذْ كَانَ الْيَهُودَ وَالْمُنَافِقِينَ يَتَنَاجُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَغَامَزُونَ بِأَعْيُنِهِمْ، فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ نَجْوَاهُمْ قَالُوا: مَا نَرَاهُمْ إِلَّا وَقَدْ بَلَغَهُمْ عَنْ أَقْرِبَائِنَا وَإِخْوَانِنَا الَّذِينَ خَرَجُوا فِي السَّرَايَا قَتْلًا أَوْ مَوْتًا أَوْ مَصِيبَةً أَوْ هَزِيمَةً، فَيَقَعُ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ وَيَحْزَنُهُمْ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَقْدَمَ أَصْحَابُهُمْ وَأَقْرِبَاؤُهُمْ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ وَكَثُرَ شَكْوَاهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهُمْ أَلَّا يَتَنَاجَوْا دُونَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يَنْتَهَوْا عَنْ ذَلِكَ، وَعَادُوا إِلَى مَنَاجَاتِهِمْ، فَأَنْزَلَ (٣) اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْنَا عَنْهُ وَيَتَنَاجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يَحِيكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسِبَهُمْ جَهَنَّمَ يَصْلُونَهَا فَبئسَ الْمَصِيرُ﴾ (٤).

(١) الطبري، التفسير ٥١٠/١٧؛ البيهقي، دلائل النبوة ٢٥٤/٥؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٤٧٩-٤٨٠؛ السهيلي، روض الأنف ٣٥٩/٧.

(٢) سورة الإسراء آية ٧٦-٧٧.

(٣) الثعلبي، الكشف والبيان ٢٥٧/٩؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٦٤٨.

(٤) سورة المجادلة آية ٨.

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم وفعل. فقال النبي ﷺ: (يا عائشة، إن الله لا يحب الفحش)، فقلت: يا رسول الله، ألسنت ترى ما يقولون؟ فقال: (ألسنت ترى ما يقولون، أقول: عليكم) ونزل قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَعْمَلُ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَلَّوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَأَنْ يَكُونَ لَكُمْ آيَاتٌ﴾ (١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه، إذ أتى عليهم يهودي، فسلم عليهم، فردوا عليه، فقال نبي الله ﷺ: (هل تدرون ما قال؟) قالوا: سلم يا رسول الله. قال: (بل قال: سأم عليكم، أي تسأمون دينكم) فقال النبي ﷺ: (أقلت سأم عليكم؟) قال: نعم. فقال النبي ﷺ: (إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا وعليك). أي: عليك ما قلت (٢).

وكان ناس من فقراء المسلمين يخبرون اليهود بأخبار المسلمين ويواصلونهم فيصيبيون بذلك من ثمارهم، فنهاهم الله تبارك وتعالى عن

(١) الطبري، جامع البيان ٢٢/٤٧٠-٤٧١؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٦٤٩؛ ابن الجوزي، زاد المسير ١٨٩/٨؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣١٢/٢٠.

(٢) البزار، البحر الزخار ٣٩٨/١٣؛ الطبري، جامع البيان ٤٧٣/٢٢؛ ابن بلبان، صحيح ابن حبان ٢٥٦/٢.

ذلك ونزل^(١) فيهم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ
الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾^(٢).

(١) الثعلبي، الكشف والبيان ٢٩٩/٩؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٦٦٨.
(٢) سورة الممتحنة آية ١٣.

المبحث الرابع

اليهود يكثرون الاسئلة والجدال

ويتعلمون السحر ويعملون به

اليهود أهل جدال ومكابرة ولا يذعنون للحق ولا يتبعونه وإن النبي ﷺ، قال: لما بعثني الله تعالى برسالته ضقت بها ذرعا، وعرفت أن من الناس من يكذبي^(١). وكان رسول الله ﷺ يهاب قريشا واليهود والنصارى، فأُنزل^(٢) الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣). فعندما سمعوا ببعثته ﷺ ناصبوه العداة فقد روى ابن إسحاق أنه أتى رسول الله ﷺ نفر منهم - أي من اليهود - أبو ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وعازر بن أبي عازر، وخالد، وزيد، وإزار بن أبي إزار، وأشيع، فسألوه عن يؤمن به من الرسل، فقال رسول الله ﷺ: تؤمن

(١) رواه الحسن البصري مرسلا؛ ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان ٩٤/٤؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٣٥١؛ ابن الجوزي، زاد المسير ٣٩٦/٢؛ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٣٢١/٤.

(٢) الواحدي، أسباب النزول، ص ٣٥١؛ ابن الجوزي، زاد المسير ٣٩٦/٢؛ الفخر الرازي؛ محمد بن عمر الشهير بخطيب الري (ت ٦٠٤هـ)، مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١م، ٥١/١٢؛ السيوطي، لباب النقول، ص ١٠٥.

(٣) سورة المائدة آية ٦٧.

بِاللَّهِ {وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (١). فلما ذكر عيسى بن مريم جحدوا نبوته، وقالوا: لا نؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به. فأنزل (٢) الله تعالى فيهم: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنِّي إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} (٣).

ومن استلثهم ما رواه عبد الله بن مسعود، قال: بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في خرب (٤) المدينة، وهو يتوكأ على عسيب (٥) معه، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح؟ وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنه، فقام رجل

(١) سورة البقرة آية ١٣٦.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ٢/٢١٦؛ الطبري، جامع البيان ٨/٥٣٧-٥٣٨؛ الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢/٢٠٣؛ السهيلي، روض الأنف ٤/٣٧٣-٣٧٤.

(٣) سورة المائدة آية ٥٩.

(٤) الخراب: ضد العمران، والتخريب: الهدم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب ١/٣٤٧.

(٥) عسيب: جريدة من النخل. وهي السعفة مما لا ينبت عليه الخوص. ينظر: الزمخشري، الفائق في غريب الحديث ٢/٤٣١؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٣/٢٣٤؛ ابن منظور، لسان العرب ٤/٢٩٣٦؛ الزبيدي، تاج العروس ٣/٣٦٨.

منهم، فقال يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يوحى إليه، فقامت، فلما انجلى عنه^(١)، نزل قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٢) .

ومع كون اليهود أهل كتاب لكنهم يناصرون المشركين، وأن قريشا سألوا اليهود عن شيء يسألون به رسول الله صلى الله عليه، فبعثت قريش النضر بن الحارث^(٣)

(١) أحمد، مسند الإمام أحمد ٤/١٥٤؛ البخاري، صحيح البخاري ١/٣٧؛ مسلم، صحيح مسلم ٤/٢١٥٢؛ الترمذي، سنن الترمذي ٥/٣٠٤

(٢) سورة الإسراء آية ٨٥.

(٣) النضر بن الحارث بن علقمة بن كعدة بن عبد مناف (ت ٢هـ) ، من بني عبد الدار، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر، كان من شجعان قريش ووجهها، ومن شياطينها ، له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في " الحيرة "، وهو ابن خالة النبي صلى الله عليه وسلم ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية وأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا، وكان إذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا للتذكير بالله تعالى والتحذير من مثل ما أصاب الأمم الخالية من نعمة الله جل وعلا، جلس النضر بعده فحدث قريشا بأخبار ملوك فارس ورستم وإسفنديار، ويقول: أنا أحسن منه حديثا! إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين وشهد وقعة " بدر " مع مشركي قريش، فأسره المسلمون، وقتلوه بالأثيل (قرب المدينة) بعد انصرافهم من الوقعة. ينظر: ابن حبيب؛ أبو جعفر محمد الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ)، المحبر، تحقيق: إيالة ليختن شتيتير، (د.ت)، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ص ١٧٧.

البلاذري؛ أحمد بن يحيى (٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (د.ت)، دار المعارف، مصر، ١/١٤٦-١٤٧؛ الزركلي، الأعلام ٣/٢٤٧.

وعقبة بن أبي معيط^(١) إلى أحبار يهود بالمدينة^(٢)، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجوا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالوا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طواف، بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما

(١) عقبة بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (ت ٢ هـ) وأم عقبة آمنة بنت كليب بن ربيعة وعقبة هذا عدو رسول الله ﷺ قال عروة بن الزبير سألت عبد الله بن عمر عن أشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال بينما هو ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله ﷺ فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه فدفعه عنه وقال أنتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ولما كان يوم بدر أسر عقبة فقتله رسول الله ﷺ صبيرا فقال له وقد أمر فيه بذلك يا محمد أنا خاصة من قريش قال نعم قال فمن للصبية بعدي قال النار فلذلك يسمى صببية العيط بن أبي معيط صببية النار . . ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف ١/١٤٧-١٤٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ١/٥٩٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات ٢٠/٥٩-٦٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ٢/٥٤٢.

كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك، فإنه نبي فاتبعوه، وإن هو لم يخبركم، فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم، فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش، فقالوا: يا معشر قريش: قد جنناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أبحار يهود أن نسأله، عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمرهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: (أخبركم غدا بما سألتكم عنه) ولم يستثن فأنصرفوا عنه، فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يحدث الله إليه في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غدا، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة. ثم جاءه جبرائيل عليه السلام، من الله عز وجل، بسورة أصحاب الكهف^(١)، وان رسول الله ﷺ افتتح السورة فقال: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدَهُ الْكِتَابَ}^(٢)، يعني محمداً أنك رسول مني، تحقيقاً لما سألوه عنه من نبوته {وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قِيمًا}^(٣) أي معتدلاً لا اختلاف فيه

(١) الطبري، جامع البيان ١٥/٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٤/١٣٣؛ السيوطي، الدر المنثور ٩/٤٧٩-٤٨٠.

(٢) سورة الكهف آية ١.

(٣) سورة الكهف آية ١-٢.

{لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ} (١) عاجل عقوبة في الدنيا، والعذاب في الآخرة (٢) وفيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف، وقول الله عز وجل { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } (٣) (٤).

فلما هاجر رسول الله - ﷺ - إلى المدينة أتاه أحبار اليهود فقالوا: يا محمد بلغنا عنك أنك تقول: { وما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } أفنعيننا أم قومك؟ فقال: (كلا قد عنيت)، قالوا: ألسنت تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء؟ فقال رسول الله - ﷺ - (هي في علم الله سبحانه قليل، ولقد آتاكم الله تعالى ما إن عملتم به انتفعتم به) (٥)، فقالوا: يا محمد

(١) سورة الكهف آية ٢.

(٢) ابن اسحاق؛ محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١هـ)، السير والمغازي المعروف بسيرة ابن اسحاق، تحقيق: سهيل زكار، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٢٠١-٢٠٣. ابن هشام، السيرة النبوية ١/٣٢١-٣٢٣؛ الطبري، جامع البيان ١٥/١٤٣-١٤٤؛ البيهقي، دلائل النبوة ٢/٢٧٠-٢٧١.

(٣) سورة الاسراء آية ٨٥.

(٤) أن السورة كلها مكية وقد يكون نزلت عليه هذه الآية بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك، أو أنه نزل عليه الوحي بأن يجيبهم عما سألوا بالآية المتقدم إنزالها عليه. ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥/١١٤. وترجَّح الرواية الأولى لحضور ابن مسعود رضي الله عنه القصة، ثم لما عليه الأمة من تلقي صحيح البخاري بالقبول، وترجيحه على ما صحَّ في غيره.

(٥) الطبري . جامع البيان ١٧/ ٥٤٥؛ الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٧/ ٣٢١؛ الواحدي، أسباب النزول ص ٣٤٦؛ البغوي، التفسير ٣/ ٥٩١؛ ابن كثير، التفسير ٥/ ١١٥.

كيف تزعم هذا؟ أنت تقول: **لَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**^(١) فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير؟ فأنزل^(٢) الله تعالى: **لَوْ لَوْ أَمْثَلْنَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٍ وَالْبَحْرِ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**^(٣).

وعن ثوبان^(٤) مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله ﷺ: (إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي)،

(١) سورة البقرة آية ٢٦٩.

(٢) الطبري، جامع البيان ٥٧٣/١٩-٥٧٤؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٥٥٤-٥٥٥؛ البغوي، معالم التنزيل ٢٩٢/٦؛ الألوسي، روح المعاني ١٠٠/٢١.

(٣) سورة لقمان آية ٢٧.

(٤) ابو عبد الله ثوبان بن يُجَدُّ مولى رسول الله ﷺ وهو من حمير من اليمن وقيل من أهل السراة وهو موضع بين مكة والمدينة أصابه سباء فاشتره رسول الله ﷺ فأعتقه ولم يزل معه سفيراً وحضراً إلى أن توفي رسول الله ﷺ، سكن الشام وتوفي بحمص سنة ٥٤هـ. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ١٠٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٤٨٠/١؛ ابن حجر، الاصابة ٨٨/٢.

فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: (أينفعك شيء إن حدثتك؟) قال: أسمع بأذني، فنكت^(١) رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: (سل) فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هم في الظلمة دون الجسر) قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: (فقراء المهاجرين) قال اليهودي: فما تحفتهم^(٢) حين يدخلون الجنة؟ قال: (زيادة كبد النون)^(٣)، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: (ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها) قال: فما شرابهم عليه؟ قال: (من عين فيها تسمى سلسبيلا) قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجлан. قال: (ينفعك إن حدثتك؟) قال: أسمع بأذني. قال: جئت أسألك عن الولد؟ قال: (ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا مني الرجل مني المرأة، أنكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل، آنتا بإذن الله). قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي، ثم انصرف فذهب.

(١) النكت: هو الضرب في الأرض بعود أو حديدة أو غير ذلك. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ١١٣/٥؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ١٦٢؛ الزبيدي، تاج العروس، ١٢٧/٥.

(٢) التحفة: طرفة الفاكهة، والجمع التحف ثم تستعمل في غير الفاكهة. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ١٨٢/١؛ ابن منظور، لسان العرب ٤٢١/١؛ الزبيدي، تاج العروس، ٥٢/٢٣.

(٣) كبد كل شيء وسطه، والزيادة هو طرف الكبد وهو أطيبها والمراد بالنون الحوت. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ١٣٩/٤؛ النووي، شرح صحيح مسلم، ط١، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، ١٩٢٩م، ٢٢٧/٣.

فقال رسول الله ﷺ: (لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه، وما لي علم بشيء منه، حتى أتاني الله به)^(١). وكان اليهود يكثرُونَ الاسئلة على رسول الله ﷺ لما في نفوسهم من حيره وشك ولما هم فيه من باطل، فعن زيد بن أرقم^(٢) قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال: يا أبا القاسم، أأنت تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ وقال لأصحابه: إن أقر لي بهذه خصمته. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بلى والذي نفسي بيده، إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع). قال: فقال له اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة. قال: فقال رسول الله ﷺ: (حاجة أحدهم عرق يفيض من جلودهم مثل ريح المسك، فإذا البطن قد ضم)^(٣).

ومن حسدهم وكبرهم يسألون الرسول ﷺ ويجيبهم بما يوافق التوراة لكنهم لا يستجيبون، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: جاء حبر من

(١) مسلم، صحيح مسلم ٢٥٢/١؛ البزار، البحر الزخار ١٠٥/١٠؛ الطبراني، المعجم الكبير

٩٣/٢؛ ابن بلبان، صحيح ابن حبان ١٦/٤٤٠-٤٤١.

(٢) زيد بن أرقم بن زيد الأنصاري الخزرجي غزا مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة نزل الكوفة

وسكن بها وشهد مع علي رضي الله عنه صفين، توفي سنة ٦٨هـ. ينظر: أبو نعيم، معرفة

الصحابية ٣/١١٦٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٢٤٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٢/٣٤٢.

(٣) أحمد، مسند الإمام أحمد ١٨/٣٢؛ هناد؛ هناد بن السري الكوفي (ت ٤٣هـ)، الزهد، تحقيق:

عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، ط ١، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٩٨٥م،

ص ٧٣؛ ابن بلبان، صحيح ابن حبان ١٦/٤٤٣-٤٤٤.

الأخبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد: أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ^(١) رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢).

أن القرآن صدق ما قاله هذا الحبر من أمور القيامة، وأن اليهود يعلمون صدق النبي ﷺ وصدق ما أخبر به، ثم يكذبون على الله، ويكذبون رسوله ﷺ، فإن الله جلّ في علاه كامل الصفات وفي قهره لجميع المخلوقات الكبير في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته الذي من عظمته وكبريائه أن الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ومن كبريائه أن كرسيه وسع السموات والأرض ومن عظمته وكبريائه أن نواصي العباد بيده فلا يتصرفون إلا بمشيئته ولا يتحركون ويسكنون إلا بإرادته وحقيقة الكبرياء التي لا يعلمها إلا هو لا ملك مقرب ولا نبي مرسل أنها كل صفة كمال وجلال وكبرياء وعظمة فهي ثابتة له وله من تلك الصفة أجلها وأكملها ومن كبريائه أن العبادات كلها الصادرة من أهل السموات والأرض كلها المقصود منها تكبيره وتعظيمه وإجلاله وإكرامه

(١) أحمد، مسند الإمام أحمد ٦/٦٩-٧٠؛ البخاري، صحيح البخاري ٦/١٢٦؛ البزار، البحر الزخار ٤/٣١٤؛ الطبري، جامع البيان ٢٠/٢٤٩.
(٢) سورة الزمر آية ٦٧.

ولهذا كان التكبير شعارا للعبادات الكبار كالصلاة وغيرها^(١)، وأن الله تعالى يقدر على قبض الأرض وجميع ما فيها من الخلائق أي إنه يقبضها بقدرته^(٢)، وقال: الله تعالى ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال رسول الله ﷺ يَطْوِي اللهُ عِزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيَّنَ الْجَبَّارُونَ أَيَّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيَّنَ الْجَبَّارُونَ أَيَّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ^(٣) .

وجاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ - فقالوا: صف لنا ربك، فإن الله أنزل نعتة في التوراة، فأخبرنا من أي شيء هو؟ ومن أي جنس هو؟ من ذهب هو أم نحاس أم فضة؟ وهل يأكل ويشرب؟ وممن ورث الدنيا

(١) السعدي؛ عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المعروف بتفسير السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٥٤٤.

(٢) الواحدي، أسباب النزول، ص ٥٨٩. (وهذا الكلام فيه تأويل وهو اجتهاد من الواحدي رحمه الله، قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: قد قبض الأرضين والسماوات جميعا بيمينه ألم تسمع أنه قال: ﴿مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ يعني: الأرض والسماوات بيمينه جميعا. ينظر: الطبري، جامع البيان ٢٠/٢٤٦.

(٣) مسلم، صحيح مسلم ٤/٢١٤٨؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه ٢/١٤٢٩؛ أبو داود، سنن أبي داود ٥/٢٤١.

ومن يورثها؟ فأُنزل^(١) الله تبارك وتعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٣).

هذه السورة وهي نسبة الله خاصة، وان الله تعالى له ملك السماوات والأرض ومن فيهن وهو المتصرف فيهم، وهو، خالقهم، ورازقهم ومقدرهم، ومسخرهم ومسيرهم ومصرفهم كما يشاء والجميع عبيد له وملك له ومقرون له بالعبودية ومطيعون له يوم القيامة وهو تبارك وتعالى ليس له نظير ولا مشارك في عظمته وكبريائه قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾^(٤).

إنَّ الله تعالى هو السيد العظيم الذي لا نظير له ولا شبيه له وأن جميع الأشياء مربوبة له فكيف يكون له منها ولد!^(٥) وقال النبي ﷺ : قال الله: (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أنني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما

(١) الطبري ، التفسير ٢٤ / ٦٨٨ ؛ الواحدي ، أسباب النزول ص ٤٧١ ؛ السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٨ / ٦٧١ .

(٢) سورة الاخلاص الآيات ١-٤ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٠١ .

(٤) سورة مريم آية ٨٨-٨٩ .

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/٣٩٦ .

شتمه إياي، فقله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا^(١) و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه : (لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيه)^(٢) كان اليهود يقولون: عَزَّير ابن الله، و كان نصارى نجران يقولون: المسيح ابن الله، وكان مشركو العرب يقولون: الملائكة بنات الله وفيهم نزل^(٣) قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَمْ يَكُن لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّهُ قَانُتُونَ﴾^(٤)

ما لقائلي هذا القول من علم فلجهلهم بالله وعظمتهم قالوا ذلك ولا لأسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل الذي هم عليه اليوم كبرت كلمتهم التي قالوها^(٥)، أنهم فيما يقولون ويفعلون مبطلون مخطئون فإنهم يقولون عن غير علم بل عن جهل منهم به ﷺ وتقدسست اسمائه وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا^(٦).

(١) البخاري، صحيح البخاري ١٩/٦-٢٠.

(٢) مسلم، صحيح مسلم ٤/٢١٦٠.

(٣) الواحدي، أسباب النزول ص ١٤٦؛ البغوي، معالم التنزيل ١/١٤١؛ ابن حجر، العجائب في بيان الأسباب ١/٣٦٦.

(٤) سورة البقرة آية ١١٦.

(٥) الطبري، جامع البيان ١٥/١٤٧.

(٦) الطبري، جامع البيان ١٧/١٠٢.

وان الله تعالى سمي اليهود المغضوب عليهم كما جاء في سورة الفاتحة^(١) لأنهم يعرفون الحق ولا يعملون به

وكما جاء في رواية قتيلة بنت صيفي^(٢) الجهنية قالت: أتى حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، نعم القوم

أنتم، لولا أنكم تشركون، قال: (سبحان الله، وما ذاك؟)، قال: تقولون إذا حلفتكم والكعبة، قالت: فأمهل رسول الله ﷺ شيئاً ثم قال: (إنه قد قال: فمن حلف فليحلف برب الكعبة) ثم قال: يا محمد، نعم القوم أنتم، لولا أنكم تجعلون لله ندا، قال: (سبحان الله، وما ذاك؟) قال: تقولون ما شاء الله وشئت، قال: فأمهل رسول الله ﷺ شيئاً ثم قال: (إنه قد قال، فمن قال ما شاء الله فليفصل بينهما ثم شئت)^(٣)، ثم زعم اليهود ان موسى عليه السلام كان ينظر الى الله عزوجل وقال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرَايَ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ

(١) الطبري، جامع البيان ١/١٨٦؛ البغوي، معالم التنزيل ١/٥٥؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/١٤٢.

(٢) قتيلة بنت صيفي الجهنية، كانت من المهاجرات الأول. ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة ٥/٣٤٢٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٩٣٣؛ ابن حجر، الإصابة ١٤/١٣٠.

(٣) أحمد، مسند الإمام أحمد ٤٥/٤٣؛ النسائي، السنن الكبرى ٤/٤٣٦؛ الطبراني، المعجم الكبير ٢٥/١٣-١٤.

لَلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ^(١).
 وَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ - ﷺ - أَلَا تَكَلِّمُ اللَّهُ وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا كَمَا كَلَّمَهُ مُوسَىٰ وَنَظَرَ
 إِلَيْهِ؟ فَإِنَّا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْعَلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: (لَمْ يَنْظُرِ مُوسَىٰ إِلَى اللَّهِ)^(٢) وَبَعْدَ أَنْ
 بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى دَلَائِلَ كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَنِعْمَتِهِ مِمَّا هُوَ مُحْسُوسٌ، اتَّبَعَهُ بِبَيَانِ
 أَنْوَاعِ وَحْيِهِ وَكَلَامِهِ إِلَى أَنْبِيَائِهِ مِنَ النَّعْمِ الرُّوحِيَّةِ، الَّتِي اخْتَصَّ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالرَّسُلُ مِنْ
 سَائِرِ النَّاسِ، وَأَوْضَحَ أَنَّ الْوَحْيَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُرْآنِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى
 الشَّرَائِعِ الَّتِي تَصْلِحُ الْبَشَرَ وَتَهْدِيهِمْ إِلَى الْحَقِّ وَهُوَ مِثْلُ الْوَحْيِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ
 وَأَنْزَلَتْ^(٣) ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يَرْسُلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِلَاذِنِهِ مَا
 يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٤).

(١) سورة الأعراف آية ١٤٣.

(٢) الواحدي ، أسباب النزول ص ٣٧٥.

(٣) ينظر: الواحدي، أسباب النزول، ص ٥٩٧؛ البغوي، معالم التنزيل ٢٠٠/٧؛ الزمخشري،
 الكشف، ٤٢١/٥-٤٢٢؛ ابن الجوزي، زاد المسير ٢٩٧/٧.

(٤) سورة الشورى آية ٥١.

والمراد بالوحي هاهنا الوحي في المنام أو من وراء حجاب كما كلم موسى أو يرسل رسولا كجبرائيل فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذنه ما يشاء^(١)، وإن اليهود شتموا النبي - ﷺ - والمسلمين لما نزل قوله: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} (٩) {^(٢).

وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به، فاشتد ذلك على النبي - صلى الله عليه وسلم - فأُنزل^(٣) الله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا} (١) ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما^(٤) فلما سمعها المؤمنون، قالوا: هنيئا مريئا، هذا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فنزل^(٥) قوله تعالى: {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا} (٥) ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ

(١) الطبري، جامع البيان ٥٤٠/٢٠؛ البرسوي، روح البيان ٣٤٤/٨-٣٤٥؛ الالوسي، روح المعاني ٥٤/١٣.

(٢) سورة الأحقاف آية ٩.

(٣) الثعلبي، الكشف والبيان ٤٢/٩؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٦٠٨؛ ابن الجوزي، زاد المسير ٤١٨/٧؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٩٥/١٩.

(٤) سورة الفتح آية ١-٢.

(٥) الثعلبي، الكشف والبيان ٤٣/٩؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٦٠٨؛ ابن عطية، المحرر الوجيز ٦٦٨/٧.

عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا^(١). فعرفه الله تعالى ما يفعل به وبالمؤمنين والكافرين^(٢).

وان اسئلتهم ليست لمعرفة الحق واتباعه وإنما حسدا وكبرا وللتعجيز لكن اجوبة الرسول ﷺ لتبيان الحق الذي لالبس فيه واصبح حجة عليهم وكانوا مستمرين باسئلتهم، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود أتت النبي - صلى الله عليه وسلم - فسألت عن خلق السموات والأرض فقال: (خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من المنافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر)، قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: (ثم استوى على العرش) ، قالوا: قد أصبت لو تمت ثم استراح، فغضب رسول الله - ﷺ - غضباً شديداً، فنزلت^(٣): ﴿لَوْ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (٣٨) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾^(٤).

(١) سورة الفتح آية ٥-٦.

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز ٦٦٨/٧.

(٣) الطبري، جامع البيان ٣٨٢/٢٠-٣٨٣؛ الحاكم، المستدرک على الصحيحين ٦٣٨/٢-٦٣٩؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٦٢٧-٦٢٨.

(٤) سورة ق آية ٣٨-٣٩.

وعن ثابت بن الحارث الأنصاري^(١)، قال: كانت يهود تقول إن أهلك لهم صبي صغير، قالوا: هو صديق، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: (كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله، في بطن أمه إلا أنه شقي، وسعيد)، فأُنزل^(٢) الله عز وجل ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾^(٣).

وكان اليهود يكيّدون الشر ولا يتورعون باي عمل يؤذي رسول الله ﷺ ولذلك سحروا رسول الله - ﷺ - إذ كان غلام من اليهود يخدم رسول الله - ﷺ - فأتوا إليه ، ولم يزلوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي - ﷺ - وعدة أسنان من مشطه، فأعطاهما اليهود فسحروه فيها، وكان الذي تولى ذلك لبيد بن الأعصم اليهودي^(٤)، ثم دسها في بئر لبني زريق يقال لها ذروان، فمرض

(١) ثابت بن الحارث بن ثابت بن الجلاس الأنصاري ويقال ابن حارثة شهد بدرًا، يعد في المصريين. ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة ٤٧٨/١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ١٠٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٤٣٨/١؛ ابن حجر، الإصابة ٣٦/٢.

(٢) أبو نعيم، معرفة الصحابة ٤٧٨/١؛ الطبراني، المعجم الكبير ٨١/٢-٨٢؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ٦٢٩؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٤٩/٢٠.

(٣) سورة النجم آية ٣٢.

(٤) لبيد بن الأعصم من يهود بني زريق وكان أعلمهم بالسحر والسموم. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير ١٧٥-١٧٦؛ الحلبي؛ بدر الدين الحسن بن عمر (ت ٧٧٩هـ)، المقتفى من سيرة المصطفى ﷺ، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، ط ١، دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٩٩٦، ٢٣٨/١.

رسول الله - ﷺ - وانتثر شعر رأسه ولبث ستة أشهر، يُرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وجعل يذوب ولا يدري ما عراه، فبينما هو نائم ذات يوم إذ أتاه ملكان^(١) ففعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، فقال الذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طب^(٢)، قال: وما الطب؟ قال: سحر، قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، قال: وبم طبه؟ قال: بمشط ومشاطة^(٣)، قال: وأين هو؟ قال: في جفّ^(٤) طلعة تحت راعوفة^(٥) في بئر نروان^(٦). فانتبه رسول الله - ﷺ - فقال: (يا عائشة أما شعرت أن الله

(١) هما جبريل وميكائيل، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير ١٧٦/٢؛ العيني، عمدة القاري ٤١٦/٢١.

(٢) " مطبوب " أي مسحور، كنوا بالطب عن السحر تقاؤلاً بالبرء كما كنوا بالسليم عن اللديغ، ابن الأثير؛ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: «طبب» ٣ / ١١٠.

(٣) مشط ومشاطة " المشاطة: هي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط، المرجع السابق، باب الميم مع الشين، مادة: «مشط» ٤ / ٣٣٤.

(٤) جفّ طلعة نكر " الجف: وعاء الطلع للنخل، وهو الغشاء الذي يكون فوقه. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، باب الجيم مع الفاء، مادة: «جفف» ١ / ٢٧٨، ١ / ٢٣٤.

(٥) الراعوفة: صخرة تترك في أسفل البئر إذا حفرت، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها. ينظر: العيني، عمدة القارئ ١٣٥/١٥.

(٦) بئر من ناحية المدينة في دور بني زريق من الأنصار، ينظر: البكري؛ أبو عبيد عبد الله ابن ابن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، (د.ت)، عالم الكتب، بيروت، ٦١١/٢.

أخبرني بدائي)، ثم بعث عليا، والزيبر، وعمار بن ياسر رضي الله عنهم فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء^(١)، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجفّ، فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه، وإذا فيه وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر، فأنزل^(٢) الله تعالى المعوذتين حين سحرته اليهود، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول الله - ﷺ - خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة، فقام كأنما نشط من عقال، وجعل جبريل عليه السلام يقول: (بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن حاسد وعين، الله يشفيك)، فقالوا: يا رسول الله أو لا نأخذ الخبيث فنقتله؟ فقال - صلى الله عليه وسلم - : (أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شرّاً)^(٣) وهذا من لحم رسول الله ﷺ الرحمة المهداة للعالمين، ولكن اليهود متأصل السحر في نفوسهم فكانوا يتعلمونه ويعملون به فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء، فيجيء أحدهم بكلمة حق فإذا جرّب من أحدهم الصدق كذب معها سبعين كذبة فأشربتها قلوب الناس، واتخذوها

(١) نقاعة الحناء " النقع": الماء الناقع وهو المجتمع، فنقع البئر هو ماؤها الناقع المجتمع ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، باب النون مع القاف، مادة: «نقع» ٥ / ١٠٨
(٢) الماوردي؛ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت ٤٥٠هـ)، النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ٣٧٣/٦؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٨ / ٥٠٦.
(٣) الواحدي، أسباب النزول، ص ٧٥٣-٧٥٤؛ العيني، عمدة القاري ١٥ / ١٣٥.

دواوين، فاطلع على ذلك سليمان، فأخذها فدفنها تحت الكرسي؛ فلما مات سليمان قام شيطان بالطريق فقال: ألا أدلكم على كنز سليمان المنيع الذي لا كنز له مثله؟ قالوا: نعم قال: تحت الكرسي فأخرجوه، فقالوا: هذا سحر^(١)، فتاسخته الأمم فأنزل^(٢) الله عذر سليمان ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

(١) السحر عما خفي ولطف سببه وفي عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويُجرى مجرى التمويه والخداع وعزائم ورُقَى وَعَقْدٌ تُؤَثَّرُ فِي الْأَبْدَانِ وَالْقُلُوبِ، ينظر: ابن قدامة؛ موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي الحنبلي (ت ٦٢٠هـ)، الكافي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ١٩٩٧م، ٣٣١/٥؛ الفيومي، المصباح المنير، كتاب السين، مادة: «سحر»، ص ١٠٢؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الراء، فصل السين، ص ٤٠٥. ينظر حول موضوع السحر: آل الشيخ؛ عبد الرحمن بن حسن (ت ١٢٨٥هـ)، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط ١، مكتبة دار البيان، دمشق - بيروت، ١٩٨٢م، ص ٣١٤-٣١٦.

(٢) الطبري، جامع البيان ٢ / ٤١٥؛ الحاكم، المستدرک على الصحيحين ٢ / ٢٩١؛ الواحدي، أسباب النزول ص ٣٢؛ ابن حجر، العجَاب في بيان الأسباب ١ / ٣٠٦. الشوكاني، فتح القدير ١ / ١٤٢.

وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

وان المتتبع لسيرة اليهود يجدهم أهل الكذب والبهت والغدر والمكر والحيل قتلة الأنبياء
وأكلة السحت وهو الربا والرشا أخبث الأمم طوية وأرداهم سجية وأبعدهم من الرحمة
وأقربهم من النعمة عادتهم البغضاء وديدنهم العداوة والشحناء بيت السحر والكذب
والحيل لا يرون لمن خالفهم في كفرهم وتكذيبهم الأنبياء حرمة ولا يرقبون في مؤمن
إلا ولا نمة ولا لمن وافقهم حق ولا شفقة ولا لمن شاركهم عندهم عدل ولا نصفة ولا
لمن خالطهم طمأنينة ولا أمانة ولا لمن استعملهم عندهم نصيحة بل أخبثهم أعقلهم
وأحذقهم أغشهم وسليم الناصية وحاشاه أن يوجد بينهم ليس بيهودي على الحقيقة
أضيق الخلق صدورا وأظلمهم بيوتا وأنتنهم أفنية وأوحشهم سجية تحيتهم لعنة ولقاؤهم
طيره شعارهم الغضب ودثارهم المقت (٢) وحرصهم على إيقاد الحروب و الفساد في
الأرض قال تعالى : لَوَقَّالَتِ الْيَهُودُ يَدَ اللَّهِ مَغْلُولَةً غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ
يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

(١) سورة البقرة آية ١٠٢ .

(٢) ابن قيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص ٨، ص ٢٢٧ .

المُفسدينَ {^(١)}. وأن معظم الآيات التي تتكلم عن اليهود جاءت بصيغة المضارع مما يفيد أنهم سيستمرون بإيذائهم وقتالهم للمسلمين .

(١) سورة المائدة آية ٦٤.

الفصل الثالث : النصارى من خلال

مرويات أسباب النزول

ويتضمن مبحثين:

المبحث الاول

بولس وتحريف الانجيل والجنود

الوثنية لعقيدة التثليث النصرانية

١- بولس و تحريف الانجيل

٢- الجنود الوثنية لعقيدة التثليث النصرانية

٣- التأليه والتثليث عند النصارى

٤- الغلو و البدع في الديانة النصرانية

المبحث الثاني

بشرى بحيرا الراهب وتحقق الوعد وانتصارالروم

على الفرس ومناظرات نصارى نجران والمباهلة

١- بشرى بحيرا الراهب

٢- تحقق الوعد وانتصارالروم على الفرس

٣- مناظرات نصارى نجران والمباهل

الفصل الثالث

النصارى من خلال مرويات أسباب النزول

إنَّ النصرانية امتداد لليهودية، لأنَّ بني إسرائيل حرفوا اليهودية الدين الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام وبدلوا التوراة فأرسل الله نبيه عيسى عليه السلام إليهم مصححاً لما حرفوه وليحل لهم بعض الطيبات التي حرمت عليهم ومبشراً بمحمد ﷺ رسولاً يأتي من بعده^(١). قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ^(٢)﴾.

وَالنَّصْرَانِيَّةُ مَأْخُوذَةٌ مِنْ اسْمِ قَرْيَةٍ النَّاصِرَةِ^(٣) الْمَكَانَ الَّذِي وُلِدَ وَنَشَأَ فِيهِ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ الْيَهُودُ يَسْمُونَهُ عِيسَى النَّاصِرِي، وَاتَّبَاعَهُ النَّاصِرِيُّونَ، أَوْ مَأْخُوذَةٌ مِنْ كَلِمَةٍ (هَا نَصْرِي) وَهِيَ كَلِمَةٌ تَعْبِيرٌ وَإِحْتِقَارٌ فِي اللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ^(٤)، وَقَدْ

(١) ينظر: شلبي؛ أحمد (ت ٢٠٠٠م)، مقارنة الأديان - المسيحية، ط ١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م، ٧١-٧٤.

(٢) سورة الصف، آية ٦.

(٣) البعلي؛ ابو عبدالله محمد بن ابي الفتح الحنبلي (ت ٧٠٩هـ)، المطلع على أبواب المقنع، تحقيق: محمد بشير الادلبي، ط ١، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ، ٣١٠/١.

(٤) الأشقر؛ عمر سليمان، القيامة الصغرى، ط ٣، دار النفائس، الكويت، ١٩٩١م، ٢٤٨-٢٤٩.

تفاخر المسيح بهذا اللقب نكاية لعلماء بني إسرائيل، وتفاخر اتباعه به، فصاروا معروفين بالناصرين، وبالنصارى^(١) وقال رسول الله ﷺ: (ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)^(٢). والفطرة هي الإسلام^(٣)، والتتصّر الدخول في النصرانية، ونصّره جعله نصرانيا^(٤).

وكانت طائفة من بني إسرائيل يثبتون شريعة التوراة ويقرون بنبوة عيسى ابن مريم عليه السلام وتعديلاته في تلك الشريعة، كما قال القرآن الكريم {يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَت طَّائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} ^(٥) فالطائفة التي آمنت هي النصارى والطائفة التي كفرت هي اليهود، وما يزال بعض من الناس يعد النصرانية دينا سماويا تاليا للديانة اليهودية سابقا على الإسلام ويزعمون أن الأديان ثلاثة أديان اليهودية والنصرانية والإسلام وعيسى عليه السلام من بني إسرائيل،

(١) السقا؛ أحمد علي، البداية والنهاية لأمة بني إسرائيل، ط١، دار الكتاب بالعربي، سوريا، ٢٠٠٤م، ١١٩.

(٢) البخاري، صحيح البخاري ٩٤/٢-٩٥.

(٣) العيني، عمدة القارئ ٣١/٨؛ البرسوي، روح البيان في تفسير القرآن، ١٥٣/١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب ٧ / ٤٤٤٠.

(٥) سورة الصف، آية ١٤.

وتابع لشريعة موسى عليه السلام، وليس بناسخ لها^(١) ويقول متى عن عيسى عليه السلام: "لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل"^(٢)، والأديان اثنان فقط لا ثالث لهما اليهودية أولاً والإسلام آخراً وقد نسخ الدين الأخير الدين الأول الذي حرف من قبل^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمِنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾^(٤).

ولم يذكر عيسى؛ لأنَّ عيسى، عليه السلام، أنزل عليه الإنجيل فيه مواضع وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم، وهو

-
- (١) الكيرانوي؛ محمد رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني الهندي الحنفي (ت ١٣٠٨هـ)، مختصر إظهار الحق، تحقيق واختصار: محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ، ١١٣.
- (٢) إنجيل متى ٥ / ١٧ - ١٨.
- (٣) القرطبي؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت ٦٧١هـ)، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، المحقق: د. أحمد حجازي السقا، ط١، دار التراث العربي، القاهرة، ٤٧٨ - ٤٧٩.
- (٤) سورة الاحقاف الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .

متمم لشريعة التوراة، فالعمدة هو التوراة؛ فلهذا قالوا: أنزل من بعد موسى^(١).

ولما رفع الله المسيح عليه السلام من بين أيدي اليهود إلى السماء كما هو مصرح في القرآن ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧)﴾ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيمًا^(٢).

وكانوا متمسكين بدين عيسى عليه السلام بعد ما رفع إلى السماء إحدى وثلاثين سنة ثم وقع بينهم وبين اليهود حرب فانقسموا بعد ذلك^(٣)، قال رسول الله ﷺ: (افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، والذي نفسي بيده لتتفرقن أمتي على ثلاث

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٧ / ٣٠٢ .

(٢) سورة النساء آية ١٥٧، ١٥٨ .

(٣) الأسفراييني ؛ أبو المظفر طاهر بن محمد ، (ت ٤٧١هـ)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة

الناجية عن الفرق الهالكين، المحقق: كمال يوسف الحوت، ط١، عالم الكتب، لبنان، ١٤٠٣هـ

- ١٩٨٣م، ١٥١ .

وسبعين فرقة واحدة في الجنة، واثنان وسبعون في النار» قيل: يا رسول الله، ومن هي؟ قال: الجماعة^(١).

المبحث الاول

بولس وتحريف الانجيل والجنود

الوثنية لعقيدة التثليث النصرانية

١ - بولس و تحريف الانجيل:

إن الحديث عن تأريخ النصارى يواجه مشكلة الإنقطاع التاريخي وهي المدة التي تعقب رفع المسيح عليه السلام إلى منتصف القرن الثاني من الميلاد لا يوجد بين يدي النصارى سوى كتاب "أعمال الرسل" الذي تحدث كاتبه في أوله عن يازعم أنهم تلاميذ المسيح حديثاً محدوداً، ثم خصص بقية كتابه للحديث عن بولس^(٢) وأعماله، ومع ذلك فإن المعلومات عن بولس تتقطع

(١) الطبراني ، المعجم الكبير ١٨ / ٧٠ . وقد ذم الله تعالى التفرق: { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاءً لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } [الأُنعام، الآية ١٥٩].

(٢) بولس أو بولص كان اسمه في اليهودية شأوول ويلقبه النصارى بالرسول على الرغم من أنه لم يكن من تلاميذ المسيح، ولم تثبت له رؤية المسيح عليه السلام في حياته، وقد كان بولس يهودياً يونانياً في بداية أمره من أشد الناس اضطهاداً وتعذيباً لأتباع المسيح عليه السلام، وعندما كان في نحو الثلاثين من عمره ادعى بولس وهو في طريقه إلى دمشق بأن المسيح قد ظهر له يقظة في عمود من نور وذلك بعد رفع المسيح بسبع سنين - وأمره باتباعه وتبليغ رسالته إلى الأمم - وبذلك أصبح بولس من أكبر الدعاة فأخذ يطوف البلاد وينشئ الكنائس ويلقي الخطب ويكتب الرسائل حتى قتل في اضطهاد نيرون سنة ٦٥م، وتنسب إليه (١٤) رسالة من أسفار العهد الجديد تعد مصدراً رئيساً للعقائد والتشريعات النصرانية المحرفة. ينظر: ول ديورانت؛ ويليام جيمس ، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين ، دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٩٨٨م، ١١/٢٤٩-٢٧٠؛ الجهيني؛ مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط٤، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ، ٢/٥٦٦-٥٦٧؛ سعفان؛ كامل، مسيحية بلا مسيح، دار

قبل موته بعد وصوله روما، واستخلاصه من رسائل بولس الأربع عشرة التي فيها إشارات قليلة تخص بولس من ناحية تاريخية إلا أنها شبه خالية من المعلومات عن الحواريين الذين هم تلاميذ المسيح عليه السلام الحقيقيون^(١)، وبعد أن كان اليهود ينتظرون مقدم المسيح المنتظر المنقذ الذي بشرت به التوراة، فلما جاء المسيح عليه السلام وياشر بدعوته ناهضوه، وادعوا بأنه خذلهم، وعند ذهابه عليه السلام، أَظْهَرَ بولس النَّصْرَانِيَّةَ نِفَاقًا فَقَصَّدَ إِفْسَادَهَا^(٢) وَكَانَ بولس يَهُودِيًّا ظالماً غاشماً مبغضاً للمسيح وقد

الفضيلة ، القاهرة(د.ت)، ١٧-٢٠.

(١) الخلف؛ سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط٤، مكتبة أضواء

السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ١٧١.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٥ / ١١٢.

حلق رأس ابن أخيه حين آمن بالمسيح وطاف به في البلاد ثم رجمه حتى مات^(١)، وقتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا به والنار مصيرنا فإنني أحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار وأظهر الندامة ووضع على رأسه التراب فقال للنصارى نوديت من السماء ليست لك توبة إلا أن تتنصر وقد تبت فأدخلوه الكنيسة ثم دخل بيتا سنة لا يخرج منه ليلا ولا نهارا حتى تعلم الإنجيل ثم خرج وقال نوديت أن الله قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وادعى بولس المسيحية، وأنه أحد رسل وحواريي عيسى المسيح، "بعد ذهاب المسيح عن العالم، انضم إلى تلاميذه وحوارييه بحيلة ابتكرها، ثم زعم أنه رسول مثلهم"^(٢)، وتنقل في البلاد ونجم عن خروج بولس إلى أوربا أن اضطر للموامة بين عقائد الخلاص المنتشرة في الإمبراطورية الرومانية وعقيدة الخلاص التي نادى بها يسوع المسيح، فامتزجت دعوة التوحيد بالنظريات الفلسفية الإغريقية^(٣) واتبع المسيح نفاقا ليلبس على النصارى دينهم فأحدث لهم مقالات غالية وكثرت البدع في

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ٥٢٥/٢ .

(٢) الطهطاوي؛ محمد عزت، النصرانية في الميزان، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥م، ١٤٤ .

(٣) ينظر: أحمد؛ إبراهيم خليل، محاضرات في مقارنة الأديان، ط٢، دار المنار، القاهرة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م، ١٩ .

النصارى في اعتقاداتهم وعباداتهم^(١) وهو صاحب الرسائل التي بأيدي
النصارى حيث ابتدع لهم بدعاً أفسد بها دينهم^(٢) ، ثم مضى إلى بيت
المقدس واستخلف عليهم نسطورا وعلمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة
ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال لم يكن عيسى بإنس ولا
بجسم ولكنه ابن الله وعلم ذلك رجلا يقال له يعقوب ثم دعا رجلا يقال له
ملكا فقال له إن الإله لم يزل ولا يزال عيسى فلما استمكن منهم دعا هؤلاء
الثلاثة واحدا واحدا وقال لكل واحد منهم أنت خالستي فتبع كل واحد طائفة
من الناس فاختلفوا واقتتلوا^(٣) ، ولفظ البنوة معروف في الفكر اليهودي، وقد
أطلق على كثيرين أنهم أبناء الله، لكن ظهر للكلمة مفهوم البنوة الحقيقية في
مرابع الفكر اليوناني في طرسوس^(٤) التي كانت مركزاً للثقافات المختلفة،
ومنها نقل بولس كثيراً مما أدخله في النصرانية^(٥) وهكذا تبين أن عقيدة
التجسد

(١) ابن تيمية، جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط٢، دار المدني للنشر والتوزيع، جدة،
١٤٠٥هـ، ٢٦٠/١.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١١٢/٣٥.

(٣) البغوي، معالم التنزيل ٣٨/٤ .

(٤) طرسوس مدينة بالشام بين أنطاكية وحلب يشقها نهر البردان، قيل سميت بطرسوس بن الروم
بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام، وبها قبر الخليفة المأمون العباسي. ينظر: الحموي،
معجم البلدان ٢٨/٤-٢٩؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ٢١٩-٢٢٠؛ البغدادي،
مرصد الاطلاع، ٨٨٣/٢.

(٥) الخطيب؛ عبد الكريم (ت ١٤٠٦هـ)، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ط١، دار الكتب
الحديثة، ١٩٦٥م، ١٣٤؛ الأعظمي؛ محمد ضياء الرحمن، دراسات في اليهودية والمسيحية
وأديان الهند، ط٢، مكتبة الرشد ناشرون، المملكة العربية السعودية - الرياض، ٢٠٠٣م،
٤٢٧؛ سعفان، مسيحية بلا مسيح، ٥٦.

أمر تكاثرت على الإيمان به الوثنيات القديمة السابقة للمسيحية، وعنه نقل بولس والمجامع بعده معتقدتهم في المسيح بالتجسد من أجل الخلاص والغفران ليموت المسيح ويفدي خطايا البشرية.

ويحاول النصارى تأصيل فكرة ألوهية المسيح وردها إلى المسيح وتلاميذه، وتبرئة بولس منها وانهم دُهِشُوا عندما ذهبوا إلى رأس كومورين جنوب الهند من رؤية السكان يعبدون إلهاً مخلصاً يدعونه سليفاهانا المولود من عذراء، ومن البشر الذين قيل بتجسدهم الإله فوهي في الصين، وكذا وستين نونك وهوانكتي وغيرهم، وأما

الإله برومسيوس فقد قيل عنه: كان إنساناً حقيقياً وإلهاً حقيقياً^(١).

(١) ينظر: التنير؛ محمد طاهر البيروتي (ت ١٣٥٢هـ)، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تحقيق: محمد عبد الله الشراوي، (د.ت)، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ٤٧-٥٦.

٢- الجذور الوثنية لعقيدة التثليث النصرانية:

يعتقد الهنود بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة ويقول البوذيون عن بوذا بتركه للفردوس ومجيئه إلى الدنيا من أجل خطايا بني الإنسان وشقائهم كي يبرئهم من ذنوبهم، ويزيل عنهم القصاص الذي يستحقونه وسواهم من البشر الذين اعتقد أتباعهم أنهم آلهة تجسدت لمغفرة الخطايا^(١)، وكما اعتقد النصارى بأن المسيح الابن هو الخالق كانت الوثنيات قد اعتقدت من قبل في آلهتها المتجسدة فقد جاء في كتب الهنود كرشنا ابن الإله من العذراء ديفاكي، وهو الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس، خلق السماوات والأرض بما فيها، وهو عندهم الأول والآخر، وفي كتابهم المقدس أن كرشنا قال لتلميذه أرجون: "أنا ربُّ كلِّ المخلوقات ومبدعها، خلقت الإنسان...فاعرفني، أنا المصور والخالق للإنسان. ويعتقد الصينيون أن الأب لم يخلق شيئاً، وأن الابن لاتوثو المولود من عذراء خلق كل شيء. وفي صلوات الفرس لادرمزد يقولون: "إلى أدرمزد أقدم صلواتي، فهو خالق كل شيء مما هو كان وما سيكون إلى الأبد، وهو الحكيم القوي خالق السماء والشمس والقمر والنجوم ومثله يعتقد الآشوريون في الابن البكر "نرودك"، وكذا مؤلهو "أدوني"، و "لاؤكيون"

(١) ينظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص ٢٩-٣٨؛ شلبي، المسيحية، ١٥١،

وغيرهما ومثله في التراث المصري القديم أن الإله "أتوم" خلق كل شيء حي بواسطة الكلمة التي خلقت كل قوى الحياة، وكلما يؤكل، وكل ما يحبه أو يكرهه الإنسان^(١).

ووصف يوحنا في رؤياه المسيح بأته الأول والآخر والألف والياء، وهذا وصف يتطابق تماماً مع وصف الوثنيين آلهتهم المتجسدة التي يعتقدون أزليتها وأبديتها إذ جاء في كتابات الهنود عن بوذا: هو الألف والياء، ليس لوجوده ابتداء ولا انتهاء، وهو الرب المالك القادر الأبدي، ومثله قيل في لاؤكين ولاوتز وارمزد وزوس المدعو "الألف والياء"، وغيرهم كثير^(٢)، ومن ذلك كله لا يسعنا إلا القول أن التثليث عقيدة منحولة من تلك الديانات الوثنية التي ضلت عن الفطرة، وابتعدت عن هدي النبوات وعبدت غير الله العظيم، وصدق الله العظيم وهو يخبرنا عن مصدر الكفر الذي وقع به النصارى فيقول: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِيرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٣).

(١) ينظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ١١٩-١٢٠.

(٢) ينظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ١٢٠-١٢١.

(٣) سورة التوبة آية ٣٠.

بَيَّنَّ الخطاب مشابهة النصارى من كان قبلهم الذين يقولون إنَّ للآلهة أبناء من وثنيي اليونان والرومان وغيرهم من الوثنيين^(١)، ثم توالى الاستعانات بالثقافات الأخرى كالفارسية والهندية وغيرها مما أعطى هذه الديانة بعدا وثنيا، خرج بها عن أصولها التي جاء بها عيسى ابن مريم -عليه السلام- حتى قيل: إن أركان "المسيحية الجديدة وعقائدها وصلواتها وشعائرها تأثرت أو تحدرت من الديانة الوثنية التي كانت سائدة قبل ظهور المسيح -عليه السلام-، أو في أيامه. وقد نقلها المؤمنون الجدد من ديانتهم الوثنية، فأقرتهم عليها الكنيسة، ثم تبنتها وجعلتها رموزا تأويلية ملفقة ترضيهم وتلبس على غيرهم"^(٢)، وما الفرق بين عبادة الأوثان والأصنام وبين عبادة الأقانيم الثلاثة^(٣)، وعلى هذا فهم يزعمون أن الله

(١) ينظر: شلبي، المسيحية، ١٣٠؛ عصفور؛ محمد أبو المحاسن، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٧م، ٢١٦-٢١٧؛ صبح؛ عبد المجيد حامد، الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ط٢، دار المنارة، المنصورة - مصر، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ٧٣؛ صوفي؛ عبد القادر بن محمد عطا، أثر الملل والنحل القديمة في بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام، ط٦، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ٥٥.

(٢) النملة؛ علي بن إبراهيم الحمد، التنصير - مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ط٢، ١٤١٩ هـ، ٢٢. التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ١٥٦.

(٣) الهاللي؛ تقي الدين (ت ١٤٠٧ هـ)، التقدم والرجعية، مجلة الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة - العدد ٥، السنة الثانية، ١٣٨٩ هـ، ١٢.

تعالى ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وهذا هو الشرك المحض، وقد ذكر الله تعالى ذلك عنهم ورد عليهم بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّينَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

وهذا تهديد وتحذير من الله تعالى للنصارى عن القول بالتثليث وتأليه أحدٍ معه جلَّ في علاه ومن تأليه المسيح عليه السلام وقوله تعالى ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ هذا من أظهر الصفات النافية للإلهية لحاجة الأكل إلى ما يدخل في جوفه لما يستلزم من ذلك^(٢).

(١) سورة المائدة آية ٧٢ - ٧٦ .

(٢) ابن تيمية، الجواب الصحيح ١٧١/ ٢.

وهكذا تبينت ان عقيدة التجسد أمر تكاثرت على الإيمان به الوثنيات القديمة السابقة للمسيحية، وعنه نقل بولس والمجامع بعده معتقدتهم في المسيح بالتجسد من أجل الخلاص والغفران ليموت المسيح ويفدي خطايا البشرية.

٣ - التأليه والتثليث عند النصارى:

لم يكن أحداً من تلاميذ المسيح يعتقد ألوهية المسيح، إذ لم يعبدوه واحد منهم، بل كلهم وجميع معاصري المسيح عليه السلام ما كانوا يعتقدون الا بنبوته، بينما تخلو الأناجيل من دليل واضح ينهض في إثبات ألوهية المسيح الا في رسائل بولس، وأن المسيح لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه إنه ابن الله... فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية^(١)، وان مفهوم "ابن الله" نبع من عالم الفكر اليوناني، وأن بولس هو أول من استعمل الكلمة، وكانت بحسب لغة المسيح (عبد الله) وترجمتها اليونانية servant، فأبدلها بالكلمة اليونانية pais بمعنى طفل أو خادم تقريباً إلى المنتصرين الجدد من الوثنيين^(٢)، وكان المستشار البابوي ينهى عن هدم المعابد

(١) جنيبير؛ شارل، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبد الحليم محمود، (د.ت)، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ٣٩.

(٢) جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ٣٩. شلبي؛ رؤوف، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، ط١، مكتبة الأزهر، مصر، ١٩٧٤م، ٢٧٦-٢٧٧.

الوثنية، ويرى تحويلها من عبادة الشيطان إلى عبادة الإله الحق، كي يهجر الشعب خطايا قلبه، ويسهل عليه غشيان المعابد التي تعود ارتيادها^(١) وهكذا لا يجد المنتصر كبير فرق في المكان والمضمون بين النصرانية وبين ما كان يعتقد من قبل، ويكون ذلك ادعى في انتشار النصرانية ويرى المحققون بأن تسرب هذه الأفكار كان عن طريق طرسوس التي كانت مدرسة كبرى للأدب الإغريقي، ونشأ فيها بولس، وانعكست تعاليمها عليه^(٢).

ولما كان تسرب المعتقدات الوثنية إلى النصرانية حقيقة ساطعة كالشمس كان لا بد أن تعترف بها بعض الأقلام الجريئة المنصفة بالقول: "لقد تتبعت أصول المسيحية القائمة، فوجدتها مطابقة لمعظم الديانات الوثنية القديمة، ولا يكاد يوجد فرق بين هذه الديانات الوثنية وبين المسيحية سوى فروق شكلية بسيطة في الاسم أو الصورة " ويقول آخرون: "إن الاعتقاد بأن المسيح هو

(١) ينظر: شلبي، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، ٦٧-٧٢؛ أبو بكر؛ علاء، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح، (د.ت)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٨هـ، ص ١٩١-١٩٢؛ شلبي، المسيحية، ٨٣.

(٢) ينظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص ١٧٣؛ شلبي، المسيحية، ص ١٥٠؛ الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص ٢٨٢، ٢٩٩، ٤١٤-٤١٥.

الله أو هو ابن الله أو تجسد فيه الله ليست سوى خرافة من خرافات الوثنيين وأساطيرهم الأولى" (١).

فعزل بولس المسيح عن اليهود وجعله مسيحياً، وذلك ليستطيع أن يجعل من الإله الذي تجسد ثم صلب فادياً من أجل خلاص العالم (٢)، وفي هذه العبارات دعوة إلى العالم كله، ومناداة بعالمية دعوة المسيح، ونقل بذلك التوحيد في ديانة بني إسرائيل إلى التثليث، وقال بألوهية المسيح وألوهية الروح القدس... واخترع قصة الفداء للتكفير عن خطايا البشر في الأناجيل والتي تذكر أن أهم الأغراض التي ظهر من أجلها المسيح ابن مريم أو المسيح ابن الله - على زعمهم - هو أن يكفر بدمه الخطيئة التي ارتكبها آدم - عليه السلام - والتي انتقلت بطريق الوراثة إلى جميع نسله، وأنه صلب بالفعل، فحقق بذلك أهم غرض ظهر من أجله (٣)، والقرآن يرد على هذه الفرية وأن الخطيئة لا يحمل وزرها غير مقتزفها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾

(١) ينظر: شلبي، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، ص ٦٧، ٧٣؛ أبو بكر، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح، ١٣٩؛ شلبي، المسيحية، ١٥٢؛ الخطيب، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ١٣٧؛ الأطير، عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية، ١٩-٢٠.

(٢) شلبي، مقارنة الأديان - المسيحية، ١١٤.

(٣) الرحيلي؛ حمود بن أحمد، العلمانية وموقف الإسلام منها، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١١٥، السنة ٣٤، ١٤٢٢هـ، ٣٤٣.

وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ^(١) وَأَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَنَابَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتَغْفَرَ مِنْ خَطِيئَتِهِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا إِذْ أَكَلَ مِنَ الشَّجَرِ فَغَفَرَهَا اللَّهُ لَهُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ^(٢)﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١)﴾ لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفُ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرُ فَيَسِيحُشْرَهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا^(٣).

وَفِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ يَذْهَبُ ابْنُ عَاشُورَ^(٤) إِلَى نَقْضِ التَّثْلِيثِ وَمُنَاقَشَةِ النَّصَارَى فِي الْمَفَاهِيمِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي أَعْطَوْهَا لِلتَّثْلِيثِ: وَيُرَى أَنَّ "التَّثْلِيثَ أَصْلٌ فِي عَقِيدَةِ النَّصَارَى كُلِّهَا، وَلَكِنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي كَيْفِيَّتِهِ"، وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ "ثَلَاثَةٌ" فِي صِيغَةِ خَبَرٍ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ لِيُصْلِحَ لِكُلِّ

(١) سورة فاطر آية ١٨.

(٢) سورة البقرة آية ٣٧.

(٣) سورة النساء آية ١٧١-١٧٢.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٦/ ٥٤-٥٨.

ما يصلح تقديره من مذهبهم في التثليث، سواء أن الآلهة ثلاثة ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ أو أن عيسى وأمه إلهين مع الله ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (١١٦) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴿٢﴾ فالمجموع ثلاثة: كل واحد منهم إله، ولكنهم يقولون: إن مجموع الثلاثة إله واحد أو اتحدت الثلاثة فصار إلهها واحدا" ، فمعاني التثليث إذن مختلفة، فمنهم من يرى أن هناك ثلاثة آلهة، ومنهم من يرى أن الثلاثة إله واحد، ومنهم من يرى أن الله جوهر واحد بثلاثة أقانيم، بعد ذلك تطورت النصرانية وتشعبت

(١) سورة المائدة الآيتان ٧٣، ٧٤ .

(٢) سورة المائدة الآيتان ١١٦ ، ١١٧ .

إلى فرق اليعقوبية^(١) وهم الأرثوذكس الآن، والنسطورية^(٢)، والجاثقية وهم الكاثوليك، بناء على اختلاف مذاهبهم في التثليث، مع اتفاقهم بالقول به، ونقض البنوة ينطلق من قوله تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا }^(٣) لنقض شبهة النصارى في أن المسيح ابن لله، فالبنوة منتفأة، لاستحالة الفناء، والاحتياج،

(١) اليعاقبة ينسبون إلى يعقوب الرهاوي. وكان راهبا بالقسطنطينية. يقول ابن حزم: (وهم فرقة نافرت العقل والحس منافرة وحشة تامة . . وقالوا: إن المسيح هو الله وأن الله تعالى عن عظيم كفرهم مات وصلب وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر والفلك بلا مدبر ثم قام ورجع كما كان وأن الله تعالى عاد محدثا وأن المحدث عاد قديما). ينظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، (د.ت)، دار الجيل، بيروت، ١١١/١-١١٢.

(٢) النسطورية ينسبون إلى نسطور، يقولون إن الله تعالى ثلاثة أشياء أب وابن وروح القدس كلها لم تنزل، وأن عيسى ابن مريم عليهما السلام إله تام كله وإنسان تام كله، وليس أحدهما غير الآخر. وأن الإنسان من عيسى ابن مريم هو الذي صلب وقتل، وأن مريم ولدت الإنسان ولم تلد الإله، وأن الله تعالى هو الذي ولد الإله، وكانت هذه الفرقة في الموصل والعراق وفارس وخراسان. ينظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١١١/١.

(٣) سورة النساء آية ١٧١ .

والانفصال، والمماثلة للمخلوقات عن الله تعالى. والبنوة تستلزم هذه المستحيلات؛ لأنّ النسل قانون كوني للموجودات لحكمة استبقاء النوع، والناس يطلبونها لذلك، وللإعانة على لوازم الحياة، وفيها انفصال المولود عن أبيه، وفيها أن الابن مماثل لأبيه فأبوه مماثل له لا محالة^(١).

يعتقد النصارى أن الله ثلاثة في واحد أو واحد في ثلاثة هم الله وعيسى والروح القدس، أو الأب والابن والروح القدس^(٢)، ولا يزال الجدل قائماً بين الطوائف النصرانية حول المسيح عيسى ابن مريم - عليهما السلام - بين كونه إنساناً أو يجمع بين اللاهوتية والناسوتية^(٣) قال تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٤) أي فاختلف أهل الزمان ومن بعدهم فيه فمن قائل من اليهود إنه ولد زنية واستمروا على كفرهم وعنادهم وقابلهم آخرون في الكفر فقالوا هو الله وقال آخرون هو ابن الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وقال الله تعالى:

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ٦ / ٥٤-٥٨ .

(٢) الشوكاني، فتح القدير ١ / ٦٢٣؛ قطب؛ سيد (ت ١٣٨٦ هـ)، في ظلال القرآن، ط ٣٢، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣ م، ٥ / ٢٦٦؛ الخولي؛ محمد علي، حقيقة عيسى المسيح، ط ١، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٠ م، ٢٣ .

(٣) يعتقد بعض فرق النصارى أن اللاهوت - الله - حلّ بالناسوت - عيسى - وأن عيسى - عليه السلام - كان له طبيعتان: لاهوتية لما كان يتكلم بالوحي، وناسوتية عندما صلب .(الحمد؛ محمد بن إبراهيم بن أحمد، مصطلحات في كتب العقائد، ط ١، دار بن خزيمة، ٤٢).

(٤) سورة مريم آية ٣٧ .

{ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً }^(١) وقال: النبي ﷺ (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)^(٢). وآمن المسلمون بأن عيسى عليه السلام هو عبدالله ورسوله وابن أمته وكلمته^(٣) ألقاها إلى مريم وروح^(٤) منه وهؤلاء هم

(١) سورة النساء آية ١٧١ .

(٢) البخاري، صحيح البخاري ١٦٥/٤؛ مسلم، صحيح مسلم ٥٧/١.

(٣) الكلمة هي التكوين، وهو المعبر عنه في الاصطلاح بـ(كن)، فإطلاق الكلمة على التكوين مجاز، وتعني أثر كلمة الله وتعلق القدرة، وأن القرآن حكى هذا، مما يدل على أن هذا من الكلمات الإنجيلية. ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ٥٢ / ٦.

(٤) الروح بمعنى النفخة، والعرب تسمي النفس روحا والنفخ روحا، وان هذين الوصفين (الكلمة والروح) وقعا في الإنجيل أو في كلام الحواريين وصفا لعيسى عليه السلام، وكانا مفهوميين في لغة المخاطبين يومئذ، غير أنه مع الزمن وقع التحريف في فهمهما، والقرآن بذكرهما يؤكد بأنهما لا يؤديان إلى القول بأن عيسى ابن الله أو أن الله حل فيه، ولكن النصارى بضلالهم غلوا في التأويل، وغيروا المعاني. ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ٥٣ / ٦.

الناجون المثابون المؤيدون المنصورون ومن خالفهم في شيء من هذه القيود فهم الكافرون الضالون الجاهلون وقد توعدهم الحكيم العليم الجبار القهار بقوله^(١) { فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابَ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ }^(٢) ويقول الله تعالى مخاطباً عيسى بن مريم - عليه السلام: { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخُذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }^(٣).

ولضياح الإنجيل، وانقطاع سنده، وعدم معرفة أثر لإنجيل عيسى عليه السلام ولأنَّ النصارى لم يعتنوا بالتدوين مباشرة بعد رفع المسيح عليه السلام، ولتأخرهم في التدوين جعل كثيراً من الأناجيل تظهر، ولا يعرف على اليقين كاتبها، ولا من أين أخذ معلوماته؟ وأن الأناجيل الموجودة ليس منها شيء منسوب إلى عيسى عليه السلام، ولأنَّ أصحاب تلك الأناجيل ليسوا معصومين فوقعوا في أخطاء كثيرة، وسوء فهم، وغير ذلك من العوارض التي

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ٢ / ٤٥٢-٤٥٣.

(٢) سورة مريم آية ٣٧.

(٣) سورة المائدة آية ١١٦-١١٧.

تعرض للبشر، مما جعل الديانة المعتمدة على مثل تلك الكتب المليئة بالأخطاء تبدو ديانة مرتبكة مختلة التركيب، كما هو حال النصرانية^(١)، والإنجيل بمنزلة ما ينقل من أقوال الأنبياء وسيرهم، ويقع في ذلك الصح والخطأ^(٢)، ولأنَّ أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وان الأناجيل المعترف بها رسمياً لدى الكنائس النصرانية إنّما أقرت في عهد متأخر عن المسيح عليه السلام بمئات السنين، واختيرت من بين مئات الأناجيل التي كانت منتشرة في أيدي النصارى يومئذ. ثم إن نسبة هذه الأناجيل لكاتبها لم تثبت عن طريق علمي تطمئن النفس إليه، فهي لم تروَ بسند متصل إلى كاتبها، وأنَّ الخلاف قد وقع أيضا بين النقاد الغربيين في أسماء بعض هؤلاء الكاتبين من يكونون؟ وفي أي عصر كانوا^(٣)؟

(١) الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ٣٥٢ .

(٢) ينظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وعبد العزيز إبراهيم العسكر وحمدان بن محمد الحمدان، ط٢، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الرياض، ١٩٩٩م، ٣/٣٨.

(٣) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية ٢/ ١٣٤؛ السباعي؛ مصطفى (ت ١٣٨٤هـ)، السيرة النبوية دروس وعبر، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق، ١٣٩٢هـ، ١٤-١٥.

ولا أدل على ذلك من قول أحد القسس: "ينبغي أن يتنازل الإنسان عن محاولة وضع كتاب في سيرة المسيح بكل صراحة، فإنه لا وجود للمادة العلمية التي تساعد على تحقيق هذا الغرض، والأيام التي تدور حولها المعلومات لا تزيد عن خمسين يوماً"^(١).

٤ - الغلو و البدع في الديانة النصرانية:

النصارى أكثر غلوًا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله تعالى عن الغلو في القرآن^(٢)، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٣). أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام

(١) غازي؛ محمد جميل وأحمد؛ خليل إبراهيم وعبد الوهاب؛ أحمد، مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ط ٢، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٩٩٢م، ٢٩٣-٢٩٤.

(٢) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، (د.ت)، مكتبة الرشد، الرياض، ١/٢٩٣.

(٣) سورة النساء آية ١٧١ .

الإلهية، كما صنعتم في المسيح، وهو نبيٌّ من الأنبياء فجعلتموه إلهًا من دون الله^(١).

ونتيجة للغلو أصبح عندهم تقديس للرهبان ورجال الكنيسة والثقة العمياء بهم فهم يزعمون أنهم يتكلمون، ويأمرون، وينهون نيابة عن الله تعالى، ولهم السلطة المطلقة في الدين، فيحلون ويحرمون، بل ويغفرون للمذنب والمجرم والفاجر بمجرد حضوره للكنيسة، ويمنحون للمجرمين والمفسدين في الأرض صكوك الغفران^(٢) زاعمين أنهم يضمنون لهم بها الجنة! وقال الله تعالى عنهم: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٣) وبدأت تنتشر البدع -الهرطقة^(٤) - عند النصاري، والانقسامات الفلسفية التثليثيين، وبدأت

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣ / ١٥٩.

(٢) صكوك الغفران كانت عبارة عن أختام ممضاة من البابا أو من ممثلي المجمع الكنسي الكاثوليكي وتمكن مقتنيها من الإعفاء الجزئي أو الكامل من العقاب وتطهيره من الخطايا والذنوب والحصول على العفو الذي يخوله دخول جنة السماء. ينظر: أبو زهرة؛ محمد (ت ١٣٩٤هـ)، محاضرات في النصرانية، ط ٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٦م، ١٧٢؛ شلبي، مقارنة الأديان - المسيحية ، ٢٥٥.

(٣) سورة الحديد آية ٢٧.

(٤) الهرطقة البدعة في الدين، أصلها يوناني (هرسيس) ومعناها الأخذ والتمسك. وهي من مصطلحات النصاري وربما قالوا هرتقة وصاحبها هرطوقي. ينظر: البستاني، بطرس (ت ١٨٨٣م)، محيط المحيط، ط جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م، ٩٣٥-٩٣٦؛ مسعود؛ جبران، الرائد معجم لغوي عصري، ط ٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م، ٨٣٨؛ عمر، أحمد مختار (ت ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط ١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩هـ، ٢٣٤٣/٣.

الرهبنة عند الأريسيين^(١) تظهر بسبب الاضطهاد في الغرب وبسبب انتشار الفساد، ولاسيما في القرنين الخامس والسادس وانتشرت النصرانية حينذاك حتى عند العرب الذين كان منهم الغساسنة والمناذرة في الشام والعراق وأهل نجران وسواهم ممن اعتنقوها، فمن اتبع المسيح كان مؤمنا ومن كفر به كان كافرا فإن المسيح لم يسن التثليث والقول بالأقانيم ولا القول بأنه رب العالمين ولا سن استحلال الخنزير وغيره من المحرمات ولا ترك الختان ولا التعميد^(٢)، وإذا ولد لأحدهم ولد

(١) «الأريسيين» هم أتباع «أريوس» المصري وهي فرقة في رهط هرقل تعرف بالأريسية توحد الله تعالى، وتعتزف بعبودية المسيح له عز وجل، ولا تقول شيئا مما يقول النصارى في ربوبيته وتؤمن بنبوته، فإنها تمسك بدين المسيح مؤمنة بما في إنجيله جاحدة لما يقوله النصارى سوى ذلك، ومن المرجح المعقول أن النبي ﷺ إنما عنى هذه الفرقة بقوله: «فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين» فإنها هي القائمة بالتوحيد النسبي في العالم المسيحي الذي تتزعمه الدولة البيزنطية العظمى، التي كان على رأسها القيصر «هرقل». ينظر: أبو الحسن الندوي؛ علي بن عبد الحي بن فخر الدين (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، السيرة النبوية، ط١٢، دار ابن كثير - دمشق، الطبعة: الثانية عشرة - ١٤٢٥ هـ، ٤١٥.

(٢) من مفهومات التنصير القديمة زمنيا ولا تزال تستخدم، مصطلح التعميد أو التغطيس، وذلك حينما يغطس الطفل صغيرا في ماء قد صلى عليه القسيس فأصبح مباركا. وعند النصارى أن هذه الشعيرة ضرورية في عد المرء نصرانيا، حتى ليعمد أولئك الذين يتنصرون في سن متقدمة بتغطيسهم بأي ماء يدعو فيه رجل الدين بدعوات يتم بعدها إعلان دخول المعمد في النصرانية واصبحت من الطقوس النصرانية وجزء من العقيدة النصرانية ومن التنصير. ينظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤٣٨/٣؛ أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ١٣٩ - ١٤٠؛ التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ١٥٠.

فأتى عليه سبعة أيام، صبغوه في ماء لهم يقال له: المعمودي ليطهره بذلك، ويقولون: هذا طهور مكان الختان، فإذا فعلوا ذلك قالوا: الآن صار نصرانيًا حقًا^(١)، وقال الله تعالى: ﴿صَبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾^(٢) فطرة الإسلام التي فطر الناس عليها^(٣)، ولا الصلاة إلى المشرق ولا اتخاذ الأحرار والرهبان أرباباً من دون الله ولا الشرك واتخاذ التماثيل والصليب ودعاء الموتى والغائبين من الأنبياء والصالحين وغيرهم وسؤالهم الحوائج ولا الرهبانية حيث قال الله تعالى عنهم: ﴿رُؤْهُبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾^(٤).

(١) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم ١/١٦٢؛ الواحدي، التفسير الوسيط ١/٢٢٢.

(٢) سورة البقرة آية ١٣٨.

(٣) ينظر: مجاهد؛ أبو الحجاج بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)، تفسير مجاهد، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، طادار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م، ٢١٤.

(٤) سورة الحديد جزء من آية ٢٧.

وغير ذلك من المنكرات التي أحدثت ولم يسنها المسيح عليه السلام ولا ما هم عليه هي السنة التي تسلموها من رسل المسيح عليه السلام بل عامة ما هم عليه من السنن أمور محدثة مبتدعة بعد الحواريين كصومهم خمسين يوماً زمن الربيع واتخاذهم عيداً يوم الخميس والجمعة والسبت فإنّ هذا لم يسنه المسيح ولا أحد من الحواريين وكذلك عيد الميلاد والغطاس وغير ذلك من أعيادهم بل عيد الصليب وتعظيمه إنّما ابتدعته هيلانة^(١) الحرائية القندقانية أم قسطنطين فهي التي أظهرت الصليب وصنعت لوقت ظهوره

(١) هيلانة الحرائية تزوجها أحد ملوك الروم قسطن أبو قسطنطين باني القسطنطينية في بعض أسفاره للصيد من بلاد حران وكانت نصرانية فلما ولد لها منه قسطنطين المذكور تعلم الفلسفة وبهر فيها وصار فيه ميل بعض الشيء إلى النصرانية التي أمه عليها. وذهبت أم الملك هيلانة إلى بيت المقدس وأمرت بإزالة القمامة ووجدوا لها الخشبة التي صلب عليها المصلوب ويزعمون أنه ما مسها ذو عاهة إلا عوفي، حتى عظموا تلك الخشبة، وغشوها بالذهب واللالئ، ومن ثم اتخذوا الصليبانات وتبركوا بشكلها وقبلوها وهيلانة هي التي انشأت بدعة صلبان النصارى، وبنيت على قبر المصلوب وهم يزعمون أنه المسيح كنيسة هائلة مزخرفة ويسمون القمامة، يعنون التي يقوم جسد المسيح منها، ثم أمرت بأن توضع قمامة البلد وكناسته وقاذوراته على الصخرة التي هي قبلة اليهود فلم يزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس فكنس عنها القمامة بردائه وطهرها من الأخبث والأنجاس، ولم يضع المسجد وراءها ولكن أمامها حيث صلى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء بالأنبياء وهو المسجد الأقصى. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية ٢/ ١١٣، ١١٤، ١٢٠، ١٢١، ١٨٠.

عيدا وذلك بعد المسيح والحواريين بثلاثة قرون وغير ذلك من البدع وكذلك كتب القوانين التي عندهم جعلوها سنة وشريعة فيها شيء عن الأنبياء والحواريين وكثير مما فيها ابتدعوه من بعدهم لا ينقلونه لا عن المسيح عليه السلام ولا عن الحواريين فلم يكونوا على السنة والشريعة التي كان عليها المسيح عليه السلام وما هذا إلا كذب بين^(١)، وإن النصارى صاروا على مذهب الروم المشركين لا أن الروم صاروا على دين النصارى أي ترومت النصارى ولم تنتصر الروم فإن أولئك غيروا شريعة دين المسيح عليه السلام مستبدلين بها ما استبدلوه من شرائع المشركين وركبوا لهم ديناً من دين الفلاسفة والصابئين والمشركين ودين النصارى^(٢)، وظلموا الفئة القليلة الباقية من الموحدين بالتقتيل والتشريد ومنهم الفتية الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم .

(١) ينظر: ابن تيمية ، الجواب الصحيح ٣ / ٤٣٧ - ٤٣٩ .

(٢) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط٢، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩١م، ٣٦٢/٥ .

حادثة اصحاب الكهف:

من الاسئلة التي نزلت فيها آيات قرآنية ترد على السائلين قصة اصحاب الكهف ، إذ ذكر بعض المؤرخين أنَّ الامبراطور فيليبس^(١) (٢٤٤-٢٤٩م) قد سبق قسطنطين بالدخول إلى الديانة النصرانية بمدة من الزمن، إذ دعي إلى دين النصرانية فأجاب وترك ما كان عليه من مذاهب الصابئين^(٢) واتبعه على ذلك كثير من أهل مملكته فآل ذلك إلى تحزيبهم واختلاف كلمتهم في الديانة وكان فيمن خالفه عليه بطريق^(٣) من

(١) فيليبس (٢٤٤-٢٤٩م) ويسمى أيضا فيليب أصله عربي، وقد أحسن إلى النصارى وقيل إنَّه دخل في الديانة النصرانية، خرج عليه أحد قواده وهو دقيوس ووقعت بينهما معارك انتهت بمقتل فيليبس وتتويج دقيوس امبراطوراً على البلاد سنة ٢٤٩م. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٥١/١؛ ابن العبري، مختصر الدول، ١٢٦-١٢٧؛ الناصري، تاريخ الامبراطورية الرومانية، ٣٦٣.

(٢) مذاهب الصابئين هم الوثنيون وهم الذين يعبدون الكواكب والنجوم، وهذه العقيدة تبتني على ربط الكون والفساد وحوادث العالم الأرضي إلى الاجرام العلوية، وهو مذهب وثني قديم مخالف لعقيدة التوحيد التي جاء بها الانبياء والمرسلون. ينظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م، ٢٤٧/٢-٢٤٨؛ الجصاص؛ أحمد بن علي الرازي (ت ٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٤م)، ٥٢/١-٥٣. السفاريني؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (ت ١١٨٨هـ)، لوايح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، ط٢، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، (دمشق، ١٩٨٢م)، ٢٣/١-٢٤.

(٣) البطريق: القائد الحاذق بالحرب وأمورها وهو ذو منصب وتقدم عند الروم والجمع بطارقة. ينظر: الزمخشري، الفائق في غريب الحديث ٥٦/٢؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ١٣٥/١؛ الزبيدي، تاج العروس ٢١/١٠.

بطارقتة ويقال له داققوس^(١) فقتل فيليبس واستولى على الملك، ملك داققوس سنتين وتتبع النصارى فقتل منهم مقتلة عظيمة ومنه هرب الفتية أصحاب الكهف وهم في جبل من جبال الروم بمدينة أفسيس^(٢) وهي على نحو ألف ذراع منها، وكانت هذه المدينة على بحر الروم فبعد البحر عنها وخربت وأحدثت مدينة على نحو ميل^(٣) منها، تنازع الناس في أصحاب الكهف والرقيم وموضعهم أهم أصحاب الرقيم أم هؤلاء غيرهم؟ وان مدينة أفسيس هي مدينة أصحاب الكهف^(٤)، ويمكن أن يكون الله عز

(١) ديققوس (٢٤٩-٢٥١م)، أول من ابتكر عملية الاستئصال الجماعي للنصارى وفي عصره خرج عليه القوط وتمكنوا من سحق الجيش الروماني وقتلهم لامبراطورهم ديققوس سنة ٢٥١م. ينظر: المسعودي، التنبيه والاشراف، ١٣٣؛ ابن العبري، مختصر الدول، ١٢٦-١٢٧؛ الناصري، تاريخ الامبراطورية الرومانية، ٣٦٣-٣٦٥.

(٢) أفسيس أو أفسوس بلد بنغور طرسوس دون خليج القسطنطينية من جهة بلاد الأرمن، يقال أنها بلدة أصحاب الكهف. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ١/٢٣١؛ البغدادي، مرصد الاطلاع ١/١٠١؛ الحميري؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م، ١/٤٩.

(٣) الميل = ١.٦٠٩ كيلو متر . ينظر: محمد محمود محبين/ طه عثمان الفراء، المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، ط٤ دار المريخ ٤٩٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٢/٥-١٠؛ الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٦/١٤٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ١/٢٧٤-٢٧٧.

وجل خلق لهم هذا الكهف مستقبل الشمال تكرمة لهم وليجعلهم آية للعالمين وكيفية إزورار الشمس عن كهفهم في حال طلوعها وغروبها^(١)، وقد أخبر الله عز وجل عن ذلك بقوله: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾^(٢).

وبعثوا بعضهم ومعه دراهم ليشتري لهم طعاماً، فأنكرت السوقه ضرب دراهمه، ثم اتبعوه حتى صاروا إلى المغارة، فعمى أمرهم على القوم، وبني على المغارة مسجد يصلى فيه^(٣)، وأراد النصارى الإعتداء على بيت الله تعالى فكانت قصة أصحاب الفيل.

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٣٤.

(٢) سورة الكهف، آية ١٧.

(٣) اليعقوبي؛ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، (د.ت)، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٣م، ١/١٧٣.

حادثة الفيل:

هذه الحادثة نزلت فيها سورة من القرآن تذكر معاصريها عظمة الله تعالى ونعمته عليهم في دفع عدو صائل عليهم وبادته بعد أن عجزوا عن صده ويذكر ان الجذور التاريخية لهذه الحادثة انه كان لرجل من يهود نجران ضيعة يخرج بنوه إليها ليلاً، فيجرون فيها من الماء أكثر مما يخصها، فاجتمعت نصارى نجران فقتلوهم فسار أبوهم دوساً حتى دخل على ذي نواس وكان تهود فشكى إليه ما أصيب به، فخرج إلى أهل نجران فحاصروهم ثم عاهدوهم فلما تمكن منهم أوقع بهم وهم مغترون فلم ينج منهم إلا الشريد، فلحق بعضهم بالنجاشي ومعه الإنجيل قد أحرق أكثره، فلما رآه ساءه فكاتب ملك الروم بذلك واستدعى من جهته سفناً يحمل فيها الرجال إلى اليمن فاستجمع ملك اليمن لأبرهة وبنى كنيسة القليس في صنعاء على علوة من غمدان، فاشتغل ببنائها عشر سنين، فلما أتمها رأى الناس شيئاً لم يروا مثله قط، وأراد صرف حجاج العرب إليها وكتب إلى النجاشي إنني قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلاً لملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب^(١)، وإن أبرهة استذل أهل اليمن في بناء هذه الكنيسة الخسيصة وسخرهم

(١) ينظر: أبو هلال العسكري؛ الحسن بن عبد الله بن سهل (ت نحو ٣٩٥هـ)، الأوائل، تحقيق: محمد السيد الوكيل، ط١، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا، ١٩٨٧م، ٣٢-٣٣.

فيها أنواعا من السخر وكان من تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده وجعل ينقل إليها من قصر بلقيس رخاما وأحجارا وأمتعة عظيمة وركب فيها صلابانا من ذهب وفضة وجعل فيها منابر من عاج وإبنوس وجعل ارتفاعها عظيما جدا واتساعها باهرا^(١).

فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشي غضب رجل من كنانة فخرج الكناني حتى أتى القليس فقعد فيه أي أحدث حيث لا يراه أحد ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر أبرهة بذلك فقال من صنع هذا فليل له صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحجه العرب بمكة لما سمع بقولك أنك تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك هذا فغضب فجاء فقعد فيها أي أنه ليس لذلك بأهل فغضب أبرهة عند ذلك وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل فلما نزل أبرهة بالمغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مفسود على خيل له حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتي بعير لعبدالمطلب بن هاشم^(٢) وهو

(١) السهيلي، روض الأنف ١/٢٤٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٣/١٤٠.

(٢) أبو الحارث عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب جد رسول الله ﷺ، اسمه شيبه وعبد المطلب لقب غلب عليه، زعيم قريش في الجاهلية، وأحد سادات العرب ومقدميهم. مولده في المدينة ومنشأه بمكة. كان عاقلا، ذا أناة ونجدة، فصيح اللسان، حاضر القلب، أحبه قومه ورفعوا من شأنه، فكانت له السقاية والرفادة، مات بمكة وله مائة وعشرون سنة. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٢/٢٤٦-٢٥١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ١/٥٤٩-٥٥٣؛ الدياربيكري، تاريخ الخميس ١/٢٥٣.

يومئذ كبير قريش وسيدها فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به فتركوا ذلك وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة وقال له سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفهم، ثم قل له ان الملك يقول إني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فإن هو لم يرد حربي فأتني به فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها ف قيل له عبدالمطلب بن هاشم فجاءه فقال له: ما أمره به أبرهة فقال له عبدالمطلب: والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام أو كما قال فإن يمنع منه فهو حرمه وبيته وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه، فقال له حناطة فانطلق معي إليه فإنه قد أمرني أن آتية بك فانطلق معه عبدالمطلب فأذن له أبرهة قال وكان عبدالمطلب أوسم الناس وأعظمهم، وأجملهم فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جانبه، ثم قال لترجمانه قل له حاجتك، فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بغير أصابها لي فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني أنكلمني في مائتي بغير أصابتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين

آبائك قد جئت لأهدمه لا تكلمني فيه، فقال له عبدالمطلب إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنه، فقال ما كان ليمتع مني قال أنت وذاك فرد على عبدالمطلب إبله فلما انصرفوا عنه انصرف عبدالمطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في رؤس الجبال ثم قام عبدالمطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستتصرونه على أبرهة وجنده وقال عبدالمطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة^(١):

لاهم إن العبد يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك
إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدا لك

ثم أرسل عبدالمطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال يتحرزون فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهياً فيله، وعبى جيشه، وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى فادخلوا محاجن لهم في مراقه فبزغوه بها^(٢) ليقوم فأبى فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول،

(١) ينظر: ابن هشام السيرة النبوية ١/٤٤-٥٧؛ الطبري، تأريخ الرسل والملوك ٢/١٣٩-١٥٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٣/١٣٨-١٤٢.

(٢) الطبرزين: آله معوجة من حديد. ومحاجن: جمع محجن، وهي عصا معوجة وقد يجعل في طرفها حديد. ومراقه: أسفل بطنه. وبزغوه: أي شطوه بالحديد الذي في تلك المحاجن. ينظر: الصالحي الشامي؛ محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، (د.ت)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٧م، ١/٢٢٧.

ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف^(١) والبلسان^(٢) مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحدا إلا هلك^(٣) فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾^(٤).

ولما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيرا أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار حجرين في رجليه وحجرا في منقاره قال: فجاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت ما في رجليها ومناقيرها فما يقع حجر على رأس رجل الا خرج من دبره ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر وبعث الله ريحا شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعا، وبقيت القليس الى زمن ابي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس والذي بعث اليها جماعة

(١) الخطاطيف تشبه شوك السعدان. ينظر: ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٣٦٧.

(٢) أي حب البلسان كان ينبت بمصر خارج القاهرة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ١٦ / ١٧٣ .

(٣) السهيلي، روض الأنف ١/ ٢٤٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٣/ ١٤٠.

(٤) سورة الفيل آية ١-٥ .

من أهل العزم والحزم والعلم فنقضوها حجرا حجرا ودرست آثارها بعد أن علم
بامرها^(١).

المبحث الثاني

بشرى بحيرا الراهب وتحقق الوعد
وانتصار الروم على الفرس و مناظرات
نصارى نجران والمباهلة

١- بشرى بحيرا الراهب:

كانت النصرانية حينذاك ديناً عالمياً منتشراً في كثير من البقاع، وكان أكثرهم
أهل الإمبراطورية البيزنطية في آسيا الصغرى وشرق أوروبا، والممالك التابعة
لها في الشام ومصر، وغير التابعة لها كمملكة إكسوم بالحبشة^(٢) ومملكة
الحيرة بالعراق، وكانت معظم الممالك تثليثية الكنائس والسكان، إلا أهل
المملكة البيزنطية فقد كان كثير

(١) ينظر: ابن هشام السيرة النبوية ٤٤/١-٥٧؛ الطبري، تأريخ الرسل والملوك ١٣٩/٢-١٥٧؛
ابن كثير، البداية والنهاية ١٣٨/٣-١٤٢.

(٢) مملكة أكسوم وهي في الحبشة ظهرت في أوائل أيام النصرانية نسبة إلى عاصمتها أكسوم،
وقد كان ملوكها وثنيين إلى القرن الرابع للميلاد فدخلوا في النصرانية. ينظر: علي؛ جواد
(ت ١٤٠٧هـ)، المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام، ط١، ساعدت جامعة بغداد على نشره،
منشورات الشريف الرضي، ١٣٨٠هـ، ٣/٤٥١-٤٥٢.

منهم أرسبيين توحيديين^(١)، وكان الجميع ينتظر البشارة العظمى بظهور النبي الجديد، ومن أولئك النصارى بحيرا الراهب^(٢) فلما خرج أبو طالب^(٣) إلى الشام، وأراد المسير لزمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرق له وأخذه معه، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين وقيل: اثنا عشرة سنة، ولما نزل الركب بصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له، وكان ذا علم في النصرانية، ولم يزل بتلك الصومعة راهب يصير إليه علمهم، وبها كتاب

(١) فارع؛ محمد طاهر أنعم، تاريخ النصرانية والإثم العظيم، مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد ١٩٥، ص ١٦.

(٢) راهب من أهل بصرى كان من علماء النصرانية، اجتمع برسول الله ﷺ لما سافر مع عمه أبو طالب إلى الشام. ينظر: ابن اسحاق، السير والمغازي، ٧٣-٧٨؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢٣/١-٢٤؛ ابن حجر، الإصابة ١/٦٤٢-٦٤٥.

(٣) أبو طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، عم النبي ﷺ وكافله ومربيه ومناصره، ووالد علي رضي الله عنه، و كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء الأباة، دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام فامتنع خوفا من أن تعيره العرب بتركه دين آبائه، ووعد بنصرته وحمايته، وفيه نزلت الآية (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) توفي قبل الهجرة بثلاث سنوات؛ ينظر: ابن سعيد الأندلسي؛ ابو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ)، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، (د.ت)، مكتبة الأقصى، عمان - الأردن، ٣٣٧-٣٤٠؛ ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق ٦٦/٣٠٧-٣٤٥؛ الديار بكري، تاريخ الخميس ١/٢٩٩-٣٠١.

يتوارثونه. فلما رأهم بحيرا صنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك لأنه رأى على رسول الله غمامةً تظله من بين القوم، ثم أقبلوا حتى نزلوا في ظل شجرة قريباً منه، فنظر إلى الشجرة وقد هصرت أغصانها حتى استظل بها، فنزل إليهم من صومعته ودعاهم، فلما رأى بحيرا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده كان يجدها من صفته، فلما فرغ القوم من الطعام وتفرقوا، سأل النبي، صلى الله عليه وسلم، عن أشياء من حاله في يقظته ونومه فوجدها بحيرا موافقة لما عنده من صفته، ثم نظر إلى خاتم النبوة بين كتفيه، ثم قال بحيرا لعمه أبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال: ما ينبغي أن يكون أبوه حياً. قال: فإنه ابن أخي مات أبوه وأمه حبلى به. قال: صدقت، أرجع به إلى بلدك واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً، فإنه كائن له شأن عظيم، فخرج به عمه حتى أقدمه مكة^(١)، وعرف النبي صلى الله عليه وسلم وعظمه، وأوصى به عمه، وحذره من أن يراه اليهود، فكان أول من تشرف من أصحاب عيسى عليه السلام برؤية النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام ولما بعث الله محمداً ﷺ فكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق فكانوا هم اتباع كل نبي على وجه الأرض إذ قد صدقوا الرسول النبي الأمي العربي خاتم الرسل وسيد ولد آدم على الإطلاق الذي دعاهم إلى التصديق بجميع الحق فكانوا أولى بكل نبي من أمته

(١) ينظر: ابن اسحاق، السير والمغازي، ٧٣-٧٨؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى ١/١٢٨-١٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٣/٤٣٥-٤٤١.

الذين يزعمون أنهم على ملته وطريقته مما قد حرفوا وبدلوا ثم لو لم يكن شيء من ذلك لكان قد نسخ الله شريعة جميع الرسل بما بعث الله به محمدا ﷺ من الدين الحق الذي لا يبدل ولا يغير إلى قيام الساعة ولا يزال قائما منصورا ظاهرا على كل دين فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها وأحتازوا جميع الممالك ودانت لهم جميع الدول وكسروا كسرى وقصروا قيصر وغنموا كنوزهما^(١)، وأنفقت في سبيل الله كما أخبرهم بذلك نبيهم عن ربهم عز وجل في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

فلهذا لما كانوا هم المؤمنون بالمسيح حقا طردوا النصارى من بلاد الشام وأجؤهم إلى القسطنطينية^(٣)، ونتيجة لإمتداد الفتح الإسلامي في الشام ومصر وما وراءهما كان عصر الخلفاء

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٨/٢.

(٢) سورة النور آية ٥٥ .

(٣) قسطنطينية: كان اسمها بزنطية فنزلها قسطنطين الأكبر، وبنى عليها سورا، وسماها باسمه، وصارت عاصمة الروم البيزنطيين، واسمها اصطنبول، وفيها الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية. ينظر: الحموي، معجم البلدان ٣٤٧/٤-٣٤٨؛ البغدادي، مرصد الإطلاع ١٠٩٢/٣؛ الحميري، الروض المعطار، ٤٨١-٤٨٣.

الراشدين رضي الله عنهم حافلا بالعلاقات مع النصارى، وكان يتخلل هذه الفتوح وقفات عملية حول موقف الإسلام من النصرانية والنصارى. وأبرز مثال على هذه الوقفات وقفة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بيت المقدس، وموقفه من كنيسة القيامة وتجنبه الصلاة فيها^(١)، وكان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: (قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد لا يبقيين دينان بارض العرب)^(٢) .

-
- (١) سار الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى صالح نصارى بيت المقدس واشترط عليهم إجلاء الروم على ثلاث ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء . ويقال إنه لبى حين دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد بحراب داود عليه السلام، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد فقرأ في الأولى بسورة ص وفي الثانية بسورة بني إسرائيل، ثم جاء إلى الصخرة فاستدلّ على مكانها من كعب الأحبار وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه فقال ضاهيت اليهود . ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس وهو العمري اليوم ثم نقل التراب من الصخرة في طرف رداءه وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك، وسخر أهل الأردن في نقل بقيتها، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة؛ لأنها قبلة اليهود، حتى أن المرأة كانت ترسل خرقة حيضتها لتلقى في الصخرة، وذلك مكافأة لما كانت اليهود عاملت به القمامة وهي المكان الذي كانت صلبوا فيه المصلوب فجعلوا يلقون على قبره القمامة فلأجل ذلك سمي ذلك الموضع القمامة وانسحب هذا الاسم على الكنيسة التي بناها النصارى هناك . (ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية ٦٥٥/٩ وما بعدها).
- (٢) مالك؛ مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٩٨٥م، ٨٩٢/٢؛ الصنعاني، المصنف ٣٥٩/١٠.

قال ابن كثير^(١): "ولا يزال الإسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة وقد أخبر الصادق المصدوق عليه السلام أمته سيفتحون القسطنطينية ويستفيئون ما فيها من الأموال ويقتلون الروم مقتلة عظيمة

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٨/٢-٤٩.

جدا لم ير الناس مثلها ولا يرون بعدها نظيرها^(١)، ولهذا قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ
اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنِّي فَتَحْتُ لَكَ بِرَأْسِكَ الْقُرْآنَ بِتِلْكَ الْأَيْدِي الَّتِي
أَبْرَأْتَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعَلَ

(١) عن عبد الله بن بشر الخثعمي عن أبيه رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: (لتفتحن
القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش). قال: فدعاني مسلمة بن عبد
الملك، فسألني فحدثته، فعزا القسطنطينية. وسئل عبد الله بن عمرو ابن العاص: أي المدينتين
تفتح أولا: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، فأخرج منه كتابا، قال:
بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب، إذ سُئِلَ رسول الله ﷺ: أي المدينتين
تفتح أولا: قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول ﷺ: (مدينة هرقل تفتح أولا، يعني قسطنطينية
(. ينظر: مسند الإمام أحمد ٢٢/١٤ و ٢٨٧/٣١؛ الحاكم، المستدرک ٥٨٤/٤-٥٨٥؛
الهيثمي، مجمع الزوائد ٢١٨/٦-٢١٩؛ وقد تحقق الفتح وكتب الله تعالى فتحها للمسلمين على
يد السلطان العثماني محمد الفاتح-رحمه الله تعالى -، الذي لقب بالفاتح لفتحه القسطنطينية، في
سنة (١٤٥٣هـ/١٥١٧م) أي بعد تقريبا ثمان مائة سنة من وعد النبي ﷺ ونحن ننتظر صدق
الوعد الآخر سقوط روما ان شاء الله تعالى. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ٤٩/١٦؛
ابن إياس؛ محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد
مصطفى، ط١، دار النشر فرانز شتاينر - فيسبادن، ١٣٩٥هـ، ٣١٦/٢؛ العصامي؛ عبد
الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت ١١١١هـ)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل
والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية،
بيروت، ١٤١٩هـ، ٧٩/٤؛ وقال ﷺ: ((إن الله زوى لي الأرض أي ضمها وجمعها فرأيت
مشارقتها ومغاربها وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها))؛ صحيح مسلم ٤/ ٢٢١٥.

الَّذِينَ اتَّبَعُواكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ (٥٥) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبْتَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ
نَاصِرِينَ^(١) وكذلك فعل بمن كفر بالمسيح من اليهود أو غلا فيه أو أطراه من
النصارى عذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وأخذ الأموال وإزالة الأيدي عن
الممالك وفي الدار الآخرة عذابهم أشد وأشق { لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ }^(٢).

{ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ }^(٣) أي في
الدنيا والآخرة في الدنيا بالنصر والظفر وفي الآخرة بالجنات العاليات ثم قال
تعالى: { ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ }^(٤)، أي هذا الذي قصصنا
عليك يا محمد في أمر عيسى ومبدأ ميلاده وكيفية أمره هو مما قاله تعالى
وأوحاه إليك ونزله عليك من اللوح المحفوظ فلا مريّة فيه ولا شك كما قال
تعالى في سورة مريم { ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ }^(٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ
أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا

(١) سورة آل عمران آية ٥٥-٥٦.

(٢) سورة الرعد آية ٣٤.

(٣) سورة آل عمران آية ٥٧.

(٤) سورة آل عمران آية ٥٨.

قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^(١) ، وقال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^(٢) ، {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ} فِي قَدْرَةِ اللَّهِ حَيْثُ خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبِي {كَمَثَلِ آدَمَ} حَيْثُ خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَلَا أُمَّ بَلْ {خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} فَالَّذِي خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَأُمِّ قَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَإِنْ جَازَ ادِّعَاءَ الْبِنُوَّةِ فِي عِيسَىٰ لِكُونِهِ مَخْلُوقًا مِنْ غَيْرِ أَبِي فِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالطَّرِيقِ الْأُولَىٰ وَمَعْلُومٌ بِالِاتِّفَاقِ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ وَفِي دَعْوَى الْبِنُوَّةِ لِعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشَدُّ بَطْلَانًا وَأَظْهَرُ فَسَادًا وَلَكِنَّ الرَّبَّ جَلَّ جَلَالُهُ أَرَادَ أَنْ يَظْهَرَ قُدْرَتَهُ لَخَلْقِهِ حِينَ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَىٰ وَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ذَكَرٍ بَلَا أُنْثَىٰ وَخَلَقَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أُنْثَىٰ بَلَا ذَكَرٍ وَخَلَقَ بَقِيَّةَ الْبَرِيَّةِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ^(٣).

٢ - تحقّق الوعد وانتصار الروم على الفرس:

عندما حدثت معركة بين الروم والفرس والتقىا بين أذرعَات وبصرى وغلبتهم فارس ففرح بذلك كفار قريش وكرهه المسلمون ولقي المشركون أصحاب النبي ﷺ وقالوا إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب وإنكم أن قاتلتمونا لنظهرنَّ

(١) سورة مريم آية ٣٤-٣٥.

(٢) سورة آل عمران آية ٥٩.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٨/٢-٤٩.

عليكم فأنزل الله تعالى: ﴿الم (١) غلبت الروم (٢) في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون (٣) في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤) بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (٥) وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٦) يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾^(١).

فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الله الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا ﷺ فقام إليه أبي بن خلف^(٢) فقال كذبت يا أبا فضيل فقال له أبو بكر انت أكذب يا عدو الله فقال: أناحك^(٣) عشر قلائص^(٤) منك، وعشر قلائص

(١) سورة الروم آية ١-٧ .

(٢) أبي بن خلف بن وهب الجمحي القرشي، كان أشد الناس على النبي ﷺ، أسر يوم بدر، قتله رسول الله ﷺ بيده يوم أحد. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ٤٣/٢؛ الزبيدي، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (ت ٢٣٦هـ)، نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ٣٨٧؛ ابن الجوزي، المنتظم ١٦٦/٣-١٦٧.

(٣) المناحبة: المخاطرة والمراهنة.. ينظر: الزمخشري، الفائق في غريب الحديث ٤١١/٣؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٥/٢٧؛ الزبيدي، تاج العروس ٣٤٥-٣٤٦.

(٤) قلائص جمع قلوص وهي الناقة الشابة. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ١٠٠/٤؛ ابن منظور، لسان العرب ٣٧٢٢/٥؛ الزبيدي، تاج العروس ١٢٠/١٨.

مني فإن ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت إلى ثلاث سنين ثم جاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فأخبره فقال ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزيده في الخطر وماده في الأجل فخرج أبو بكر فلقى أبيا فقال لعلك ندمت فقال لا تعال أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل فاجعلها مئة قلوص إلى تسع سنين قال قد فعلت^(١)، فظهرت الروم على فارس قبل ذلك وكان ذلك يوما مشهودا عند النصارى وبقي كسرى وجيوشه حائرين لا يدرون ماذا يصنعون وبلادهم قد خربتها الروم وأخذوا حواصلهم وسبوا ذراريهم ونساءهم فكان هذا من غلب الروم لفارس وكان ذلك بعد تسع سنين من غلب فارس للروم وكانت الوقعة بين أذرعاء وبصرى^(٢) ، وتحقيق الغيب المخبر به عن الروم من وجوه إعجاز القرآن الكريم: الإخبار عن المغيبات سلفا في المستقبل، ووقوع الأشياء كما أخبر تماما، ومن هذه الأخبار الغيبية: هزيمة الروم أمام الفرس، ثم انتصار الروم على الفرس، وذلك في حدود بضع سنوات من ثلاث إلى عشر، كما أخبر القرآن، فبعد نزول سورة الروم سنة (٦٢٢ م) ببضع سنين في سنة (٦٢٧ م) أحرز هرقل عظيم

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان ٤٥١/١٨؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٦/٣٠٠.

(٢) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٦/٣٠٠-٣٠٣.

الروم أول نصر حاسم للروم على الفرس، في نينوى، على نهر دجلة، وانسحب الفرس لذلك من حصارهم القسطنطينية، ولقي كسرى أبرويز مصرعه سنة (٦٢٨ م) على يد ولده: شيرويه، وهذا ما أرّخه القرآن قبل وقوعه في مطلع سورة الروم المكيّة^(١).

٣ - مناظرات نصارى نجران والمباهلة^(٢):

قدم وفد نجران، وكانوا ستين راكباً على رسول الله ﷺ، وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم؛ فالعاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح، والسيد إمامهم وصاحب رحلهم واسمه

(١) ينظر: الزحيلي، التفسير الوسيط ٣/ ١٩٨٢.

(٢) البَهْل: اللعن، وبَهَلَهُ اللهُ بَهْلًا أَي: لعنه، وباهل القوم بعضهم بعضاً وتباهلوا وابتهلوا: تلاعنوا، المباهلة: الملاعنة، يقال: باهلت فلاناً: أي لاعنته، والبهل والابتهل في الدعاء الاسترسال فيه، والتضرع؛ نحو قوله عز وجل: {ثُمَّ نَبَّهْلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}، وأن معنى المباهلة في اللغة: الدعاء باللعنة بتضرع واجتهاد أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء مصطحبين أبناءهم ونساءهم فيدعون الله تعالى أن يحل لعنته وعقوبته بالكاذب من الفريقين، سلك القرآن الكريم هذا الأسلوب المباهلة في مجادلة المشركين المبطلين الذين يتكبرون عن قبول الحق، ويصرون على باطلهم وضلالهم مع قيام الحجة عليهم، وظهر الحق لهم. ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ٦٣؛ السمين الحلبي؛ أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، (د.ت)، دار القلم، دمشق، ٢٢٦/٣-٢٢٧؛ ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب ٥/٢٨٧-٢٨٨.

الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وجبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم، وكان شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده^(١). فقدموا على رسول الله ﷺ، ودخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات^(٢)، جباب وأردية في جمال رجال بلحارث بن كعب^(٣)، يقول من رآهم من أصحاب رسول الله ﷺ: ما رأينا وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (دعوهم)، فصلوا إلى المشرق. فقالوا للنبي ﷺ: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ فقال: (من هو؟)، قالوا: عيسى؛ تزعم أنه عبد الله، فقال النبي ﷺ: (أجل! إنه عبد الله). قالوا: فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده، فجاء

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ٢/٢٢٢.

(٢) الحبرات: مفرد حبرة وهي ضرب من برود اليمن منمرة. ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة ١/١٦٤؛ ابن الجوزي، غريب الحديث ١/١٨٧؛ الزبيدي، تاج العروس ١٠/٥٠٨.

(٣) بلحارث بن كعب فخذ من القحطانية وهم: بنو بلحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد ابن مذحج. ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ٢/٣٠٦؛ القلقشندي؛ أبو العباس أحمد ابن علي (ت ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (د.ت)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م، ١/٣٢٧؛ كحالة؛ عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، ١/١٠٢.

جبريل ﷺ بأمر ربنا السميع العليم، فقال^(١): قل لهم إذا أتوك: **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى** عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له **كُنْ فَيَكُونُ**^(٢)، إلى آخر الآيات، فكلم السيد والعاقب رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أسلما)، فقالا: قد أسلمنا قبلك، قال: (كذبتما، منعكما من الإسلام دعأوكما لله ولداً، عبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير)، قالوا: إن لم يكن عيسى ولداً لله فمن أبوه؟ وخاصموه جميعاً في عيسى، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: (ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه؟) قالوا: بلى! قال: (ألستم تعلمون أن ربنا قيّم على كل شيء يحفظه ويرزقه؟) قالوا: بلى! قال: (فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟) قالوا: لا، قال: (فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء، وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث)، قالوا: بلى! قال: (ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعت كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذي الصبي، ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟) قالوا: بلى! قال: (فكيف يكون هذا كما زعمتم؟) فسكتوا، فأنزل الله عز وجل فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضعة وثمانين آية منها^(٣). وكان وفودهم على النبي ﷺ في السنة

(١) الطبري، جامع البيان ٥/٤٦٠؛ السيوطي، الدر المنثور ٢/٢٢٨.

(٢) سورة آل عمران آية ٥٩ .

(٣) الطبري، جامع البيان ٦/١٧٤؛ الواحدي، أسباب النزول، ٢١٧-٢١٨؛ البغوي، معالم التنزيل

التاسعة من الهجرة^(١)، وعند البعض في السنة العاشرة للهجرة^(٢)، ثم أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يباهل من جادله في شأن عيسى عليه السلام بعد قيام الحجة عليه، وظهور الحق له بالأدلة الواضحة والبراهين الساطعة؛ (وذلك بأن يحضر هو وأهله وأبنائه، وهم يحضرون بأهلهم وأبنائهم ثم يدعون الله تعالى أن ينزل عقوبته ولعنته على الكاذبين)^(٣)، مع أنّ القصد من المباهلة تبين الصادق من الكاذب وهو يختص به وبمن، يباهله لأنّ ذلك أتم في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه، وأكمل نكاية بالعدو وأوفر إضراراً به لو تمت المباهلة^(٤).

ثم أكد سبحانه وتعالى صدق ما قصه وأخبر به من أمر عيسى عليه السلام وأنه هو الحق الذي لا جدال فيه، لا ما يدّعيه النصارى وغيرهم، مبيناً سبحانه أنه هو المتفرد بالربوبية المستحق للألوهية، وأنه هو العزيز في ملكه، الحكيم في تدبيره. وفي ختام الآيات هدد الله تعالى نصارى نجران الضالين إن هم أعرضوا عن الحق بعدما تبين لهم في هذه الآيات البينات التي سمعوها فلم يرجعوا عن دينهم الباطل وقولهم الفاسد، مبيناً أنه عليم بهم، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء، بل يحصيها عليهم

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ٢٦٩/٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ١٦٢/٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ٦٩٥/٢.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٩٦٨.

(٤) الألويسي، روح المعاني ١٨١/٢.

ثم يجازيهم بها^(١)، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يباهل نصارى نجران حينما جادلوا في أمر عيسى عليه السلام ولم يقبلوا الحق الذي جاء به من عند الله تعالى وأصروا على باطلهم وضلالهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لِعِنةِ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ^(٢) .

فأخذ النبي ﷺ بيد الحسن والحسين وفاطمة - رضي الله عنهم - وقال لعلي - رضي الله عنه - : اتبعنا، فخرج معهم، فلم يخرج يومئذ النصارى، وقالوا: إنا نخاف أن يكون هذا هو النبي - ﷺ -، وليس دعوة النبي - ﷺ - كغيرها، فتخلفوا عنه يومئذ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لو خرجوا لاحترقوا)،^(٣) فقالوا: يا أبا القاسم! دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما تريد أن تفعل فيما دعوتنا إليه، ثم انصرفوا عنه، ثم خلَّوْا بالعاقب، وكان ذا رأيهم، فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبى

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان ٤٦٧/٥؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٥/٢؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٩٦٨.

(٢) سورة آل عمران آية ٥٩-٦٣ .

(٣) الطبري، جامع البيان ٤٧١/٥؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم ٦٦٧/٢.

مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم. فظهر التردد عليهم لأنهم في شك من عقيدتهم فعندما جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعنا، فقال أحدهما: لا تفعل؛ فوالله لئن كان نبياً فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالوا: إنا نعطيك ما سألتنا وأبعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين، فاستشرف له أصحاب النبي ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح^(١)! فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذا أمين هذه الأمة)^(٢)، فصالحوه على صلح على أن له عليهم

-
- (١) أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، لقبه رسول الله ﷺ أمين الأمة، ولد بمكة، وهو من السابقين إلى الإسلام، وشهد المشاهد كلها، فتح الديار الشامية، وبلغ الفرات شرقاً وآسيا الصغرى شمالاً، ورتب للبلاد المرابطين والعمال، وتعلقت به قلوب الناس لرفقه وأناته وتواضعه، توفي رضي الله عنه سنة ١٨ هـ بطاعون عمواس ودفن في غور بيسان في الأردن، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة ١٢٥/٣-١٢٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٨-٥/٣؛ ابن حجر، الإصابة ٥٠٨/٥-٥١٥.
- (٢) البخاري، صحيح البخاري ١٧١/٥؛ مسلم، صحيح مسلم ١٨٨٢/٤.

ثمانين ألفاً، فما عجزت الدراهم ففي العروض الحُلَّة^(١)(٢).

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبه إلى نجران فقالوا: رأيت ما تقرأون يا أخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله فقال ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم^(٣).

وقد كتب ﷺ عهداً لنصارى نجران^(٤) فصالحهم صلى الله عليه وسلم وكتب لهم عهداً يمثل قمة من قمم العدل والسماحة والحرية فجاء فيه: (ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله، على أنفسهم وملتهم... إلى أن قال: وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله، وذمة النبي أبداً حتى يأتي الله

(١) الحلة: مفرد جمعها حلل، وهي برود اليمن، ولا تسمى حلة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد. ينظر: ابن الجوزي، غريب الحديث ٢٣٨/١؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٤٣٢/١؛ الزبيدي، تاج العروس ٣٢٢/٢٨.

(٢) الطبري، جامع البيان ١٧٢/٥-١٧٤؛ الثعلبي، الكشف والبيان ٦/٣-٧.

(٣) أحمد، مسند الإمام أحمد ١٤١/٣٠؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم ٢٤٠٧/٧؛ الثعلبي، الكشف والبيان ٢١٣/٦. قال النبي ﷺ: (إن خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن والحارث) [مسند الإمام أحمد ١٤٧/٢٩].

(٤) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ٣٠٧/١-٣٠٨؛ ابن حديدة؛ محمد بن علي بن أحمد الأنصاري (ت ٧٨٣هـ)، المصباح المضي في كتاب النبي الأُمِّي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، تحقيق: محمد عظيم الدين، ط ٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م، ١٩٦/٢-١٩٨.

بأمره إن نصحوا^(١). وكذلك كتب لنصارى تغلب^(٢) ^(٣) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾^(٤).

-
- (١) ابن سعد، الطبقات الكبرى ١/٢٤٩؛ ابن حديدة، المصباح المضي ٢/٢٠١-٢٠٢.
- (٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى ١/٢٧٣؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ٦/٤٣٧.
- (٣) وبذلك المعاهدة السمحة قطع الإسلام الصلة بين أولئك العرب المتنصرين وبين دولة الروم التي يشتبك معها في الحرب، بعد ما ضمن الحرية الدينية لمن سالموه وكفوا عنه، لكن هل احترام أهل الكتاب ما عليهم من واجب، وهل أنصفوا الدين الذي رعى نممهم؟ كلا!! فإنهم سرعان ما راحوا يساعدون على إشعال الثورات في جنوب الجزيرة، كما كاتبوا الأسود العنسي (المتنبيء) فسار إليهم في طريقه إلى اليمن ... تماما كما فعل نصارى تغلب في تأييدهم مسيلمة الكذاب حين ادعى - هو الآخر - أنه نبي!!.. ولم يكن الأمر إيمانا منهم بهذه النبوات الزائفة ولكنه الإعانة على حرب الإسلام بأي سلاح ومع أي حليف . ينظر: عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ط٢، دار النفائس بيروت، ١٤٢٥ هـ، ٢٦٢-٢٦٣ .
- (٤) سورة الصف آية ١٤ .

وأما أول أسقف نصراني يتبع النبي ﷺ، فهو القديس ضغاطر^(١) أسقف الروم في القسطنطينية^(٢)، واتبع كثير من

(١) ضغاطر الرومي الأسقف، ويقال: اسمه: تغاطر كلاهما تعريب اوتوكراتور autocrator، وهو أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية رضي الله عنه، لما أرسله رسول الله ﷺ إلى هرقل وغيّر لباسه وأظهر إسلامه فقتلوه، وكان ذلك في سنة ٦هـ. ينظر: ابن حبان، الثقات ٧/٢. ابن الأثير، أسد الغابة ٥٦/٣. ابن حجر، الإصابة ٣٦٩/٥-٣٧٠. حميد الله؛ محمد (ت ١٤٢٤هـ)، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط٦، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١١٥.

(٢) فسأل قيصر أبا سفيان عما سأل ثم قرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم خلا بدحية الكلبي وقال إني أعلم أن صاحبكم نبي مرسل وأنه الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا ولكن أخاف الروم على نفسي ولو لا ذلك لا تبعته ولكن اذهب إلى ضغاطر الأسقف فانكر له أمر صاحبكم وانظر ماذا يقول فجاء دحية وأخبره مما جاء به من رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى هرقل وبما يدعو إليه فقال ضغاطر صاحبك والله نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه ثم دخل فألقى ثيابا كانت عليه سوداء ولبس ثيابا بيضاء ثم أخذ عصاه وخرج على الروم وهم في الكنيسة فقال للروم إنه قد أتانا كتاب من أحمد يدعو فيه إلى الله وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله فوثبوا إليه وثبة رجل واحد وضربوه حتى قتلوه فرجع دحية إلى هرقل وأخبره الخبر قال قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا فضغاطر كان والله أعظم عندهم وأجوز قولاً مني. ينظر: ابن حبان، الثقات ٧/٢. أبو نعيمان لأصفهاني؛ أحمد بن عبد الله بن أحمد، دلائل النبوة، تحقيق: محمد رواس قلعه جي وعبد البر عباس، ط٢، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ١/١٠١-١٠٢. ابن كثير، البداية والنهاية ٤٨٦/٦.

النصارى الذين بلغتهم الرسالة بدون موانع الدين الجديد ، قال تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قسيسين و رهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فأكتبنا مع الشاهدين (٨٣) وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين (٨٤) فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) (١)

أي الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج إنجيله فيهم مودة للإسلام وأهله ، وما ذاك إلا لما في قلوبهم إذ كانوا على دين المسيح من الرأفة والرحمة كما قال تعالى: {ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} (٢) وفي كتابهم: من ضربك على خدك الأيمن فأدر له

(١) سورة المائدة ، آية ٨٢-٨٥.

(٢) سورة الحديد آية ٢٧ .

خذك الأيسر. وليس القتال مشروعاً في ملتهم، ولهذا قال تعالى: { ذَلِكَ بَأْسٌ
مِّنْهُمْ قَسِيبٌ وَّرَهْبَانًا وَأَتَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ } بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع، ثم
وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف، فقال تعالى: { وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى
الرُّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ } أي مما عندهم من البشارة
ببعثة محمد ﷺ { يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } أي مع من يشهد بصحة
هذا ويؤمن به^(١)، ولم يرد به جميع النصاري لأنهم في عداوتهم المسلمين
كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق
مصاحفهم، لا ولاء، ولا كرامة لهم، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي
وأصحابه^(٢).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣ / ١٥٠-١٥١.

(٢) تفسير البغوي ٣ / ٨٥.

ان مرويات اسباب النزول التي تخص النصارى اقل مما جاء عن اليهود، لأنَّ احتكاك النصارى بالمسلمين اقل لأنَّهم كانوا يعيشون في أطراف الجزيرة وفي الشام إذ كانت النصرانية هي ديانة أهل الشام، كما كانت منتشرة بين القبائل التي تعيش على تخوم الشام وعلى الطرف الشمالي للعراق والتي دخلها التصير من خلال تشجيع حكومة الروم لمآرب سياسية بعيدة الأهداف، فقد كانت تبغي من وراء ذلك كسب العرب إلى صفها لمحاربة أعدائها الفرس بسلاح الدين (١) .

(١) الشريف ؛ أحمد إبراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ ، ط١ دار الفكر العربي .١٩٥

الفصل الرابع

المنافقون من خلال مرويات أسباب النزول

ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الاول

المنافقون اصحاب جدل وخصام و يعترضون على توزيع الصدقات
ويستهزئون بالمتصدقين

المبحث الثاني

عداء المنافقين للمسلمين ودورهم في
نصرة أعدائهم ودورهم في غزوة بني المصطلق

المبحث الثالث

اختلاق المنافقين لحادثة الافك والتبرئة القرآنية الخالدة

المبحث الرابع

دورالمنافقين في غزوة تبوك واتخاذهم مسجدا للضرار بالمسلمين

الفصل الرابع

المنافقون من خلال مرويات اسباب النزول

إن الله عز وجل خلق السموات والأرض بالحق وخلق الخلق ليعبدوه، وأمرهم بأن يقيموا حياتهم على الإيمان الحق الذي قامت عليه السموات والأرض، ولا يكون الإيمان حقا حتى يكون قائما على الصدق المقتضي للإخلاص التام لله عز وجل باطنا وظاهرا، والمقتضي للمتابعة الصادقة للرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأحوال، وبه تسعد البشرية بالحياة المبنية على الحق والصدق، وعندئذ تختفي كل مظاهر الظلم والكذب والنفاق، وان منزلة الصدق تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط^(١) اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع الدرجات، ومن مساكنهم في

(١) الفسطاط: بيت من شعر، وفسطاط المصر: مجتمع أهله حول جامعهم. والفسطاط مجتمع أهل الكورة حوالي مسجد جماعتهم. يقال: هؤلاء أهل الفسطاط. وفي الحديث: (عليكم بالجماعة فإن يد الله تعالى مع الفسطاط) والفسطاط في كلام العرب هو المدينة ولذلك قيل لمصر فسطاط ومعنى الخبر أن يد الله مع الفسطاط أي أن الله تعالى مع السواد الأعظم ومع أهل الأمصار وأن من شذ عنهم وفارقهم في الرأي فليس على الحق. ينظر: بن فورك؛ أبو بكر محمد بن الحسن الأنصاري الأصبهاني، (ت ٤٠٦ هـ)، مشكل الحديث وبيانه، تحقيق: موسى محمد علي، ط ٢، عالم الكتب - بيروت، ١٩٨٥ م، ٣٢٣؛ ابن منظور، لسان العرب ٧ / ٣٧١.

الجنات تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين^(١)، لقد تقرر في محكمات الشريعة أنّ الإيمان تصديق بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح، وأن هنالك علاقة تلازم قوية بين الظاهر والباطن، فما وقر في القلب ظهر على الجوارح، كما قال ﷺ: (ألا إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)^(٢).

إن بلية الإسلام بالمنافقين شديدة جدًّا؛ لأنّهم منسوبون إليه، وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل شأن يظن الجاهل أنه علم وصلاح، وهو غاية الجهل والإفساد، فكم معقل للإسلام هدموه؟، وكم حصن قلعوا أساسه وخرّبوه؟، وكم علّم طمسوه؟، وكم ضربوا بمعاول الشّبه في أصول غراسه ليقلعوها، فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبليّة، ولا يزال يطرقه من شبههم سرّيّة بعد سرّيّة، يزعمون أنّهم بذلك مصلحون^(٣)، {ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون}^(٤).

ومنهم من اتخذ العلم حرفة يتأكل بها ذا هيبة، وأبهة يتعزز ويتعاضم بها يدعو الناس إلى الله ويفر هو منه^(٥)، وبحسب إيمان العبد

(١) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢/٢٧٩.

(٢) أحمد، مسند الإمام أحمد ٣٠/٣٢٤؛ البخاري، صحيح البخاري ١/٢٠؛ مسلم، صحيح مسلم ٣/١٢١٩.

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين ١/٣٧٧.

(٤) سورة البقرة آية ١٢.

(٥) المناوي؛ محمد المدعو بعبد الرؤف (ت ١٠٣٥هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط٢، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٩٧٢م، ٢/٤١٩.

ومعرفته يكون خوفه أن يكون من أهل هذه الطبقة، ولهذا اشتد خوف سادة الأمة وسابقيها على أنفسهم أن يكونوا منهم، فكان عمر يقول لحذيفة^(١) رضي الله عنهما: "ناشدتك الله، هل سماني رسول الله مع القوم؟ فيقول: لا، ولا أركي بعدك أحداً"^(٢)، ولقد خفي على كثير من المسلمين حال بعض المنافقين في القديم والحديث، كما كان جماعة في أيام النبي ﷺ منتسبون إلى صحبته وإلى ملته، وهم في الباطن من مردة المنافقين، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم بهم، قال تعالى: { وَبَيْنَ حَوْلِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ }^(٣).

فإذا جاز على سيد البشر أن لا يعلم ببعض المنافقين وهم معه في المدينة سنوات، فبالأولى أن يخفى المنافقون على العلماء من أمته^(٤).

(١) حذيفة بن اليمان العبسي رضي الله عنه-، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين، وأبوه صحابي أيضاً، استشهد بأحد، كان حذيفة رضي الله عنه صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره، توفي في أول خلافة علي رضي الله عنه سنة ٣٦ هـ. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٣٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة ١/٧٠٦-٧٠٨؛ ابن حجر، الإصابة ٢/٤٩٦-٤٩٧.

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين ١/٣٨٨.

(٣) سورة التوبة آية ١٠١.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٤/٣٤٣.

النفاق لغة: نفاق، منافقة، ونفاقاً وهو مشتق من نافقاء اليربوع^(١)، والنفق، الطريق النافذ، والسرب في الارض النافذ فيه^(٢) قال تعالى: { وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ }^(٣).

وان اليربوع له جحر يقال له: النافقاء، وآخر يقال له: القاصعاء، فإذا طلب من القاصعاء^(٤) قصع فخرج من النافقاء، كذا المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي يدخل فيه^(٥)، ونفاق في الدين: ستر كفره، وأظهر إيمانه، وسمي المنافق منافقاً؛ لأنه يستر كفره ويغيبه، فشبه بالذي يدخل النفق، وقد تكرر في القرآن الكريم والحديث الشريف ذكر (النفاق)، وما تصرف منه اسماً وفعلاً^(٦).

(١) ابن الجوزي، غريب الحديث ٤٢٧/٢؛ ابن منظور، لسان العرب ٤٥٠٨/٦.

(٢) الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ٥٠٢.

(٣) سورة الانعام آية ٣٥.

(٤) القاصعاء: إنما قيل له ذلك، لأن اليربوع يخرج تراب الجحر ثم يسد به فم الآخر من قولهم قصع الكلم بالدم إذا امتلأ به؛ ابن منظور، لسان العرب ٣٥٩/١٠.

(٥) ابن فارس، مجمل اللغة، ٨٧٧؛ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٤٩٢/٤؛ العيني، عمدة القارئ ٢١٧/١.

(٦) ينظر: الجوهرى، الصحاح ١٥٦٠/٤؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٩٨/٥؛ ابن منظور، لسان العرب ٤٥٠٨/٦-٤٥٠٩؛ الزبيدي، تاج العروس ٤٣٣/٦.

وأما النفاق اصطلاحاً: فهو اظهار الايمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب (١)
فجمعت صفة النفاق والكفر والكذب والمخادعة والجبن وغيرها، فكفى به من
شر، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب
بالمعنى المخصوص به وإن كان أصله في اللغة معروفاً (٢).
النفاق نوعان: نفاق أكبر وهو نفاق الاعتقاد، ونفاق أصغر وهو النفاق
العملي.

النفاق الأكبر وهو: أن يظهر الإنسان الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله،
واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه (٣)، ويظهر للمسلمين
إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فيعصم بذلك دمه وماله
وعرضه ويتخلص من القتل والعذاب العاجل، ويصبح ظاهراً في عداد
المسلمين، ويحسب على أنه منهم، وهو في حقيقة أمره، منسلخ من الدين
كله، مكذب به، لا يؤمن بالله، ولا بكلامه الذي أنزله على رسوله، فليس معه
من الإيمان شيء، وهذا النفاق

(١) الجرجاني؛ علي بن محمد بن علي الزين (ت ٨١٦هـ)، التعريفات، ط جديدة، مكتبة لبنان،
بيروت، ١٩٨٥م، ٢٦٥.

(٢) السفاريني، لوامع الأنوار البهية ١/٣٩٢..

(٣) ابن رجب الحنبلي؛ عبد الرحمن بن احمد (ت ٧٩٥هـ)، جامع العلوم والحكم، تحقيق: شعيب
الأرنؤوط وإبراهيم باجس، ط ٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م ٤٨١/٢ .

يوجب لصاحبه الخلود في النار، بل هو في الدرك الأسفل منها ^(١) وإنَّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن نجد لهم نصيراً ^(٢) ، وهو أعظم كفراً من صاحب الكفر الواضح المستبين ^(٣)، وكان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود فيسخرّون من القرآن ^(٤) قال تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مثلهم إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} ^(٥) والخطاب لجميع من أظهر الإيمان من محق ومنافق ، لأنه إذا أظهر الإيمان فقد لزمه أن يمثل أوامر كتاب الله تعالى.

وأما النفاق الأصغر، أو النفاق العملي: فهو ترك المحافظة على أمور الدين سرا، ومراعاتها علنا، فيشبهه في هذا النفاق الأكبر، إذ فيه مخالفة القول للواقع ولكنه ليس في الاعتقاد؛ ولذلك لا يتنافى مع أصل التوحيد والإيمان ولا يخرج صاحبه عن الدين، وإن كان يستحق الوعيد كسائر المعاصي ^(٦)، والنفاق الأصغر وسيلة وذريعة إلى النفاق الأكبر، كما أن المعاصي يريد الكفر، فكما يُخشى على من أصرّ على المعصية

(١) سورة النساء ، آية ١٤٥ .

(٢) ضميرية؛ عثمان جمعة، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط٤، مكتبة السواوي للتوزيع، جدة، ٢٠٠٣م، ٣٤٥-٣٤٦.

(٣) ينظر: القرطبي، الجامع لاحكام القرآن ٥ / ٤١٧.

(٤) سورة النساء ، آية ١٤٠ .

(٥) ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ٣٤٨.

أن يُسلب الإيمان عند الموت، كذلك يخشى على من أصر على النفاق أن يسلب الإيمان، فيصير منافقاً خالصاً^(١)، وقد حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة كقوله: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان)^(٢)، فهذه خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال من الكذب ونقض العهد وخلف الوعد والخيانة، ولكنه ليس على كفرهم اعتقاداً، [وفيه دليل على أن النفاق يتبع بعض ويتشعب، كما أن الإيمان ذو شعب ويزيد وينقص، فشعب النفاق كلها من الكذب والخيانة والجور والغدر والرياء وطلب العلم ليقال، وحب الرئاسة والمشیخة، وموادة الفجار والنصارى فمن ارتكبها كلها وكان في قلبه غلٌّ للنبي -صلى الله عليه وسلم-، أو حرج من قضاياه، أو يصوم غير محتسب أو يعتقد أن دين النصارى أو اليهود دين مליح ويميل إليهم، فهذا كامل النفاق، وأنه في الدرك الأسفل من النار، فإن كان فيه شعبة من نفاق الأعمال فله قسط من المقت حتى يدعها ويتوب منها]^(٣)، كان رسول الله ﷺ لا يواجه المنافقين بصريح القول، ولا يسميهم بأسمائهم، وإنما يشير إليهم بالأمانة المعلومة على سبيل التورية، وكان حذيفة رضي الله عنه يقول: إن النفاق إنما كان

(١) ابن رجب ، جامع العلوم والحكم ، ٢/٤٩٢-٤٩٣ .

(٢) وقوله ﷺ: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر). البخاري، صحيح البخاري ١/١٦؛ مسلم، صحيح مسلم ١/٧٨.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١١/٣٦٣.

على عهد رسول الله ﷺ وما كان بعد زمانه فهو "كفر بعد الإيمان" ومعنى هذا: أن المنافقين في زمن رسول الله ﷺ لم يكونوا أسلموا، إنما كانوا يظهرين الإسلام رياءً ونفاقاً، ويسرون الكفر اعتقاداً، فأما اليوم وقد شاع الأمر وانتشر، فمن نافق منهم فهو مرتد؛ لأن نفاقه كفر أحدثه بعد قبول الدين .

وإنما كان المنافق في زمان رسول الله ﷺ مقيماً على كفره الأول فلم يتشابهها وإنما اختلف الحكم؛ لأن النبي ﷺ كان يتألفهم، ويقبل ما أظهره من الإسلام، ولو ظهر منهم خلافه، وأما بعده فمن أظهر شيئاً فإنه يؤاخذ به، ولا يترك لمصلحة التألف، لعدم الاحتياج إلى ذلك^(١)، وأهم ما يميز المنافقين الاختلاف بين الظاهر والباطن، وبين الدعوى والحقيقة كما قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ}^(٢) أن هذه الآية نزلت في أهل النفاق، وأن هذه الصفة صفتهم^(٣)، وعلى ذلك نبه الله تعالى عن المنافقين بقوله تعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُم

(١) ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ٣٤٧-٣٤٨.

(٢) سورة البقرة آية ٨ .

(٣) الطبري، جامع البيان ٢٧٥/١.

الْفَاسِقُونَ} (١) أي الخارجون من الدين والشرع (٢)، ومهما تستر المنافقون بزي الأيمان، فلا بدّ للمؤمن ان يحس بهم وبخبت سرائرهم وكانت سور القرآن وآياته المدنية تبين دسائس المنافقين وأراجيفهم، حتى نزلت فيهم سورة تحمل اسمهم الخاص وترسم لهم أخزى صورة، بأنهم خشب مسندة لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول (٣).

ثم ترميهم بالبلادة والجمود، حتى لتشبههم بالتماثيل الصامتة والخشب المسندة، وتصفهم بالجبن والفرع كلما هجس صوت، أو علت صيحة، أو تحرك شيء، مع أنّ ظاهرهم الخداع، وأجسامهم الطوال العراض، التي تسر الناظرين وفي عبد الله بن أبي بن سلول نزل (٤)، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْنَدَةٌ يُحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْيَّ يُؤْفَكُونَ﴾ (٥).

وكان عبد الله ابن أبي بن سلول رجلاً جسيماً صديحاً فصيحاً نلق اللسان، فإذا قال سمع النبي ﷺ لقوله ﴿كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ أجسامهم

(١) سورة التوبة آية ٦٧ .

(٢) ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ٣٤٥.

(٣) الطبري ، جامع البيان ٢٢ / ٦٥٣.

(٤) الطبري، جامع البيان، ٢٢/٦٥٢؛ الثعلبي، الكشف والبيان ٩/٣٢٠؛ الواحدي، اسباب النزول ٦٧٣-٦٧٧.

(٥) سورة المنافقون آية ٤.

خشب لا تسمع ولا تعقل، ليست فيها أرواح، وليس في أجوافهم ايمان، {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ} يقول إذا نادى مناد في العسكر او أفلتت دابة او أنشدت ضالة ظنوا أنما يرادون بذلك مما في قلوبهم من الرعب وقد تناول القرآن أولئك النفر تناولاً اولياً ووصف أخلاقهم وصفا مطابقاً، وهذه الآيات ونظائرها عبرة عامة شاملة، وانموذجاً خالداً، شاخصاً لمن مضى ولمن يجيء من هذا الصنف الى يوم القيامة، قد جاء وصف المنافقين لتحذير المسلمين ان يأمنوا جانبهم ويركنوا إليهم بسبب الغرور او الغفلة وليتقى المسلمون شرهم وغدرهم وللحذرمنهم أينما وجدوا (١).

(١) مقاتل بن سليمان ؛ أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣هـ، ١٣٦/٥-١٣٧.

المبحث الاول

المنافقون أصحاب جدل وخصام

و يعترضون على توزيع الصدقات

ويستهزئون بالمتصدقين

حذّر القرآن الكريم من النفاق وبين صفات المنافقين في آيات كثيرة^(١) وحذّر الرسول ﷺ امته من النفاق وقال: (إنّ أخوف ما أخاف عليكم بعدي منافق عليم اللسان)^(٢) منطلق اللسان لكّنه جاهل القلب والعمل، فاسد العقيدة، مغر للناس بتقعره في الكلام كثير علم اللسان، قال رسول الله ﷺ: (إنكم تختصمون، وإنّما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فإنما أقضي بينكم على نحو ما أسمع منكم، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً، فلا يأخذه، فإنّما أقطع له قطعة من نار جهنم يأتي بها يوم القيامة)^(٣) وقد وردت السنة بالنهي عن ذلك أيضاً في أحاديث متعددة، فقد قال النبي ﷺ: (من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين)^(٤)، وعن هذه الخصومات روى الصحابي

(١) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ٣٧٧/١ .

(٢) الطبراني ، الكبير ٢٣٧/١٨ ؛ البيهقي ، الشعب ، ١٦١/٢ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد /١ .١٨٧

(٣) أحمد، مسند الإمام أحمد ٢٨٩/١؛ البزار، البحر الزخار ١٣/٩؛ الطبراني، المعجم الكبير ٢٣٧/١٨ .

(٤) البخاري، صحيح البخاري ٣/ ١٣٠؛ مسلم، صحيح مسلم ٣/١٢٣١ ؛ [وفي حديث آخر قال النبي ﷺ: (أعظم الغلول عند الله نراع من الأرض تجدون الرجلين جارين في الأرض -أو في الدار- فيقطع أحدهما من حظ صاحبه نراعا، فإذا اقتطعه طوقه من سبع أرضين إلى يوم القيامة) ينظر: أحمد، مسند الإمام أحمد ٤٩٤/٢٨؛ الطبراني، المعجم الكبير ٣/٢٩٩] .

الجليل قتادة بن النعمان^(١) رضي الله عنه أنّ خصومه حدثت لهم مع أحد المنافقين قال: كان أهل بيت منا يقال لهم: بنو أبيرق بشر، وبشير، ومبشر^(٢)، وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله بعض العرب ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث، وقالوا: ابن الأبيرق قالها، قال: وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة، في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، وكان الرجل

(١) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الظفري، أبو عمرو الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل أخو أبي سعيد الخدري لأمه، شهد العقبة وبردراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وتوفي سنة ثلاث وعشرين. ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة ٤/٢٣٣٨؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ٦١٦-٦١٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٤/٣٧٠-٣٧٢.

(٢) بشر بن الحارث وهو أبيرق بن عمرو الأنصاري الظفري شهد أحداً وأخواه مبشر وبشير، وأما بشير هو الشاعر وكان منافقاً يهجو الصحابة وكانوا أهل حاجة فسرق بشير من رفاة ابن زيد درعه ثم ارتد في شهر ربيع الأول سنة أربع ولم يذكر لأخيه بشر نفاق. ينظر: الطبري، جامع البيان ٧/٤٥٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٥/٥٢؛ الصفي، الوافي بالوفيات ١٠/٩٠.

إذا كان له يسار فقدمت ضافطة^(١) من الشام من الدرمة^(٢)، ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه، وأمّا العيال فإنّما طعامهم التمر والشعير، فقدمت ضافطة من الشام فابتاع عمي رفاعة بن زيد^(٣) حملا من الدرمة فجعله في مشربة^(٤) له، وفي المشربة سلاح ودرع وسيف، فعدي عليه من تحت البيت، فنقبت المشربة، وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة، فقال: يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه، فنقبت مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا. قال: فتحسسنا في الدار وسألنا فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه

-
- (١) الضافطة والضفاط الذي يجلب الميرة والمتاع إلى المدن، والمكاري الذي يكري الأحمال، وكانوا يومئذ قوما من الأنباط يحملون الميرة إلى المدينة الدقيق والزيت وغيرهما . ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٣/٩٤-٩٥؛ ابن منظور ، لسان العرب ٤/٢٥٩٦. الزبيدي، تاج العروس ١٩/٤٥٤-٤٥٥.
- (٢) درمق: الدرمة لغة في الدرمة وهو الدقيق المحور. ينظر: ابن الجوزي، غريب الحديث ١/٣٣٤؛ ابن منظور، لسان العرب ٢/١٣٦٧-١٣٦٨؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٩٣٨.
- (٣) رفاعة بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب، وهو ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس الأنصاري الظفري، عم قتادة بن النعمان وهو الذي سرق بنو أبيرق سلاحه وطعامه. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب ٢٣١؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٢/٢٨١؛ ابن حجر، الإصابة ٣/٥٣٨-٥٣٩.
- (٤) المشربة، بالفتح والضم: الغرفة . ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة ١/٥٠٠؛ ابن الجوزي، غريب الحديث ١/٥٢٤؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٢/٤٥٥.

الليلة، ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم، قال: وكان بنو أبيرق قالوا ونحن نسأل في الدار: والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل^(١)، رجل منا له صلاح وإسلام، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق؟ فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة، قالوا: إليك عنها أيها الرجل فما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها، فقال لي عمي: يا ابن أخي لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أهل بيت منا أهل جفاء، عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال النبي ﷺ: (سأمر في ذلك)، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلا منهم يقال له: أسير بن عروة^(٢) فكلموه في ذلك، فاجتمع في ذلك ناس من أهل الدار، فقالوا: يا رسول الله إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح، يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت، قال

-
- (١) لبيد بن سهل الأنصاري له ذكر في حديث قتادة بن النعمان في قصة ابن أبيرق لما نسبوا سرقتهم إلى لبيد، فأنزل الله تعالى فيه: { وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيحًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا } [النساء: ١١٢] فبرأه الله مما تقولت عليه بنو أبيرق . ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة ٢٤٢٢/٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ٦٤١؛ ابن حجر، الإصابة ٣٨٤/٩.
- (٢) أسير بن عروة بن سواد بن الهيثم بن ظفر الأنصاري الظفري، شهد أحدا والمشاهد بعدها، واستشهد بنهاوند. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٥٠-٥١؛ ابن الاثير، أسد الغابة ٢٤٥/١-٢٤٦؛ ابن حجر، الإصابة ١٧٧/١-١٧٨.

قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فكلمته، فقال: (عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت وبينة)، قال: فرجعت، ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك، فأتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: الله المستعان، فلم يلبث أن نزل^(١) القرآن {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (١٠٩) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (١١٢) وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ

(١) سنن الترمذي ٥ / ٢٤٤-٢٤٧؛ الطبري، جامع البيان ٧/٤٥٩-٤٦٢؛ ابن عساکر، تاريخ

مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا^(١) فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فرده إلى رفاعة، فقال قتادة: لما أتيت عمي بالسلاح، وكان شيخا قد عسا^(٢) في الجاهلية، وكنت أرى إسلامه مدخولا^(٣)، فلما أتته بالسلاح قال: يا ابن أخي، هو في سبيل الله، فعرفت أن إسلامه كان صحيحا، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية^(٤) فأنزل^(٥) الله ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ

(١) سورة النساء الآيات ١٠٥-١١٣.

(٢) عسا، بالنسب المهمل، أي كبر وأسن من عسا القضيب إذا يبس، وبالمعجمة أي قل بصره وضعف. ينظر: الجوهري، الصحاح ٦/٢٤٢٥؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٣/٢٣٨؛ ابن منظور، لسان العرب ٤/٢٩٤٩.

(٣) الدخل، بالتحريك: العيب والغش والفساد، يعني أن إيمانه كان فيه نفاق. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/١٠٨؛ ابن منظور، لسان العرب ١١/٢٤١.

(٤) - سلافة بنت سعد الأنصارية الأوسية أم بني طلحة بن أبي طلحة العبدي القرشي أسلمت عام الفتح. ينظر: ابن حبيب؛ أبو جعفر محمد الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ)، المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتير، (د.ت)، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ٤١٠؛ ابن بشكوال؛ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود (ت ٥٧٨هـ)، الغوامض والمبهمات، تحقيق: محمود مغراوي، ط ١، دار الأندلس الخضراء، جدة، ١٩٩٤م، ٢/٤٩٣-٤٩٥؛ ابن حجر، الإصابة ٤٧٧/١٤.

(٥) ينظر: سنن الترمذي ٥/٢٤٤-٢٤٧؛ الطبري، جامع البيان ٧/٤٥٩-٤٦٢؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق ٤٩/٢٧١-٢٧٢؛ السيوطي، لباب النقول ٧١.

وَنُصِّلَهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا^(١).

فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت^(٢) بأبيات من شعر، فأخذت رحله فوضعتة على رأسها ثم خرجت به فرمت به في الأبطح، ثم قالت: أهديت لي شعر حسان؟ ما كنت تأتيني بخير فطردته، فلحق بالطائف فدخل بيتاً ليسرق منه، فوقع عليه فمات، فقالت قريش: والله ما يفارق محمداً من أصحابه أحد فيه خير^(٣).

وأن بعض أهل الزيغ والنفاق يتهم الصادق الأمين صاحب الخلق العظيم رسول الله ﷺ بعدم العدل فخاطبه بلهجة قاسية تنبئ عما انطوت عليه سريرته من الحقد والغل والبعد عن هدي الإسلام وتعاليمه السامية بينما النبي ﷺ يقسم -غنائم حنين- جاء عبد الله ابن ذي الخويصرة التميمي^(٤)، فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: (ويلك، ومن يعدل إذا لم

(١) سورة النساء الآيات ١١٥ - ١١٦ .

(٢) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد، صحابي جليل، شاعر النبي ﷺ، وهو أحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، توفي بالمدينة سنة (٥٤هـ) وهو ابن مائة وعشرين سنة. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٦٣-١٦٧؛ ابن عساکر، تأريخ دمشق ٣٧٨/١٢-٤٣٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٦/٢-٩.

(٣) البقاعي؛ برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (د.ت)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٣٩٢/٥.

(٤) عبد الله بن ذي الخويصرة وقيل ذو الخويصرة التميمي، وقد اختلف في اسمه أيضاً، فقيل حرقوص بن زهير وقيل: نافع وقيل عبد الله، رأس فرقة الخوارج قتل يوم النهروان. ينظر: ابن بشكوال، الغوامض والمبهمات ٢/٢٥٥-٢٥٧؛ ابن الاثير، أسد الغابة ٢/٢١٤-٢١٥؛ ابن حجر، الإصابة ٢/٥٠٤-٥٠٥ و ٣/٤٢٠-٤٢١.

أعدل)، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني أضرب عنقه، قال ﷺ: (دعه، فإن له أصحابا، يحقر أحكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في قذذه^(١) فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نصله^(٢)) فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في رصافه^(٣) فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نضيه^(٤) فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم^(٥)، آيتهم

(١) القذذ: ريش السهم، واحدها: قذذة. ينظر: ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ٤ / ٢٨.

(٢) نصلت السهم تنصيلا، إذا جعلت له نصلا ويقال للسهم أول ما يقطع: قطع، ثم ينحت ويبرى فيسمى بریا، ثم يقوم فيسمى قدحا، ثم يراش ويركب نصله فيسمى سهما. ينظر: ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٥ / ٢٠، ٦٧.

(٣) رصافه: الرصاف وهي العقبة التي تلوى فوق نصل السهم إذا انكسر ، وجمعه رصف. ينظر: ابن منظور، لسان العرب ٩ / ١٢٠.

(٤) نضيه: سمي نضيا لكثرة البري والنحت، فكأنه جعل نضوا. ونضي الرمح: ما فوق المقبض من صدره. ينظر: ابن منظور، لسان العرب ١٥ / ٣٣١.

(٥) أي يخرجون من الإسلام بغتة كخروج السهم إذا رماه رام قوي الساعد فأصاب ما رماه فنفذ منه بسرعة بحيث لا يعلق بالسهم ولا بشيء منه من المرمى شيء فإذا التمس الرامي سهمه وجده ولم يجد الذي رماه فينظر في السهم ليعرف هل أصاب أو أخطأ فإذا لم يره علق فيه شيء من الدم ولا غيره ظن أنه لم يصبه والفرض أنه أصابه، وإلى ذلك أشار بقوله (سبق الفرث والدم) أي: جاوزهما ولم يتعلق فيه منهما شيء. ينظر: ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (د.ت)، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٢ / ٢٩٤.

رجل إحدى يديه، أوقال: ثدييه، مثل ثدي المرأة، أو قال: مثل البضعة تدرر^(١) يخرجون على حين فرقة من الناس^(٢)، وقال ﷺ : (إن من ضئى^(٣) هذا قوما يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق

(١) تدرر: أي: ترجرج تجئ وتذهب. ينظر: الزمخشري، الفائق في غريب الحديث ٤٢٦/١؛ ابن الجوزي، غريب الحديث ٣٣٣/١؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ١١٢/٢.

(٢) البخاري، صحيح البخاري ١٧/٩.

(٣) الضئى: الاصل، وحكى بعضهم ضئىء، يريد أنه يخرج من نسله وعقبه. ينظر، الجوهري، الصحاح ٦٠/١؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٦٩/٣؛ ابن منظور، لسان العرب ٢٥٤١/٤.

السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد^(١)، فنزل^(٢) فيه قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} ^(٣) ومن المنافقين يعيب عليك في قسم الصدقات إذا فرقتها ويتهمك في ذلك وهم المتهمون ولا ينكرون للدين وإنما ينكرون لحظ أنفسهم ^(٤)، ولهذا إن أعطوا من الزكاة رضوا وإن لم يعطوا يغضبون

(١) أباح - ﷺ - قتلهم إذا كثروا وامتنعوا بالسلاح واستعرضوا للناس، ولم تكن هذه المعاني موجودة حين منع من قتلهم، وأول ما نجم ذلك في زمان علي رضي الله عنه - فقاتلهم حتى قتل كثيراً منهم، وعندما قال عمر رضي الله عنه - : دعني يا رسول الله أقتل هذا المنافق. فقال - ﷺ - : (معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي). إنما ترك - ﷺ - قتل المذكور؛ لأنه لم يكن أظهر ما يستدل به على ما وراءه فلو قتل من ظاهره الصلاح عند الناس قبل استحكام أمر الإسلام ورسوخه في القلوب نفرهم عن الدخول في الإسلام، وأما بعده - ﷺ - فلا يجوز ترك قتالهم إذا أظهروا رأيهم، وخرجوا من الجماعة، وخالفوا الأئمة مع القدرة على قتالهم. ينظر: القسطلاني؛ شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ٩٢٣هـ)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط ٧، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق - مصر، ١٣٢٢هـ، ٥٧/٦ - ٥٨.

(٢) البخاري، صحيح البخاري ١٣٧/٤؛ مسلم، صحيح مسلم ٧٤١/٢.

(٣) سورة التوبة آية ٥٨ .

(٤) عن يسير بن عمرو، قال: قلت لسهل بن حنيف، هل سمعت النبي ﷺ يقول: في الخوارج شيئاً؟ قال: سمعته يقول، وأهوى بيده قبل العراق: (يخرج منه قوم يقرأون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية) الخروج منه ومن غير أن يختار ديناً على دين الإسلام وأن الخوارج شر الفرق المبتدعة من الأمة المعجبة ومن اليهود والنصارى وإن عمر رضي الله عنه لشدته في الدين لا يكتفى في التعديل بظاهر الحال ولو بلغ المشهود بتعديله الغاية في العبادة والتقشف والورع حتى يختبر باطن حاله. [تعليق مصطفى البغا، فتح الباري ١٢ / ٣٠٢].

لأنفسهم^(١). قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه-: أشهد سمعت من النبي ﷺ، وأشهد أن علياً رضي الله عنه- قتلهم، وأنا معه، وجيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ^(٢).

فالطرائق كثيرة و متفرقة كما بينه النبي ﷺ قائلاً: (إن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلُّها في النار إلا فرقة واحدة)، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي)^(٣) ومن لم يهتم ببداية الطريق فلن يصل إلى النهاية، ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول والعمل والنية الموافقة للسنة، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله، فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه، ولم يصدق بعمله لم يقبل منه، وكان في الآخرة من الخاسرين^(٤).

وكان النبي ﷺ يتحرى أهل الحاجة في قسمته للصدقات فبينما كان ﷺ يقسم يوم الفتح (٥٨هـ) جاءه رجلان فسألاه، فأصعد فيهما بصره،

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٦٤/٤.

(٢) البخاري، صحيح البخاري ١٧/٩.

(٣) ابن وضاح؛ محمد بن وضاح القرطبي (ت ٢٨٦هـ)، البدع والنهي عنها، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، ط ٣، مكتبة ابن تيمية، ٢٠٠٨م، ١٦٨-١٦٩؛ الطبراني، المعجم الكبير ١٣/٣٠؛ الحاكم، المستدرک على الصحيحين ١/٢٠٧.

(٤) ابو نعيم ، حلية الأولياء ٦/١٤٣-١٤٤.

وصوبه، فقال: النبي ﷺ لهما: (ما شئتما، ولكن لا حق فيها لغني، ولا لقوي مكتسب)^(١).

ومن أسلحة المنافقين السخرية والاستهزاء، وتوهين العزائم، والطعن بالمتصدقين، فقد حثَّ رسول الله ﷺ على الصدقة، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال: يا رسول الله مالي ثمانية آلاف جئتكم بنصفها فاجعلها في سبيل الله، وأمسكت نصفها لعيالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت)، فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى أنه خلف امرأتين يوم مات، فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم، وتصدق يومئذ عاصم بن عدي ابن العجلان^(٢) بمائة وسق من تمر، وجاء أبو عقيل الأنصاري^(٣) بصاع من تمر وقال: يا رسول الله بتَّ ليلتي أجرَّ بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر، فأمسكت أحدهما لأهلي وأتيتك بالآخر، فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره في الصدقات، فلمزهم المنافقون وقالوا: ما أعطى عبد الرحمن

(١) أحمد، مسند الإمام أحمد ٤٨٦/٢٩؛ أبي داود، سنن أبي داود ١١٨/٢.

(٢) عاصم بن عديّ سيد بني العجلان، شهد بدرًا وأحدا والخندق، والمشاهد كلها، توفي سنة ٤٥ هـ وقد بلغ قريبا من عشرين ومائة سنة. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٥٧٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة ١١٠/٣-١١١؛ ابن حجر، الإصابة ٤٨٥/٥-٤٨٧.

(٣) أبو عقيل من فقراء المسلمين من الأنصار واسمه حثاحث أحد بني أنيف الإراشي، حليف بني عمرو ابن عوف وهو الذي لمزه المنافقون لما جاء بصاع من تمر صدقة. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب ٨٣٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٢١٥/٦؛ ابن حجر، الإصابة ٤٥٤/١٢-٤٥٥.

وعاصم إلا رياء، وإن كان الله ورسوله غنيين عن صاع أبي عقييل، ولكنه أحب أن يذكر نفسه فسخرُوا وضحكوا منهم فنزل^(١) قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

المبحث الثاني

عداء المنافقين للمسلمين ودورهم في نصره أعدائهم

ودورهم في غزوة بني المصطلق سنة (٥هـ)

لقد عانى رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم من مشركي قريش في مكة وعند هجرته الى المدينة ﷺ ناصبه العداء عبد الله ابن ابي بن سلول واصحابه المنافقون منذ الأيام الأولى للهجرة فقد روى أسامة بن زيد رضي الله عنهما (أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فذكية^(٣))، وأردف أسامة ابن زيد وراءه يعود سعد بن عباد في بني الحارث ابن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وذلك قبل أن يسلم^(٤) عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي

(١) الواحدي ، أسباب النزول ٢٥٥؛ ابن حجر ، فتح الباري ٨ / ٣٣٢ .

(٢) سورة التوبة الآية ٧٩ .

(٣) فذكية أي من صنع فذك وهي بلدة مشهورة على مرحلتين من المدينة (عجاجة) غبار . (خمر)

غطى . ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم ١٥٧/١٢ .

(٤) صحيح البخاري ٦ / ٣٩؛ صحيح مسلم ٣/١٤٢٢-١٤٢٣ .

المجلس عبد الله بن رواحة^(١) فلما غشيت المجلس عجاجة^(٢) الدابة، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم، ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقا فلا تؤذنا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا، فإننا نحب ذلك، فاستتب المسلمون والمشركون واليهود، حتى كادوا يتشاورون^(٣)، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عباد، فقال له النبي ﷺ: " يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب؟ - يريد عبد الله بن أبي - قال: كذا وكذا "، قال سعد بن عباد: يا رسول الله، اعف عنه واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب

-
- (١) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك الأنصاري الخزرجي، الشاعر المشهور يكنى أبا محمد، وهو أحد النقباء الاثني عشر من الأنصار. وشهد بدرًا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر واستشهد بمؤتة ٨هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ٣/٤٦٠؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ٤/٧٢.
- (٢) العجاجة هي إثارة الغبار. ينظر: ابن منظور، لسان العرب ٢/٣١٩.
- (٣) يتشاورون أي يتناهضون لِقَتَالٍ. القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ط ١ المكتبة العتيقة - تونس، ودار التراث - القاهرة، ١/١٣٥.

لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة^(١) على أن يتوجه فيعصبوه بالعصابة^(٢)، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك^(٣) فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ^(٤).

فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا (٢هـ)، وقتل الله به صناديد كفار قريش، وكان المنافقون مع المسلمين حتى في الجهاد لكن سنتهم تنطق كلاما تكشف عن قلوب خلت من الايمان فقد اتهم المنافقون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر ، فأكثرُوا في ذلك، فأُنزل^(٥) الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلُّ وَمَنْ يَغُلُّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا

-
- (١) البحيرة: مدينة الرسول ﷺ، وهو تصغير البحرة والعرب تسمي المدن والقرى البحار. ينظر: ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ١٠٠ .
- (٢) يعصبوه أي يسودوه ويملكوه، وكانوا يسمون السيد المطاع: معصبا؛ لأنه يعصب بالتاج والعمائم تيجان العرب.. ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ١ / ٦٠٦ .
- (٣) شرق بذلك أي غص به. ينظر: ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٤٦٥ .
- (٤) البخاري، صحيح البخاري ٦ / ٣٩؛ الواحدي، أسباب النزول، ٢٦٦-٢٦٧ .
- (٥) ينظر: الزمخشري، الكشاف ١ / ٦٥١؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢ / ١٥١؛ العيني، عمدة القاري ٧ / ١٥ .

كَسَبَتْ وَهَمَّ لَا يَظْلَمُونَ^(١) فقال تعالى: {وَمَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَغُلُّ} أي: يخون، وهذه تيرئة له، صلوات الله وسلامه عليه، عن جميع وجوه الخيانة في أداء الأمانة وقسم الغنيمة وغير ذلك ثم قال تعالى: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء، فينادي: يا محمد، يا محمد، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلغتك. ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل جملا له رغاء، فيقول: يا محمد، يا محمد. فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلغتك. ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرسا له حممة، ينادي: يا محمد، يا محمد. فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلغتك. ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل قشعا^(٢) من آدم، ينادي: يا محمد، يا محمد. فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلغتك^(٣) .

(١) سورة آل عمران الآية ١٦١ .

(٢) القشع الجلود اليابسة . ينظر: ابن الجوزي، غريب الحديث ٢/٢٤٦؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٤/٦٥؛ الزبيدي، تاج العروس ١٢/٢٢ .

(٣) ينظر: البزار، البحر الزخار ١/٣١٤؛ الطبري، جامع البيان ٦/٢٠٣ .

ولما استعمل رسول الله ﷺ رجلا من الأزد يقال له: ابن اللتبية^(١) على الصدقة، فجاء فقال: هذا لكم وهذا أهدي لي. فقام رسول الله ﷺ على المنبر فقال: (ما بال عامل نبعثه فيجيء فيقول: هذا لكم وهذا أهدي لي. أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده لا يأتي أحد منكم منها بشيء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته إن كان بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر) ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة^(٢) إبطيه ثم قال: (اللهم هل بلغت)؟ ثلاثا^(٣).

وقال معاذ بن جبل^(٤) رضي الله عنه: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فلما سرت أرسل في أثري فرددت، فقال: (أتدري لم بعثت إليك؟ لا

(١) ابن اللتبية قيل: اسمه عبد الله، واللتبية بضم اللام، وإسكان التاء المثناة من فوق، وبعدها باء موحدة، منسوب إلى بنى لتب بطن من الأزد استعمله رسول الله ﷺ على الصدقة. ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة ٦/٣٠٦٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٦/٣٣٩؛ النووي، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٣٠١.

(٢) العفرة البياض والتغير: التبييض. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٣/٢٦١؛ ابن منظور، لسان العرب ٤/٣٠٠٩.

(٣) البخاري، صحيح البخاري ٩/٢٨؛ مسلم، صحيح مسلم ٣/١٤٦٣.

(٤) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، الخزرجي، أبو عبد الرحمن، من أعيان الصحابة، شهد بدرًا وما بعدها، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، توفي عام ١٨ هـ. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب ٦٥٠-٦٥٣؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٥/١٨٧-١٩٠؛ ابن حجر، الإصابة ١٠/٢٠٢-٢٠٦.

تصيين شيئاً بغير إذني فإنه غلول، {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} لهذا دعوتك، فامض لعملك (١).

ولما انصرف قوم عبدالله بن أبي بن سلول عنه إلى الإسلام امتلاً قلبه حقداً وعداوة وبغضاً، ورأى قومه أبوا إلا الإسلام، قال ابن أبي ابن سلول ومن معه من المشركين وعبداء الأوثان: هذا أمر قد توجه (٢)، فبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام فأسلموا، ودخل فيه كارهاً، مصراً على النفاق والحق والعداوة (٣).

وإن مما يميز سلوك المؤمن أن له حالة واحدة ووجه واحد مع كل الناس، فلا يتلون بتغير الأحوال والأشخاص، فقد وصف النبي ﷺ ذا الوجهين بأنه من شر خلق الله يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: (تجدون من شر الناس عند الله تعالى يوم القيامة ذا الوجهين: الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه) (٤).

(١) الترمذي، سنن الترمذي ٣/ ٦١٣؛ الطبراني، المعجم الكبير ٢٠/ ١٢٨.

(٢) توجه: أي قد استمر فلا طمع في إزالته وتغييره. ينظر: الحميدي بن أبي نصر؛ أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت ٤٨٨ هـ)، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، ط ١، مكتبة السنة - القاهرة ١٤١٥ - ١٩٩٥، ٣٨٣.

(٣) البخاري، صحيح البخاري ٦/ ٣٩؛ ابن المنذر، كتاب تفسير القرآن ٢/ ٥٢١-٥٢٣.

الطبراني، المعجم الكبير ١/ ١٦٣.

(٤) البخاري، صحيح البخاري ٤/ ١٧٨؛ مسلم، صحيح مسلم ٤/ ١٩٥٨؛ الترمذي، سنن الترمذي ٤/ ٣٧٤.

وكان عبدالله بن ابي يحب اليهود، ويواليهم ولم يأل جهدًا في الصدّ عن الإسلام، وتفريق جماعة المسلمين، والذب عن اليهود ومساعدتهم، وقد ظهرت مواقفه الخبيثة في معاداته لدعوة الإسلام، ولكن عن طريق التستر والنفاق، وكان النبي ﷺ يقابل عداوته بالعفو والصفح والحلم؛ ولأن عبدالله بن ابي كان يُظهر الإسلام، وله أعوانًا من المنافقين، فكان ﷺ يحسن إليه بالمقال والفعال، ويقابل إساءته بالعفو والإحسان في عدة مواقف، منها شفاعته لليهود بنو قينقاع عندما نقضوا العهد بعد بدر بكشف عورة امرأة من المسلمين في السوق، وبقتل رجل نصرها من المسلمين^(١)، فسار إليهم رسول الله ﷺ يوم السبت للنصف من شوال، على رأس عشرين شهرًا من الهجرة، وحاصرهم خمسة عشر يومًا، وتحصّنوا في حصونهم، فحاصرهم أشد الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بهم فُكِّتُوا، وكانوا سبعمئة مقاتل، فقام إلى النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، فأعرض عنه، فأدخل يديه في جيب درع النبي ﷺ، وقال: والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربع مائة حاسر، وثلاثمئة دارع^(٢)، قد منعوني

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ٣/ ٥١؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٥/ ٣١٩-٣٢٠؛ المقرئزي، امتاع الأسماع ٣٤٧/٨.

(٢) الحاسر: هو الذي لا درع له، والدارع: هو لابس الدرع. ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ). أدب الكاتب، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت (د.ت)، ١٨٣-١٨٤؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ٥/ ٢٥.

من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فوهبهم النبي ﷺ له^(١)، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرعات من أرض الشام، وقبض منهم أموالهم، وخمس غنائمهم صلوات الله وسلامه عليه^(٢).

وان المنافقين لم يستطعوا اخفاء مرض القلب الذي ينشأ عنه كل إثم وفسوق وعصيان، وفيهم قوم برزوا في الإرجاف وإذاعة السوء، وإذاعة الأكاذيب التي تفت في عضد الجماعة، وتقتل فيهم روح الإقدام، وكانوا ينتهزون فرص الحرب والقتال فيذيعون كل ضار ومفسد، وهذه آية نزلت في المنافقين كاشفة حالهم، هاتكة سترهم، مهددة لهم قال الله تعالى: **لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**^(٣).

وكان النبي ﷺ يعلم من المنافقين من عرفه الله بهم وكانوا يحلفون له وهم كاذبون وكان يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى^(٤)، وقد خذل المنافقون المسلمين في أخرج المواقف، بتأثيرهم على الضعفاء، وسحبهم ثلث جيش المسلمين، الذي خرج للتصدي للمشركين

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ٥٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٢ / ٤٨٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٢ / ٤٨١؛ ابن الجوزي، المنتظم ٣ / ١٣٧.

(٣) سورة الاحزاب الآية ٦٠ .

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٧ / ٣٧٧.

كما يروي الحدث زيد بن ثابت^(١) رضي الله عنه قال: (لما خرج النبي ﷺ إلى غزوة أحد (٣هـ)، رجع ناس ممن خرج معه، وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين: فرقة تقول: نقاتلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم، فنزل^(٢) قوله تعالى: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فَتْتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا} ^(٣) فرجع عبد الله بن أبي وأصحابه وزعمهم بأن القتال لن يقع !!! واحتجوا لأنفسهم بأوهى الأسباب { وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا } ^(٤)، وجند المشركين قد جاؤوا من بلاد بعيدة يتحرقون على المسلمين بسبب ما أصيب من أشرفهم يوم بدر، وهم أضعاف المسلمين وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بوصول قريش ونزولها في أطراف المدينة قال للمسلمين: (إني قد رأيت والله خيرا، رأيت بقرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها بالمدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة، وتدعوهم

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك بن لوذان الأنصاري النجاري، أبو سعيد وأبو خارجة، صحابي مشهور، كان يكتب الوحي، وكان من الراسخين في العلم، توفي سنة ٤٥ هـ. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب ٢٤٥-٢٤٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٢/٣٤٦-٣٤٨؛ ابن حجر، الإصابة ٧٣/٤-٧٧.

(٢) الواحدي، أسباب النزول ١٦٧-١٦٨؛ الصحيح المسند من أسباب النزول ٧٢-٧٣.

(٣) سورة النساء آية ٨٨.

(٤) أركسهم: أي ردهم إلى كفرهم. ينظر: الجوهري، الصحاح ٣/٩٣٦؛ ابن منظور، لسان العرب ٣/١٧١٧-١٧١٨؛ الزبيدي، تاج العروس ١٦/١٣٦.

حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها^(١)، وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ يرى رأيه في ذلك، وألا يخرج إليهم، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج، فقال رجال من المسلمين، ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره، ممن كان فاته بدر يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جينا عنهم وضعفنا، فقال عبد الله بن أبي بن سلول: "يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدونا قط، إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا" فلم يزل الناس برسول الله ﷺ حتى خرج في ألف من أصحابه، حتى إذا كانوا بالشوط^(٢) بين المدينة وأحد، انخذل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الناس وقال: "أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس"، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام^(٣) قال: "يا قوم أنكركم الله ألا تدخلوا قومكم ونبكم

(١) الامام احمد ، مسند أحمد ٢٣ / ٩٩ ؛ الدارمي ، سنن الدارمي ٢ / ١٣٧٨ ؛ البيهقي، دلائل النبوة ٣ / ٢٢٤.

(٢) الشوط الجري مرة إلى الغاية وهو في الأصل مسافة من الأرض يعدوها الفرس كالميدان ونحوه. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٢ / ٥٠٩؛ ابن منظور، لسان العرب ٤ / ٢٣٦٠؛ الزبيدي، تاج العروس ١٩ / ٤٢٧.

(٣) عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي ، والد جابر ابن عبد الله الصحابي المشهور، معدود في أهل العقبة وبدر، وكان من النقباء، واستشهد بأحد، وروى الترمذي من حديث جابر: لقيني النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا جابر، ما لي أراك منكسرا) ؟ فقلت: يا رسول الله، قتل أبي، وتركت ديناً، وعيالا. فقال: (ألا أخبرك ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحاً)، قال: (يا عبدي، سلني أعطك ...) الحديث ، وأن عمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام، كانا قد حفر السيل عن قبرهما، وكانا في

عند من حضر عن عدوهم" فقالوا: "لو نعلم أنكم تقتاتلون لما أسلمناكم، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال"، قال: "فلما استعصوا عليه، وأبوا إلا الانصراف عنهم"، قال: "أبعدكم الله، أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه"^(١)، ولكنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، وإنما الذي صدهم عن الانضمام إلى كتائب المسلمين هو كفرهم ونفاقهم^(٢)، وقد بينه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا

قبر واحد مما يلي السيل، فحفر عنهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما وضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك، فأميطت يده عن جرحه، ثم أرسلت فرجعت كما كانت، وكان بين الوقتين ستّ وأربعون سنة. وقال جابر: حوّلت أبي، فما أنكرت منه شيئاً إلا شعرات من لحيته كانت مسّتها الأرض. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة ٣/٣٤٣-٣٤٤. الذهبي، سير أعلام النبلاء ١/٣٢٤؛ ابن حجر، الإصابة ٦/٣٠٤-٣٠٥.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ٣/٦٨؛ السهيلي، روض الأنف ٥/٤٢٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٥/٣٤٩-٣٥٠.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ٣/٦٨؛ الطبري، جامع البيان ٦/٣٢٣؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/١٦٠.

لَوْ نَعَلِمُ قِتَالًا لَا تُبْعِنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} (١) .

وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ الْقَوْلَ وَلَا يَعْتَقِدُونَ صِحَّتَهُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: {يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ {لَوْ نَعَلِمُ قِتَالًا لَا تُبْعِنَاكُمْ} مَعَ اعْتِقَادِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّ الْقِتَالَ كَائِنًا لَا مَحَالَةَ، فَلَمْ يَعَاقِبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى هَذَا الْجَرَمِ الْعَظِيمِ، وَتَخَذِيلِ الْمُسْلِمِينَ.

وَعِنْدَمَا نَقَضَ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ الْعَهْدَ بِهِمْ بِقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ (٢) يَأْمُرُهُمُ بِالْخُرُوجِ مِنْ جَوَارِهِ وَبِلَدِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ أَهْلَ النِّفَاقِ - وَعَلَى رَأْسِهِمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي - أَنْ اثْبَتُوا وَتَمْنَعُوا فَإِنَّا لَنْ نَسْلَمَكُمْ، إِنْ قُوتَلْتُمْ قَاتِلْنَا مَعَكُمْ، وَإِنْ أُخْرِجْتُمْ خَرَجْنَا مَعَكُمْ،

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٧ .

(٢) محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي الأوسيّ الأنصاريّ ، أبو عبد الرحمن المدني، حليف بني عبد الأشهل، ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة وهو ممن سمي في الجاهلية محمداً ، أنه شهد بدرًا وصحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو وأولاده : جعفر، وعبد الله، وسعد، وعبد الرحمن، وعمر، وأن محمد بن مسلمة قال: أعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيفاً فقال: (قاتل به المشركين ما قاتلوا، فإذا رأيت أمّتي يضرب بعضهم بعضاً فانت به أحداً فاضرب به حتى ينكسر، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية) ففعل، مات بالمدينة في صفر سنة ست وأربعين، وهو ابن سبع وسبعين سنة. ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة ١/١٥٦-١٦١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ٦٤٣؛ ابن الأثير، أسد الغابة ١٠٦/٥-١٠٨.

فقويت عزيمة اليهود، وناذبوا رسول الله ﷺ بنقض العهد، فخرج إليهم حتى نزل بهم وحاصرهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وأجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم وخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام^(١).

غزوة بني المصطلق ودور المنافقين فيها:

ينظر المنافقون إلى المكاسب الآنية والتي لانصب فيها ولاهلاك فخرج في غزوة بني المصطلق عدد كبير من المنافقين مع المسلمين، وكان يغلب عليهم التخلف في الغزوات السابقة، لكنهم لما رأوا اطراد النصر للمسلمين خرجوا طمعاً في الغنيمة^(٢) ولإثارة العصبية وتمزيق وحدة المسلمين، فتمثل بهم قوله تعالى: { لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ }^(٣).

فقد وجدوا متنفساً للشر فأثاروا الإرتباك الشديد في صفوف المسلمين كما روى زيد بن أرقم قال: غزونا مع النبي - ﷺ - وكان معنا ناس من الأعراب وكنا نبتدر الماء، وكان الأعراب يسبقونا، فيسبق الأعرابي أصحابه فيملأ الحوض ويجعل حوله الحجارة ويجعل

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣/٢٠٠-٢٠٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٥/٥٣٥-٥٣٧؛ العيني، عمدة القارئ ٤٣/١٢.

(٢) العمري، السيرة النبوية الصحيحة ٤٠٨/٢.

(٣) سورة التوبة آية ٤٧ .

النتع^(١) عليه حتى يجيء أصحابه، وكان رسول الله ﷺ بعد الفراغ من الغزو مقيماً على المريسي، ووردت واردة الناس، ومع عمر ابن الخطاب أجير يقال له جهجاه الغفاري^(٢)، فزدهم هو وسان بن وبر الجهني^(٣) على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين. فقال رسول الله ﷺ: (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنها منتنة)^(٤)، وبلغ ذلك عبد الله بن

-
- (١) النتع: هو الأديم أو حصير منسوج خيوطه سيور. ينظر: ابن منظور، لسان العرب ٦/٤٤٦٠-٤٤٦١؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط ٧٦٧؛ الزبيدي، تاج العروس ٢٢/٢٦٢
- (٢) جهجاه بن سعيد الغفاري. شهد بيعة الرضوان بالحديبية، أنه قدم في نفر من قومه يريدون الإسلام، فحضروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب، فلما أسلم قال: ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه، فنكر الحديث في شربه قبل أن يسلم حلاب سبع شياه فلما أسلم لم يستتم حلب شاة، وعاش جهجاه إلى خلافة عثمان، فروى عن ابن عمر، قال: قدم جهجاه الغفاري إلى عثمان وهو على المنبر، فأخذ عصاه فكسرها. فما حال على جهجاه الحول حتى أرسل الله في يده الأكلة فمات منها. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٢٩-١٣٠؛ ابن الأثر، أسد الغابة ١/٥٧٤-٥٧٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات ١١/١٥٩-١٦٠.
- (٣) سنان بن وبر، وقيل سنان بن تيم الجهني، حليف بني الحارث بن الخزرج، يقول: كُنَّا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة بني المصطلق، وكان شعارنا يا منصور أمت، وهو الذي نازع جهجاه الغفاري على الماء فاقتتلا. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٥/٢٦٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣٠٢؛ ابن الأثر، أسد الغابة ٢/٥٥٩-٥٦٠..
- (٤) البخاري، صحيح البخاري ٦/١٥٤؛ مسلم، صحيح مسلم ٤/١٩٩٨؛ الترمذي، سنن الترمذي ٥/٤١٧.

أبي بن سلول وعنده رهط من قومه، فيهم زيد بن أرقم غلام حدث قال: أو قد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما نحن وهم إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك^(١)، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من حضره فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم، فأخبر زيد بن أرقم عمه بالخبر، فأخبر عمه رسول الله ﷺ وعنده عمر، فقال عمر: مر عباد بن بشر^(٢)

(١) سمن كلبك يأكلك: مثل عربي قديم يضرب لسوء الجزاء؛ قيل إن أول من قال ذلك حازم ابن المنذر الحماني، وقيل إن لرجل من طسم كلب يربيه رجاء الصيد به فضرى فجاع يوما فوثب عليه حتى افترسه. ينظر: الضبي؛ المفضل بن محمد (ت نحو ١٦٨هـ)، أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ١٩٨٣م، ١٦٠-١٦١؛ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد عبد السلام ومحمد سعيد بن بسيوني زغلول، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٨م، ١/٤٢٨-٤٢٩؛ الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ت)، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥م، ٣٩٣-٣٩٤ .

(٢) عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل نكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدرًا، قال: واستشهد باليمامة وهو ابن خمس وأربعين سنة، وكان ممن قتل كعب بن الأشرف، وقالت عائشة رضي الله عنها: ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلًا كلهم من بني عبد الأشهل: أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وعباد بن بشر، وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع صوت عباد بن بشر، فقال: (اللهم ارحم عبادا...) الحديث، وله نكر في الصحيح من حديث أنس أن عباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة، فأضاءت عصا أحدهما، فلما افترقا أضاءت عصا كل واحد منهما. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة ٣/١٤٩-١٥٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ١/٣٣٧-٣٤٠؛ ابن حجر، الإصابة ٥/٥٤٧-٥٤٩.

فليقتله. فقال: (فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه؟ لا، ولكن أذن بالرحيل)، وذلك في ساعة لم يكن يرتحل فيها، فارتحل الناس، فلقيه أسيد بن حضير^(١) فحياه، وقال: لقد رحت في ساعة منكرة؟ فقال له: (أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟) يريد ابن أبي، فقال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال: فأنت يا رسول الله، تخرجه منها إن شئت، هو والله لذليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله، ارفق به، فو الله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه يرى أنك استلبته ملكا، ثم مشى بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض، فوقعوا نياما. فعل ذلك؛

(١) أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك الأنصاري الأشهلي. يكنى أبا يحيى، وأبا عتيك. وكان أبوه حضير فارس الأوس ورئيسهم يوم بعاث، وكان أسيد من السابقين إلى الإسلام، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، وكان إسلامه على يد مصعب بن عمير قبل سعد بن معاذ، واختلف في شهوده بدرا، قال ابن سعد: كان شريفا كاملا وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن حارثة، وكان ممن ثبت يوم أحد، وجرح حينئذ سبع جراحات كان أبو بكر لا يقدر أحدا من الأنصار على أسيد بن حضير. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة ١/٢٤٠-٢٤٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ١/٣٤٠-٣٤٣؛ ابن حجر، الإصابة ١/١٧١-١٧٣.

ليشغل الناس عن الحديث، أما ابن أبي فلما علم أن زيد بن أرقم بلغ الخبر جاء إلى رسول الله ﷺ، وحلف بالله ما قلت ما قال، وقال من حضر من الأنصار: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل، فصدقه، قال زيد: فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في بيتي، فأُنزل^(١) الله تعالى: { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمِعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْتَدَدٌ يُجْسَبُونَ كُلٌّ صَيْحَةٌ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْتَ يَوْمَئِذٍ مُّؤْتِكُونٌ (٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسِهِمْ وَرَأَيْتَهُمْ يُصَدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥) سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تَنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَنْ نَرْجِعَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ

(١) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية ٣/٣٠٢-٣٠٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٢/٦٠٤-

٦٠٩؛ الواحدي، أسباب النزول، ٦٧١-٦٧٧؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٨/١٢٨-

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ^(١) فأرسل إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليّ، ثم قال: إن الله قد صدقك، وكان عبد الله بن عبد الله بن أبي رجلا صالحا من الصحابة الأخيار، فتبرأ من أبيه، ووقف له على باب المدينة، واستل سيفه، فلما جاء ابن أبي قال له: والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، فإنه العزيز وأنت الذليل، فلما جاء النبي ﷺ أذن له، فخلى سبيله. ^(٢)

وأراح الله تعالى المسلمين من أحد عتاة المنافقين فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب المدينة وهو قافل من غزوة بني المصطلق هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت هذه الريح لموت منافق فلما قدم المدينة فإذا منافق عظيم من المنافقين قد مات ^(٣)، وهذا المنافق هو رفاعة بن زيد بن التابوت ^(٤).

(١) سورة المنافقين الآيات ١ - ٨ .

(٢) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية ٣/٣٠٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٢/٦٠٨؛ الواحدي، أسباب النزول، ٦٧٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٢/٨٢.

(٣) مسلم، صحيح مسلم ٤/٢١٤٥؛ البيهقي، دلائل النبوة ٤/٦١؛ المقرئ، امتاع الأسماع ٣١٧/١٣.

(٤) رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع وكان عظيماً من عظماء يهود وكهفياً للمنافقين مات سنة ٦ هـ. ينظر: ابن بشكوال، الغوامض والمبهمات ١/٢٢٧؛ البغوي، معالم التنزيل ١/٢٦٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٦/١٨٦-١٨٧.

المبحث الثالث

اختلاق المنافقين لحادثة الافك والتبرئة القرآنية الخالدة

اختلق عبد الله بن ابي بن سلول رأس النفاق حادثة الافك وروج لها ليعبر عما في صدره من كبر وحسد للرسول صلى الله عليه وسلم فقد روي البخاري ومسلم في صحيحيهما^(١) الحادثة عن ام المؤمنين عائشة زوج النبي ﷺ قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين نساءه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه"، قالت عائشة: "فأقرع بيننا في غزوة غزاهما^(٢) فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ وذلك بعدما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي^(٣)، وأنزل فيه مسيرنا، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل، ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقامت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحيل فلمست

-
- (١) البخاري، صحيح البخاري ١١٦/٥-١٢٠؛ مسلم، صحيح مسلم ٤/٢١٢٩-٢١٣٠ .
(٢) هي غزوة بني المصطلق، وتعرف بغزوة المريسيع. ينظر: ابن هشام ، السيرة النبوية ٣/٣١٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٢/٦١١؛ البيهقي، دلائل النبوة ٤/٦٣-٦٤ .
(٣) الهودج: مركب النساء محمل له قبة تستر بالثياب ونحوه، يوضع على ظهر البعير يركب فيه النساء ليكون أستر لهن. ينظر: الجوهري، الصحاح ١/٣٥٠؛ ابن منظور، لسان العرب ٦/٤٦٣٠-٤٦٣١؛ الزبيدي، تاج العروس ٦/٢٧٤ .

صدري فإذا عقدي من جزع ظفار^(١) قد انقطع فرجعت فالتست عقدي
فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط^(٢) الذين كانوا يرحلون لي فحملوا هودجي فرحطوه
على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أنني فيه، قالت وكانت النساء إذ
ذاك خفاف لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة^(٣) من الطعام، فلم
يستتكر القوم ثقل الهودج حين رحطوه ورفعوه^(٤)، وكنت جارية حديثة السن،
فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجنّت منازلهم
وليس بها داع ولا مجيب، فتمت منزلي الذي

-
- (١) الجزع: هو الخرز اليماني. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٢٦٩/١؛
الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٧٠٩؛ الزبيدي، تاج العروس ٤٣٤/٢٠.
- (٢) الرهط من الرجال ما دون العشرة من الرجال، ولا تكون فيهم امرأة، ومنهم كان أبو موهوبة
مولى رسول الله ﷺ وكان يقود بعير عائشة رضي الله عنها. ينظر: الجوهري، الصحاح
١١٢٨/٣؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٢/٢٨٣؛ ابن حجر، فتح الباري ٤٥٩/٨.
- (٣) لم يهبلن: أي لم يكثر عليهن اللحم، يقال هبله اللحم إذا كثر وركب بعضه بعضا. ولم
يغشهن اللحم: أي لم يكثر. العلقة: أي البلغة منه وهو القليل من الأكل. ينظر: السرقسطي؛
أبو محمد القاسم بن ثابت (ت ٣٠٢هـ)، الدلائل في غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد الله القناص،
ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠١م، ١١١١/٣؛ العيني، عمدة القاري ٢٠٧/١٧؛
القسطلاني: إرشاد الساري ٣٣٩/٦.
- (٤) كأنها لخفة جسمها بحيث إن الذين يحملون هودجها لا فرق عندهم بين وجودها فيه وعدمه،
ولهذا أردفت ذلك بقولها: وكنت جارية حديثة السن، أي أنها مع نحافتها صغيرة السن فذلك
أبلغ في خفتها. ابن حجر، فتح الباري ٤٦٠/٨.

كنت فيه ، وظننت أنّ القوم سيفقدوني ، فيرجعون إليّ فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنامت ، وكان صفوان بن المعطل (١) قد عرس (٢) من وراء الجيش فادلج (٣) فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني، فعرفني حين رأني، وقد كان يراني قبل أن

(١) صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعي بن محارب بن مرة بن فالج ابن نكوان بن ثعلبة بن سليم السلمي، ثم الذكواني، يكنى أبا عمرو، أسلم قبل المريسيع وشهد المريسيع وشهد مع رسول الله ﷺ الخندق والمشاهد كلها وكان على ساقاة جيش رسول الله ﷺ، وكان خيرا فاضلا شجاعا بطلا، وقال صفوان: والله ما كشفت كنف أنثى قطّ، وأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " ما علمت منه إلا خيرا"، قتل في غزوة أرمينية شهيدا، سنة تسع عشرة في خلافة عمر رضي الله عنهم جميعا. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/ ٧٢٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٣/ ٣١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ط الرسالة ٢/ ٥٤٥-٥٤٦؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٣٥٦-٣٥٧.

(٢) عرس: التعريس هو نزول المسافر آخر الليل نزلة للنوم والاستراحة. ينظر: الجوهري، الصحاح ٣/ ٩٤٨؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٠٦؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٥٥٧.

(٣) فادلج: بالتشديد سار آخر الليل. ينظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٩-٣٠؛ الأنباري؛ أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط ٣، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٤م، ٧٤/٢.

يضرب الحجاب علي، فاستيقظت باسترجاعه^(١) حين عرفني، فخمرت^(٢) وجهي بجبابي، ووالله ما يكلمني^(٣) كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحته فوطئ على يدها فركبتها، فانطلق يقود بي الرحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين^(٤) في نحر الظهيرة^(٥)، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول^(٦).

-
- (١) استرجع: أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٢/٢٠٢؛ القسطلاني، إرشاد الساري ٦/٣٣٩.
- (٢) فخمرت وجهي: أي غطيته. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٢/٧٧؛ ابن حجر، فتح الباري ٨/٤٦٣.
- (٣) عبرت بصيغة المضارعة إشارة إلى أنه استمر منه ترك المخاطبة. ينظر: ابن حجر، فتح الباري ٨/٤٦٣.
- (٤) موغرين: والتغوير النزول في وقت القائلة. ينظر: الزمخشري، الفائق في غريب الحديث ٤/٧٣؛ ابن حجر، فتح الباري ٨/٤٦٣؛ الزبيدي، تاج العروس ١٤/٣٦٨.
- (٥) نحر الظهيرة: هو حين تبلغ الشمس منتهاها من الإرتفاع، كأنها وصلت إلى النحر، وهو أعلى الصدر. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٥/٢٧؛ ابن منظور، لسان العرب ٦/٤٣٦٤؛ الزبيدي، تاج العروس ١٤/١٨٥.
- (٦) لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن الذي بدأ بتكر الإفك وكان يجمع أهله ويحدثهم عبد الله بن أبي بن سلول به، ووجد الخبيث عدو الله ابن أبي متنفسا فتنفس من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه فجعل يستحكي الإفك، ويستوشيه، ويشيعه ويذيعه، ويجمعه ويفرقه، وكان أصحابه يتقربون به إليه. ينظر: الطبري، جامع البيان ١٧/١٩٦.

فقدمنا المدينة، فاشتكت حين قدمنا المدينة شهرا، والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك^(١)، وهو يرييني^(٢) في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه ، إنما يدخل رسول الله ﷺ، فيسلم ثم يقول: "كيف تيكم؟" فذاك يرييني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت^(٣) وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع^(٤) وهو متبرزنا، ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف^(٥)

(١) عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبي ولا ينكرون لي قليلا ولا كثيرا. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية ٣/٣١١؛ الطبري، تأريخ الرسل والملوك ٢/٦١٣.

(٢) كنت إذا اشتكت رحمني ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي، في شكواي تلك بضع وعشرين ليلة ، فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل علي وعندي أمني تمرضني، قال: (كيف تيكم" لا يزيد على ذلك). ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية ٣/٣١١؛ صحيح مسلم ٤/٢١٢٩؛ النووي، شرح صحيح مسلم ١٧/١٠٦.

(٣) نقه المريض: إذا برأ وأفاق وكان قريب العهد بالمرض، ولم يرجع إليه كمال صحته وقوته. ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة ٢/٣٠١؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٥/١١١؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ١٢٥٤.

(٤) المناصع: المواضع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة واحدها منصع كمقعد. ينظر: الزمخشري، الفائق في غريب الحديث ٣/٤٣٨؛ ابن الجوزي، غريب الحديث ٢/٤١٢؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٥/٦٥.

(٥) الكنف: جمع كنيف، المكان الساتر وأرادت به هنا المكان المعد لقضاء الحاجة، وكنا قوما عربا لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها، وإنما كنا نذهب في فسح المدينة. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية ٣/٣١٢؛ ابن منظور، لسان العرب ٥/٣٩٤١؛ ابن حجر، فتح الباري ٨/٤٦٥.

قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح^(١)، وابنها مسطح^(٢) بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وبنيت أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها^(٣) فقالت: "تعس^(٤) مسطح" فقلت لها:

-
- (١) أم مسطح سلمى بنت أبي رهم أنيس بن المطلب بن عبد مناف وأمها ريطة بنت صخر بن عامر بن سعد بن تيم خالة أبي بكر الصديق . ينظر ابن سعد ، الطبقات الكبير ١٠/٢١٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٧/٣٨٣؛ ابن حجر، الإصابة ١٤/٥١٩-٥٢٠.
- (٢) مسطح: لقب واسمه عوف يكنى أبا عباد وقيل: أبا عبد الله، (ت ٣٤هـ) في خلافة عثمان، ويقال: عاش إلى خلافة علي رضي الله عنه وشهد معه صفين ومات سنة ٣٧. ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة ٥/٢٦١٤-٢٦١٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ٧٠٨؛ ابن الأثير ؛ ابن حجر، الإصابة ١٠/١٣٩-١٤٠.
- (٣) المرط: أكسية من صوف أو خز، كان يؤتزر بها. ينظر: الجوهري، الصحاح ٣/١١٥٩؛ ابن منظور، لسان العرب ٦/٤١٨٣؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط ٦٨٧.
- (٤) تعس: يتعس إذا عثر وانكب لوجهه وهو دعاء عليه بالهلاك. ينظر: ابن الجوزي، غريب الحديث ١/١٠٨؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ١/١٩٠؛ الزبيدي، تاج العروس ١٥/٤٨١-٤٨٢.

"بئس ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا^(١) قالت: "أي هنتاه^(٢) أولم تسمعي ما قال؟" قلت: "وماذا قال؟" فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضا إلى مرضي، فلما رجعت على بيتي فدخل رسول الله ﷺ ثم قال: (كيف تيكم؟) قلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبوي فقلت لأمي: "يا أمتهاه ما يتحدث الناس"، فقالت: "يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها"، قلت: سبحان الله! وقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: "فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ^(٣) لي دمع ولا اکتحل بنوم

(١) منقبة عظيمة لمن شهد بدرا، ويزيد ذلك وضوحا قصة حاطب بن أبي بلتعة عندما كتب إلى أهل مكة يخبرهم أن رسول الله ﷺ يريد أن يغزوكم في عام فتح مكة، وكشف أمره واعتذر إلى رسول الله ﷺ مما صنع "وفيها قال عمر رضي الله عنه: "يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق"، فقال رسول الله ﷺ: (قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا، قال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم). (صحيح البخاري ٥٩/٤).

(٢) أي هنتاه: وتفتح النون وتسكن وتضم الهاء الآخرة وتسكن ومعناها: أي يا هذه، وقيل معناه: يا بلهه كأنها نسبت إلى قلة المعرفة، بمكايد الناس وشورهم. ينظر: ابن الجوزي، غريب الحديث ٥٠٢/٢؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٢٧٩/٥-٢٨٠؛ ابن منظور، لسان العرب ٤٧١٥/٦.

(٣) لا يرقأ: أي لا ينقطع ولا يسكن. ينظر: الجوهر، الصحاح ٥٣/١؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٢٤٨/٢؛ الزبيدي، تاج العروس ٢٤٩/١-٢٥٠.

ثم أصبحت أبكي". ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبت الوحي يستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم من نفسه لهم من الود فقال: "يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيرا"، وأما علي بن أبي طالب فقال: "لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك"، فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: "طأي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟" قالت له بريرة: "والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا أغمصه^(١) عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن^(٢)، فتأكله" قالت: فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: (يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل بلغ أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد نكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: "أنا أعذرك منه يا رسول

(١) أغمصه عليها: أي أعيبها به وأظعن به عليها . ينظر: الجوهرى، الصحاح ١٠٤٧/٣١؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٣٨٦/٣؛ الزبيدي، تاج العروس ٥٧/١٨-٥٨.
(٢) الداجن: هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم، وقد يقع على غير الشاة من كل ما يألف البيوت من الطير وغيرها. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ١٠٢/٢؛ ابن منظور، لسان العرب ١٣٣١/٢؛ الزبيدي، تاج العروس ٥٠٧/٣٤.

الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك". فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً، ولكن اجتهدته^(١) الحمية، فقال لسعد بن معاذ: "كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله"، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة: "كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين"، فثار الحيان الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتلوا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا، وسكت، قالت وبكيت يومي ذلك، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالح كبدي، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، استأذنت علي امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي، قالت: فبينما نحن على ذلك، دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ ما قيل لي ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء، فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم حين جلس، ثم قال: (أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه)، قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته، قلص دمعني حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ، فيما

(١) اجتهدته الحمية: أي حملته الأنفة والغضب على الجهل. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٣٢٢/١؛ ابن منظور، لسان العرب ٧١٤/١؛ العيني، عمدة القاري ٢٣٣/١٣.

قال، فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبني عني رسول الله ﷺ، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت، وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن، إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم، وصدقتم به، فإن قلت لكم: إني بريئة - والله يعلم أنني بريئة - لا تصدقوني - ولئن اعترفت لكم بأمر - الله يعلم أنني بريئة - لتصدقوني - وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف {فَصَبِرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} (١)، قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا والله حينئذ أعلم أنني بريئة، وأن الله مبرئني ببرائتي، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل فيه بأمر يتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها". قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد، حتى أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان (٢) من العرق في اليوم الشات من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فلما سري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: (أبشري يا عائشة، أما والله فقد برأك الله)، فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا

(١) سورة يوسف، الآية: ١٨

(٢) الجمان: هو اللؤلؤ الصغار وقيل حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ. ينظر: ابن الجوزي، غريب الحديث ١/١٧٥؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ١/٣٠١؛ ابن منظور، لسان العرب ١/٦٨٩.

أَقُومَ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ هُوَ الَّذِي بَرَأَنِي قَالَتْ: فَأَنْزَلَ (١) اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ
الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا
اَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ
يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَادَّعَى عَلَى الْعُقَلُوبِ وَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَافِرُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ
مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ
لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ
الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩)
وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠) .

نزلت في براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيما قذفت به وأن الله
سبح نفسه عند ذكره، فقال: { سبحانك هذا بهتان عظيم }، كما

(١) البخاري، صحيح البخاري ١٧٦/٣؛ مسلم، صحيح مسلم ٢١٣٦/٤؛ الطبري، جامع
البيان ٢٠٣/١٧؛ الواحدي، أسباب النزول ٣٢٢.
(٢) سورة النور الآيات ١١-٢٠ .

سبح نفسه عند ذكر ما وصفه به المشركون من الزوجة والولد^(١) وأجمع العلماء قاطبة على أن من سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كافر معاند للقرآن^(٢) وقد كفر لتصريح القرآن الكريم ببراءتها القطعية بنص القرآن العزيز، فلو تشكك فيها إنسان - والعياذ بالله - صار كافرا مرتدا بإجماع المسلمين^(٣) وقد برأ الله أربعة بأربعة: برأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا}^(٤)، وبرأ موسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه^(٥)، وبرأ مريم بإنطاق ولدها

-
- (١) السهيلي، الروض الأنف ٦/٤٤٩-٤٥٠؛ السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨١م)، ١٩٠.
- (٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٦/٣٢.
- (٣) النووي، شرح صحيح مسلم ٥/٦٤٣؛ العراقي؛ زين الدين ابو الفضل عبد الرحيم بن حسين (ت ٨٠٦هـ)، طرح التثريب في شرح التثريب، (د.ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٦٩/٨؛ العيني، عمدة القاري ١٣/٢٣٥.
- (٤) سورة يوسف، آية ٢٦.
- (٥) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى ﷺ يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسى في إثره، يقول: ثوبي يا حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى، فقالوا: والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضربا) فقال أبو هريرة: والله إنه لندب بالحجر، ستة أو سبعة، ضربا بالحجر. (البخاري، صحيح البخاري ١/٦٤؛ مسلم، صحيح مسلم ١/٢٦٧).

حين نادى من حجرها { فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْتِدِ صَبِيًّا (٢٩) } قَالَ إِنْ عِبَدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا {^(١) } وَبِرًّا الصَّدِيقَةَ بِنْتَ الصَّدِيقِ حَبِيبَةَ حَبِيبِ اللَّهِ، الْمَبْرَأَةَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْعِظَامِ، فِي كِتَابِهِ الْمَعْجِزِ، الْمَتْلُو عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ^(٢). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: { إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ }^(٣) أَي تَقُولُونَ مَا لَا تَعْلَمُونَ فِي شَأْنِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَتَحْسَبُونَ ذَلِكَ يَسِيرًا سَهْلًا وَلَوْ لَمْ تَكُنْ زَوْجَةَ النَّبِيِّ ﷺ لَمَا كَانَ هِينًا، فَكَيْفَ وَهِيَ زَوْجَةُ النَّبِيِّ الْأُمِّي خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ؟ فَعَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يُقَالَ فِي زَوْجَةِ رَسُولِهِ مَا قِيلَ! فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَغَارُ لِهَذَا، وَهُوَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَقْدِرُ عَلَى زَوْجَةِ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ذَلِكَ حَاشَا وَكَلَّا^(٤)، وَلَمَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ، فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا فِي سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَزَوْجَةِ سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي الدُّنْيَا

(١) سورة مريم آية ٢٩-٣٠.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٤/٢٨١؛ الدياربيكري، تأريخ الخميس ١/٤٧٨.

(٣) سورة النور الآية ١٥.

(٤) عن سليمان بن قتة، قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنه، يسأل وهو إلى جنب الكعبة عن قول الله، تعالى: {فَخَانَتَاهُمَا} [التحریم: ١٠] قال: "أما إنه لم يكن بالزنا، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون، وكانت هذه تدل على الأضياف. ثم قرأ: {إنه عمل غير صالح} [هود: ٤٦] " الطبري، جامع البيان ١٢/٤٣٠.

والآخرة؟^(١) ولهذا قال تعالى: وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وفي الصحيحين (إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار، أبعد ما بين المشرق والمغرب)^(٢) .

فلما خاض مسطح فيمن خاض في حادثة الإفك، حلف أبو بكر رضي الله عنه ألا يحسن إليه كما كان يحسن في السابق فعاتبه ربّه عز وجل وأنزل^(٣):
{ وَلَا يَأْتَلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }^(٤) .

قال أبو بكر: "بلى والله يا ربنا إننا لنحب أن تغفر لنا" وعاد له بما كان يصنع^(٥)، وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال: يا زينب ما علمت مما رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيرا، وهي التي كانت تساميني^(٦)،

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢٨/٦.

(٢) البخاري، صحيح البخاري ١٠٠/٨؛ مسلم، صحيح مسلم ٢٢٩٠/٤.

(٣) البخاري، صحيح البخاري ١٣٨/٨؛ مسلم، صحيح مسلم ٢١٣٦/٤.

(٤) سورة النور، الآية: ٢٢ .

(٥) أحمد، مسند الإمام أحمد ٣٧٢/٤٠؛ البخاري، صحيح البخاري ١٠٧/٦؛ الترمذي، سنن

الترمذي ٣٣٢/٥

(٦) تساميني أي تعاليني وتفاخرني، وهو مفاعلة من السمو: أي تناولني في الحظوة عنده.

ينظر: ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٠٥ / ٢ .

فَعَصَمَهَا اللهُ بِالْوَرَعِ»^(١)، وكانت امرأة عبد الله بن أبي منافقة معه، فنزل القرآن {الْخَبِيثَاتُ} يعني امرأة عبد الله بن أبي {لِلْخَبِيثِينَ} يعني عبد الله بن أبي {وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ} يعني عبد الله بن أبي لأمراته {وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ} يعني عائشة وأزواج النبي ﷺ {وَالطَّيِّبُونَ} يعني النبي ﷺ {لِلطَّيِّبَاتِ} يعني لعائشة وأزواج النبي ﷺ^(٢)، قال تعالى: {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} ^(٣).

ولما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل رأس النفاق ابن أبي بعد ما كاد يثير فتنة بين المهاجرين والأنصار قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وكيف يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)^{(٤)!!} ثم كان من المؤمن المؤمن الصادق عبد الله بن عبد الله بن أبي أن جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم يعرض عليه قتل أبيه فقال له: (لا بل نترقق به، ونحسن صحبته ما دام بيننا) وصار من أمر رأس النفاق أنه كلما أبدى لونا من ألوان النفاق لامه قومه وعنفوه، فقال: صلى الله عليه وسلم (كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي لأرعدت له انف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته)!! فقال

عمر رضي

(١) الصنعاني، المصنف ٤١٩/٥؛ البخاري، صحيح البخاري ٣/١٧٣؛ مسلم، صحيح مسلم ٢١٢٩/٤.

(٢) ينظر: ابن حجر، فتح الباري ٨/٤٥٧-٤٨٠.

(٣) سورة النور الآية ٢٦.

(٤) البخاري، صحيح البخاري ٦/١٥٤؛ مسلم، صحيح مسلم ٤/١٩٩٨.

الله عنه: قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري!!^(١)، والفرق كبير جدًا بين أن يتحدث الناس عن حُبِّ أصحاب محمدٍ محمدًا، ويؤكِّدون على ذلك بلسان قائدهم الأكبر أبي سفيان: ما رأيت أحدًا يحب أحدًا كحُبِّ أصحابِ محمدٍ محمدًا^(٢)، وقول عروة بن مسعود الثقفي إلى أهل قريش: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله ما رأيتُ ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - محمدًا^(٣)، وبين أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه .

إن قتل المنافقين واستئصالهم فيه مصلحة ظاهرة للمسلمين، وتطهير لصفهم من أن تنس إليه عناصر التخذيّل والإفساد؛ لكن لما كان في ذلك هز الثقة بالمسلمين وزرع لقالة السوء عنهم بحيث ينتشر في الناس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يعامل الذين يعتنقون دينه بالقتل فأصبح التغاضي عن قتلهم مصلحة أعلى وأولى من المصالح الأخرى التي تتأتى من استئصالهم، ومع بقاء المنافقين فيه من المفساد المحققة ما لا ينكره عاقل، إلا أن في القضاء عليهم مفسدة تفوق مفسدة بقائهم؛ لذا اقتضت حكمة المصطفى

-
- (١) ابن هشام، السيرة النبوية ٣/٣٠٥؛ الطبري، جامع البيان ٢٢/٦٦٩-٦٧٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٢/٨٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٦/١٨٧-١٨٨.
- (٢) ابن هشام، السيرة النبوية ٣/١٨١؛ الثعلبي، الكشف والبيان ٢/١٢٢؛ البغوي، معالم التنزيل ١/٢٣٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٢/٦٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٥/٥٠٦.
- (٣) البخاري، صحيح البخاري ٣/١٩٥؛ البيهقي، دلائل النبوة ٤/١٠٤.

- ﷺ - أن تدفع المفسدة العظمى بالمفسدة الصغرى^(١)، وإن المنافق في شك وتردد وحيرة كما وصفه رسول الله ﷺ (مثل المنافق كممثل الشاة العائرة)^(٢) بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة^(٣) .

ولما مرض عبد الله بن أبي كان رسول الله يعوده فيها، فلما كان اليوم الذي مات فيه دخل عليه رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه فقال: (قد نهيتك عن حبّ يهود)، فقال^(٤): قد أبغضهم أسعد بن زرارة فما نفعه^(٥)؟ ثم قال: يا رسول الله ليس هذا الحين عتاب هو الموت فاحضر غسلي، وأعطني قميصك الذي يلي جلدك فكفني فيه وصل علي واستغفر لي، ففعل ذلك به رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٦)، عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن

-
- (١) الصَّلَابِي؛ علي محمد محمد، أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ط١، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، ٣٨٠ .
- (٢) العائرة: أي المترددة بين قطيعين، لا تدري أيهما تتبع. ينظر: ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ / ٣٢٨ .
- (٣) أحمد، مسند الإمام أحمد ٩٩/٩؛ مسلم، صحيح مسلم ٤ / ٢١٤٦ .
- (٤) ينظر: ابن كثير ، السيرة النبوية ٤ / ٦٥ .
- (٥) أي: هل بغض أسعد بن زرارة نفعه في دفع الموت عنه؟! ولأنه منافق مريض القلب، فهذا هو القدر المحدود من الفقه والفهم عنده .
- وما أنت إلا كزرع عند خضرته لكل شيء من الآفات مقصود
فإن أنت سلمت من الآفات أجمعها فأنت عند تمام الزرع محصود.
- (المقدم؛ محمد أحمد إسماعيل، تفسير القرآن الكريم ٧/٤٣).
- (٦) ينظر: الواقدي، المغازي ٣/١٠٥٧؛ البيهقي، دلائل النبوة ٥/٢٨٥-٢٨٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٧/٢١٨؛ المقرئ، امتاع الاسماع ٢/٩٠ .

الخطاب رضي الله عنه يقول: لما مات عبد الله بن أبي بن سلول، دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه، فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أبي، وقد قال يوم كذا: كذا وكذا، قال: أعدد عليه قوله، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: (أخر عني يا عمر) فلما أكثرت عليه قال: (إني خيرت فاخترت، لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لذت عليها) قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ، ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيرا، حتى نزل قوله تعالى: { وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ } (١).

قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم (٢)، وكلم رسول الله ﷺ فيما فعل بعبد الله ابن أبي فقال: (وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله؟ والله إني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه) (٣).

(١) سورة التوبة الآية ٨٤.

(٢) البخاري، صحيح البخاري ٩٧/٢؛ الترمذي، سنن الترمذي ١٣٠/٥؛ الطبري، جامع البيان ٦١٢/١١.

(٣) الثعلبي، الكشف والبيان ٧٩/٢٥؛ الواحدي أسباب النزول ٤٢٩؛ البغوي، معالم التنزيل ٨٢/٤.

المبحث الرابع

دور المنافقين في غزوة تبوك (سنة ٥٩ هـ) واتخاذهم

مسجدا للضرار بالمسلمين

شارك في غزوة تبوك^(١) بعض المنافقين لكن أقلّ عددا من غزوة بني المصطلق، لأنّ المنافقين ينظرون إلى عدة الروم وعددهم وقد خلت قلوبهم من الإيمان بان الله تعالى مالك الملك جلّ في علاه ناصر رسوله صلى الله عليه وسلم القائل: (أوتيت خمسا لم يؤتتهن نبي كان قبلي: نصرت بالرعب، فيرعب مني العدو عن مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلي، وبعثت إلى الأحمر والأسود، وقيل لي: سل تعطه، فاخترت لها شفاعا لأمتي، وهي نائلة منكم إن شاء الله من لقي الله لا يشرك به شيئا)^(٢).

وعندما قابل أبو سفيان هرقل سأله هرقل عن النبي ﷺ فقال: فهل قاتلتموه أو قاتلكم؟ قلت: نعم، قال: فكيف كانت حربه وحريكم؟ قلت: كانت دولا وسجالا، يدال علينا المرة، وندال عليه الأخرى، ثم تكون العاقبة

(١) تبوك : بين الحجر وأول الشام وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي ﷺ، ويقال إن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب عليه السلام، كانوا فيها ولم يكن شعيب عليه السلام منهم، وإنما كان من مدين. (البكري ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ١/ ٣٠٣؛ الحموي ، معجم البلدان ٢/ ١٤).

(٢) أحمد، مسند أحمد ٣٥/٢٢٤.

لهم فقال هرقل يوشك أن يملك موضع قدمي هاتين^(١)، و قذف الله تعالى
الرعب في قلوب الروم ولم يقربوا جيش الرسول ﷺ.

قال قتادة^(٢): خرجوا إلى الشام عام تبوك في لهبان الحر، على ما يعلم الله
من الجهد، أصابهم فيها حتى أن الرجلين يشقان التمرة بينهما، وكان نفر
يتداولون التمرة بينهم، يمصها هذا، ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا، ثم
يشرب عليها، فتاب الله عليهم وأقبلهم من غزوتهم^(٣).

وقال بعض المنافقين أتحسبون جلاذ بني الأصفر كقتال العرب بعضهم
بعضاً؟ والله لكانكم تأتون غداً مقرنين^(٤) ثم اعتذروا للرسول صلى الله عليه
وسلم، وأن رجلاً من المنافقين قال لعوف بن مالك^(٥) في غزوة تبوك: ما
لقرائنا

(١) البخاري، صحيح البخاري ٤/٤٥.

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز الحافظ العلامة أبو الخطاب السدوسي البصري الضريير
الأكمه المفسر (ت ١١٧ هـ) قال قتادة: ما سمعت أذناي قط شيئاً إلا وعاه قلبي، وقال ابن
سيرين: قتادة أحفظ الناس، وقال أحمد بن حنبل: قتادة عالم بالتفسير . ينظر: ابن سعد،
الطبقات الكبير ٩/٢٢٨-٢٣٠؛ ابن حبان، الثقات ٥/٣٢١-٣٢٢. الذهبي، سير أعلام
النبلاء ٥/٢٦٩.

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٢٨ .

(٤) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية ٤/١٦٨؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر ٢/٢٩٦؛ ابن كثير،
تفسير القرآن العظيم ٤/١٧١.

(٥) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني يكنى أبا عبد الرحمن كان من نبلاء
الصحابة، وأول مشاهده خبير، توفي بدمشق سنة ٧٣ هـ. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب
٥٧٣؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٤/٣٠٠-٣٠١؛ ابن حجر، الإصابة ٧/٥٥٦-٥٥٨.

هؤلاء، أرغبنا بطوناً وأكذبنا ألسنة، وأجبنا عند اللقاء؟ فقال له عوف: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فذهب عوف إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه ﴿وَلَعْنِ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعْدَبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(١)، قال عبد الله بن عمر: فنظرت إليه متعلقاً بحقب^(٢) ناقة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تتكبه الحجارة، يقول: "إنما كنا نخوض ونلعب". فيقول له النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون؟) ما يزيد^(٣).

وقد كان رهط من المنافقين منهم ودیعة بن ثابت ، أخو بني عمرو بن عوف ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له مخشي بن حمير^(٤) يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم

(١) سورة التوبة آية ٦٥ - ٦٦ .

(٢) هو حبل يشد به الرجل في بطن البعير مما يلي ثيله، لئلا يؤذيه التصدير، أو يجتذبه التصدير، فيقدمه؛ تقول منه: أحقبت البعير. ينظر: الجوهري، الصحاح ١/١١٤. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٤١١؛ ابن منظور، لسان العرب ٢/٩٣٦-٩٣٧. (٣) الطبري، جامع البيان ١١/٥٤٣؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم ٦/١٨٢٩-١٨٣٠؛ الثعلبي، الكشف والبيان ٥/٦٥؛ الواحدي، أسباب النزول ٤٢٠.

(٤) مخشي بن حمير الأشجعي حليف لبني سلمة من الأنصار، وكان من المنافقين، ومن أصحاب مسجد الضرار، وسار مع النبي ﷺ إلى تبوك، وأرجفوا برسول الله وأصحابه، ثم تاب وحسنت توبته، وسأل النبي أن يغير اسمه، فسماه عبد الرحمن، وسأل الله تعالى أن يقتل شهيدا لا يعلم مكانه، فقتل يوم اليمامة شهيدا، ولم يوجد له أثر. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية ٢/٥٢٤-٥٢٥، ٥٥١؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٥/ ١٢٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢/١٦٦.

لبعض أتחסبون جلاذ بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً والله لكأننا بكم غدا مقرنين في الحبال إرجافا وترهيبا للمؤمنين فقال مخشي ابن حمير: والله لو ددت أنني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مئة جلدة وأنا نفلت أن ينزل فينا قرآن لمقاتكم هذه.

وقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر أدرك القوم فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل بلى، قلت كذا وكذا . فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه وقال مخشي بن حمير : يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي^(١)؛ وكان الذي عفي عنه في هذه الآية { لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ }^(٢).
تفاوتت مواقف المنافقين في الخذلان والتحبيط والتخلف عن الجهاد وكان الجلاس بن سويد^(٣) ممن تخلف عن غزوة تبوك فلما سمع ما أنزله

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ١٦٨/٤-١٦٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ١٠٨/٣؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر ٢٩٦/٢-٢٩٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ٦٤٢/٢؛ ابن كثير، التفسير ١٥١/٤؛ المقرئ، امتاع الاسماع ٥٣/٢-٥٤.

(٢) سورة التوبة الآية ٦٦.

(٣) الجلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري، كان متهما بالنفاق، وهو ربيب عمير بن سعد زوج أمه، وقد تاب الجلاس وحسنت توبته وراجع الحق، قال ابن سيرين: لم ير بعد ذلك من الجلاس شيء يكره. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٢٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٥٤٨/١-٥٤٩؛ ابن حجر، الإصابة ٢١٩/٢-٢٢٠.

الله في المنافقين قال لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير فرفع
 عامر ابن قيس^(١) ذلك إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحلف الجلاس
 بالله ما قلت، فأُنزل^(٢) الله عز وجل على نبيه فيه: {يُحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا
 كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَعَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ
 فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوتُوا يَعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي
 الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}^(٣) وقوله تعالى { وَمَا نَعَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ
 فَضْلِهِ } حيث كان للجلاس دية في الجاهلية على بعض قومه، وكان محتاجاً،
 فلما قدم رسول الله ﷺ

-
- (١) عامر بن قيس الأنصاري، ابن عم الجلاس بن سويد وأنه أحد من سمع الجلاس بن سويد
 يقول: إن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير، فبلغ ذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 فحلف الجلاس ما قال ذلك، فنزلت: يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ... [التوبة:
 ٧٤] الآية . ينظر: ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٣ / ٤٨٣ .
- (٢) الطبري ، جامع البيان ١١ / ٥٦٩ ؛ الثعلبي، الكشف والبيان ٥ / ٧٠ ؛ البيهقي، دلائل النبوة
 ٥ / ٢٨٠-٢٨١ ؛ البغوي، معالم التنزيل ٤ / ٧٤ .
- (٣) سورة التوبة آية ٧٤ .

المدينة أخذها له فاستغنى بها^(١)، ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من تبوك جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكّل سرائرهم إلى الله تعالى^(٢) ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسُوا وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥)﴾ يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن رضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين^(٣).

وإن رجالا من المنافقين في عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا خرج النبي ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قدم النبي صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمّدوا بما لم يفعلوا فنزلت^(٤) ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُمَدُّوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(٥)﴾.

(١) مغازي الواقدي ٣ / ١٠٠٤؛ المقرئ، إمتاع الأسماع ٣٣ / ١٤ .

(٢) البخاري، صحيح البخاري ٣ / ٦؛ مسلم، صحيح مسلم ٤ / ٢١٢٠؛ الطبري، جامع البيان ٦١ / ١٢ .

(٣) سورة التوبة الآيات ٩٥-٩٦ .

(٤) البخاري، صحيح البخاري ٦ / ٤٠؛ مسلم، صحيح مسلم ٤ / ٢١٤٢ . (وقد رجح الطبري انها نزلت في اليهود . ينظر: ابن حجر ، فتح الباري ٨ / ٢٣٣) .

(٥) سورة آل عمران آية ١٨٨ .

وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: لِبَنِي سَلْمَةَ وَكَانَ الْجَدُّ مِنْهُمْ: (مَنْ سَيِّدِكُمْ يَا بَنِي سَلْمَةَ؟) قَالُوا: الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ غَيْرَ أَنَّهُ بَخِيلٌ جَبَانٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبَخْلِ، بَلْ سَيِّدِكُمُ الْأَبْيَضُ الْفَتَى الْجَعْدُ بَشْرُ بْنُ الْبِرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ)^(١)، وَقَدْ خَلَّتْ قُلُوبُ الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْإِيمَانِ فَلَا يَفْكُرُونَ إِلَّا فِي الدُّنْيَا كَمَا جَاءَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ، ثَنِيَّةَ الْمَرَارِ، فَإِنَّهُ يَحِطُّ عَنْهُ مَا حِطُّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) قَالَ: فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ صَعَدَهَا خَيْلُنَا، خَيْلُ بَنِي الْخَزْرَجِ، ثُمَّ تَتَامُ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَكَلَّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ، إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرَ)^(٢) فَأَتَيْنَاهُ فَقَلْنَا لَهُ: تَعَالِ، يَسْتَغْفِرُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبِكُمْ، قَالَ وَكَانَ رَجُلٌ يَنْشُدُ ضَالَّةً لَهُ^(٣)، وَ لَمَّا تَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لَغَزْوَةِ تَبُوكَ قَالَ لِلْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ^(٤): "يَا أَبَا وَهَبٍ هَلْ لَكَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ تَتَّخِذُ مِنْهُمْ سِرَارِي

(١) الطبري، جامع البيان ٤٩٢/١١؛ الثعلبي، الكشف والبيان ٥٢/٥؛ أبو نعيم، حلية الأولياء ٣١٧/٧.

(٢) مسلم، صحيح مسلم ٢١٤٤/٤؛ الحاكم، المستدرک علی الصحیحین ١٧٨/٤-١٧٩؛ البيهقي، دلائل النبوة ١٠٨/٤-١٠٩.

(٣) هذا الرجل هو الجد بن قيس المنافق كذلك بايع الذين كانوا مع رسول الله - ﷺ - بالحديبية كلهم تحت الشجرة إلا الجد بن قيس فإنه اختبأ تحت جمل أحمر. ابن تيمية، منهاج السنة النبوية ٤٤/٢.

(٤) الجد بن قيس بن صخر بن خنساء الأنصاري السلمي، يكنى أبا عبد الله، كان ممن يغمص عليه النفاق من أصحاب رسول الله ﷺ، قيل إنَّهُ تَابَ وَحَسَنَتِ تَوْبَتَهُ، وَتَوَفَّى فِي خِلاَفَةِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٢٨-١٢٩؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٥٢١/١؛ ابن حجر، الإصابة ١٧٧/٢-١٧٨.

ووصفاء؟" فقال: يا رسول الله لقد عرف قومي أنني رجل مغرم بالنساء، وأنتي أخشى إن رأيت بنات بني الأصفر أن لا أصبر عنهم فلا تفتني بهم وأذن لي في القعود عنك وأعينك بمالي، فأعرض عنه النبي - ﷺ - وقال: "قد أذنت لك"، فأنزل (١) الله تعالى ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَذْنٌ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٢).

وكان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس فقال أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال فقال له القوم أخبره إذ سألك قال كنا نخير أنهم أربعة عشر فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد وعذر ثلاثة قالوا ما سمعنا منادي رسول الله صلى الله عليه و سلم ولا علمنا بما أراد القوم وقد كان في حرة فمشى فقال إن الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد فوجد قوما قد سبقوه فلعنهم يومئذ (٣)، وكان حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين، لم يعلمهم أحد إلا حذيفة أعلمه بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤).

(١) الطبري، جامع البيان ١١ / ٤٩٢؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق ٢ / ٣٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ١ / ٤٢٠.

(٢) سورة التوبة آية ٤٩ .

(٣) أحمد، مسند الإمام أحمد ٣٨ / ٣٤٧؛ مسلم، صحيح مسلم ٤ / ٢١٤٤.

(٤) ابن الأثير، أسد الغابة ١ / ٧٠٦.

المنافقون يبنون مسجدا للضرار بالمسلمين:

مع أنّ هجر المنافقين للمساجد وثقل الصلاة عليهم كما قال عنهم رسول الله ﷺ: (لا يقربون المساجد إلا هجرًا، ولا يأتون الصلاة إلا دُبْرًا)^(١) لكنّهم أرادوا أن يتخذوا لهم أوكاراً تضمن لهم أن يرصدوا منها، ويدبروا فيها كل ما تحتاجه العداوة للدين وأهله وتأتي قصة بناء مسجدٍ ظاهره العبادة وباطنه الضرار بالمسلمين^(٢)، لتبين مكائد أهل النفاق بالمسلمين فقد جاء أصحاب مسجد الضرار^(٣) الى رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله - ﷺ - إنّنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة، والليلة المطيرة والليلة الشتوية، وإننا نحبّ أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال: إنّني على جناح سفر وحال شغل ولو قد قدمنا أتيناكم إن شاء الله فصلينا لكم فيه، فلما نزل بذى أوان^(٤)، أتاه خبر المسجد فنزل^(٥) فيهم

(١) أحمد، مسند الإمام أحمد ٣٠٣/١٣؛ البزار، البحر الزخار ١٣٥/١٥.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان ٦٧٢/١١-٦٧٥.

(٣) الضرار: من الضرّ وهو ضدّ النفع، والضرار: أن تضرّه من غير أن تنتفع به. الجوهري، الصحاح ٧٢٠/٢؛ ابن الجوزي، غريب الحديث ٨/٢-٩؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٨١/٣-٨٢.

(٤) ذو أوان موضع قريب المدينة بينه وبينها ساعة من نهار. ينظر: البكري، معجم ما استعجم ٢٠٨/١؛ الحموي، معجم البلدان ٢٧٥/١؛ البغدادي، مرصد الاطلاع ١٢٨/١.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية ١٧٣/٤-١٧٤؛ الطبري، تأريخ الرسل والملوك ١١٠/٣؛ البيهقي، دلائل النبوة ٢٥٩/٥-٢٦٠؛ السيوطي، لباب النقول، ١١١؛ الشوكاني، فتح القدير ٢/٤٦١.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْبَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أُسِّسَ بِنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بِنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بِنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١).

وقد قال أبو عامر لأصحابه المنافقين: ابنوا مسجدكم واستمدوا ما استطعتم من قوة ومن سلاح فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فأتي بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا: إنا قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعو بالبركة فأنزل الله عز و جل: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ يعني مسجد قباء: ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ يعني قواعده ﴿لَا يَزَالُ بِنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: الشك ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني بالموت (٢)، فلما

(١) سورة التوبة الآيات ١٠٧-١١٠.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م، ٤٨١/٣.

وصل النبي ﷺ إلى المدينة أتاه أصحاب مسجد الضرار، فسألوه أن يأتي مسجدهم ويصلي لهم فيه، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدُخْشَم (١) أخا بني سالم بن عوف، ومَعَنَّ بنَ عدي (٢) فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه، فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدُخْشَم، فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي، فدخل إلى أهله فأخذ سَعَفًا من النخل فأشعل فيه ناراً ثم خرجا يشتان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه (٣)، وانكشفت مكيدة المنافقين، وتم وأدها في مهدها، وتوقفت مكائد المنافق أبي عامر الراهب، ثم هلك في قنسرين (٤) من

(١) مالك بن الدخشم من بني عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي شهد بدرًا وهو الذي أسر سهيل بن عمرو يومئذ. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٦٥٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٢٠/٥؛ ابن حجر، الإصابة ٤٤١/٩-٤٤٣.

(٢) معن بن عدي بن الجد بن العجلان البلوي حليف بني عمرو بن عوف أخو عاصم بن عدي، شهد العقبة، وبدرًا، وأحدا، والخندق، وسائر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، استشهد يوم اليمامة، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير ٤٣١/٣؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٢٢٩/٥؛ ابن حجر، الإصابة ٢٨٩/١٠-٢٩٠.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية ١٧٤/٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ١١٠/٣؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢١٢/٤.

(٤) قنسرين: مدينة بينها وبين حلب مرحلة فتحت سنة ١٧ هـ على يد أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه، كانت عامرة أهلة، حسنة المنازل، وفي وسطها قلعة على جبل وسط المدينة، ليس لها إلا طريق لا مقابلة عليه، وعلى القلعة سور حصين. ينظر: الحموي، معجم البلدان ٤٠٣/٤-٤٠٤؛ البغدادي، مرصد الاطلاع ١١٢٦/٣؛ الحميري، روض المعطار، ٤٧٣-٤٧٤.

أرض الشام^(١)، وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا وهم خدام بن خالد^(٢)،
ومن داره أخرج مسجد الشقاق، وثلعبة بن حاطب^(٣)

(١) ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان ٩٢/٥-٩٣؛ الواحدي، أسباب النزول، ٤٣٣-٤٣٤؛
المقريزي، الامتاع الأسماع ٣٥٩/١٤-٣٦٢.

(٢) خدام بن خالد الأنصاري من الأوس والد خنساء بنت خدام كنيته أبو ودیعة له صحبة. ابن
حبان، الثقات ١١٤/٣؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢١٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة ١٦٠/٢.

(٣) ثعلبة بن حاطب أو ابن أبي حاطب الأنصاري، ذكر ابن إسحاق فيمن بنى مسجد الضرار، أن
ثعلبة بن حاطب الأنصاري قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا. فقال النبي صَلَّى اللهُ
عليه وسلم: «قليل تؤدّي شكره خير من كثير لا تطيقه..» فذكر الحديث بطوله في دعاء
النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم له وكثرة ماله ومنعه الصدقة، ونزول قوله تعالى: ﴿لَمَن مِّنْهُمْ مِّنْ عَاهِدٍ
لِّلَّهِ لَئِنِ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدِّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا
وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَمَا كَانُوا
يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥، ٧٦، ٧٧] الآية. وفيه أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم مات ولم
يقبض منه الصدقة ولا أبو بكر ولا عمر، وأنه مات في خلافة عثمان رضي الله عنهم
جميعا، وقد ثبت أنه صَلَّى اللهُ عليه وسلم قال: «لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية» وحكى
عن ربه أنه قال لأهل بدر: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فمن يكون بهذه المثابة كيف
يعقبه الله نفاقا في قلبه، وينزل فيه ما نزل؟ فالظاهر أنه غيره. والله أعلم. ينظر: ابن حجر،
الإصابة ٦٤-٦٦.

ومعتب بن قشير^(١) وأبو حبيبة بن الأزعر^(٢) وعباد بن حنيف^(٣) وجارية بن عامر^(٤)، وابناه: مجمع بن جارية^(٥)

(١) معتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الأوس الأنصاري الأوسي ذكروه فيمن شهد العقبة. وقيل: إنه كان منافقا، وإنه الذي قال يوم أحد: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا [آل عمران: ١٥٤] وقيل: إنه تاب. وقد ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدرًا. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير ٤٢٩/٣؛ أبو نعيم، معرفة الصحابة ٢٥٩٣/٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ٦٩٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٢١٦/٥-٢١٧؛ ابن حجر، الإصابة ٢٦٤/٦-٢٦٥.

(٢) أبو حبيبة بن الأزعر وقيل أيضا أبو حبيب بن الأغر بن زيد بن العطف بن ضبيعة الأنصاري الأوسي الضبعي إنه ممن شهد أحدا. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة ٦٥/٦؛ الذهبي، تجريد أسماء الصحابة ١٥٨/٢؛ ابن حجر، الإصابة ١٤٥/١٢.

(٣) عباد بن حنيف بن واهب، أخو عثمان وسهل الأنصاري الأوسي. ينظر: ابن حبيب، المحبر، ٤٦٨؛ ابن حجر، الإصابة ٥٥١/٥.

(٤) جارية بن عامر بن العطف الأنصاري الأوسي وابناه زيد ومجمع ابنا جارية من بني ثعلبة بن عمرو بن عوف وهم ممن اتخذ مسجد الضرار. ينظر: ابن هشام، سيرة النبوية ١٦٩/٢؛ السهيلي، روض الأنف ٣١٦/٤.

(٥) مجمع: بضم أوله وفتح الجيم وتشديد الميم المكسورة ابن جارية بن عامر الأنصاري، الأوسي، المدني، صحابي، وكان أبوه من المنافقين ومن أصحاب مسجد الضرار وكان مجمع يصلي بهم في مسجد الضرار، ثم إن رسول الله ﷺ حرق مسجد الضرار، فلما كان في خلافة عمر بن الخطاب، كُلم عمر في مجمع ليصلي بقومه، فقال: لا، أوليس كان إمام المنافقين في مسجد

—
=

الضرار؟ فقال: والله الذي لا إله إلا هو، ما علمت بشيء من أمرهم، فتركه عمر يصلي. قيل: إنه كان قد جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ إلا سورة أو سورتين، توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية ١٦٩/٢-١٧٠؛ ابن سعد، الطبقات الكبير ٢٩٠/٥-٢٩١؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٦١/٥-٦٢؛ ابن حجر، الإصابة ٥٢٦/٩.

وزيد بن جارية ونبتل بن الحارث^(١) وبحزج وهو من بني ضبيعة ، وبجاد بن عثمان^(٢) وهو من بني ضبيعة، ووديعة بن ثابت^(٣)، وهو إلى بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر، ثم من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الذين ابتنوا مسجدا ضارا لمسجد رسول الله ﷺ وكفرا بالله لمحادثتهم بذلك رسول الله ﷺ

(١) نبتل بن الحارث بن قيس بن زيد بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي، وكان يأتي رسول الله ﷺ يتحدث إليه فيسمع منه، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين، وهو الذي قال: **إِنَّمَا مُحَمَّدٌ أُذُنٌ، مِنْ حَدْثِهِ شَيْئًا صَدَقَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ: { وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ، قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [سورة التوبة آية ٦١].** ينظر: ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ٣٦٧/١؛ ابن هشام، السيرة النبوية ١٦٨/٢؛ ابن حجر، الإصابة ٤٥/١١.

(٢) بجاد بن عثمان بن عامر من بني ضبيعة بن زيد. ذكره ابن إسحاق في أسماء المنافقين. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية ١٦٨/٢؛ ابن حبيب، المحبر، ٤٦٧.

(٣) وديعة بن ثابت رهط بني أمية بن زيد، من بني عمرو بن عوف، وهو ممن بنى مسجد الضرار، وهو الذي قال: **إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ } [التوبة: ٦٥].** إلى آخر القصة. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية ١٦٨/٤-١٦٩؛ ابن حبيب، المحبر، ٤٦٨-٤٦٩؛ السهيلي، روض الأنف ٣١٦/٤.

ويفرقوا به المؤمنين ليصلي فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١).

ومن المنافقين مربع بن قيظي^(٢)، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز في حائطه ورسول الله ﷺ عامد إلى أحد: لا أحل لك يا محمد إن كنت نبيا، أن تمر في حائطي، وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال والله لو أعلم أنني لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله ﷺ: (دعوه فهذا الأعمى، أعمى القلب، أعمى البصيرة)، فضربه سعد بن زيد^(٣)، أخو بني عبد الأشهل بالقوس فشجه، وأخوه أوس بن قيظي^(٤) وهو الذي قال لرسول الله ﷺ يوم الخندق: يا

(١) الطبري، جامع البيان ١١ / ٦٧٤ .

(٢) مربع بن قيظي بن عمرو بن زيد بن مالك بن أوس، عدّ في المنافقين وهو الذي سلك النبي ﷺ حائطه لما خرج إلى أحد فجعل يحثي التراب في وجوه المسلمين، ويقال أنه تاب. ينظر: ابن ماكولا؛ سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر (ت ٤٧٥هـ)، الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تحقيق: نايف العباسي، ط ٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٣م، ٢٣٤/٧؛ السهيلي، روض الأنف ٤/٣١٧؛ ابن حجر، الإصابة ١٠/١٠١ .

(٣) سعد بن زيد بن سعد الأشهلي الأنصاري المدني، قال ابن إسحاق: هو سعد بن زيد بن مالك بن عبيد بن كعب بن عبد الأشهل. شهد بدرًا. ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة ٣/١٢٥٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٢/٤٣٦-٤٣٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات ١٥/٩٦ .

(٤) أوس بن قيظي بن عمرو شهد أحدا هو وابناه: عرابة، وعبد الله. ويقال: إنّ أوس بن قيظي كان منافقا، وإنه الذي قال إن بيوتنا عورة. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٥٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة ١/٣٢٦-٣٢٨؛ ابن حجر، الإصابة ١/٣١١-٣١٢ .

رسول الله إن بيوتنا عورة، فأذن لنا فلنرجع إليها فأنزل^(١) الله تعالى فيه:
{وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا^(٢)}.
وكان المنافقون منشغلون في مسجد الضرار وهم يرون المسلمين يتجهزون
للجهاد كما روى عاصم بن عدي قائلًا: "كنا نتجهز إلى تبوك مع النبي
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرأيت عبد الله بن نبتل^(٣) وثعلبة بن حاطب قائمين
على المسجد الضرار ، فوالله ما رجعنا من سفرنا حتى نزل القرآن بذمه وذم
أهله^(٤)".

-
- (١) ابن هشام، السيرة النبوية ١٧٠/٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية ١٢/٥؛ المقرئ، امتاع
الاسماع ٣٥٢/١٤
- (٢) سورة الاحزاب الآية ١٣.
- (٣) عبد الله بن نبتل بن الحارث الأنصاري كان ينقل حديث النبي ﷺ إلى المنافقين. ينظر:
الواحدي، أسباب النزول ٦٥١-٦٥٢؛ المقرئ، امتاع الاسماع ٧٨/٣؛ ابن حجر، الإصابة
٣٩٧/٦.
- (٤) ينظر: الواقدي؛ محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ)، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣،
عالم الكتب، ١٩٨٤م، ٣/١٠٤٥-١٠٤٨؛ البقاعي، نظم الدرر ٣٧٠/٨.

وكان نبتل بن الحارث، أذلم، ثائر شعر الرأس، أحمر العينين، أسفع الخدين^(١)، مشوه الخلق، وقد قال النبي ﷺ: (من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث)، وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنافقين، فقيل له: لا تفعل، فقال: إنما محمد أذن فمن حدثه شيئاً صدقه، فنقول ما شئنا، ثم نأتيه ونحلف بالله فيصدقنا^(٢)، فأنزل^(٣) الله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤)، وكان عبد الله بن نبتل المنافق، يجالس النبي ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود. فبينما رسول الله ﷺ في حجرة من حجره إذ قال: يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار، وينظر بعيني شيطان. فدخل عبد الله بن نبتل، وكان أزرق، فقال له رسول الله ﷺ: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فحلف بالله ما فعل ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: فعلت. فانطلق فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله

-
- (١) الأذلم: الأسود الطويل، ثائر شعر الرأس: منتشر الشعر، أسفع الخدين: السفعة - بالضم: سواد مشرب بحمرة أو زرق. ينظر: الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ٤١٨/٣.
- (٢) ابن هشام، السيرة النبوية ١٦٨/٢؛ الواحدي، أسباب النزول ٢٤٩؛ البغوي، معالم التنزيل ٦٤/٤؛ السهيلي، روض الأنف ٣١٤/٤.
- (٣) ابن هشام، السيرة النبوية ١٢١/٢؛ الواحدي، أسباب النزول ٢٤٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٢٣٨/٣.
- (٤) سورة التوبة آية ٦١.

واعْتَدِرُوا إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ^(١) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَيَوْمٍ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَيَّ شَيْءٌ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَّا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(٢) .

من خلال مرويات أسباب النزول عن المنافقين نرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعامل مع المنافقين بغاية الحكمة للحفاظ على وحدة الصف الإسلامي وتماسكه ومدارة لأتباع المنافقين ودرءا لتقولات المتريبين بالمسلمين ، وكان ﷺ يقبل ما يظهرون به من الاسلام ويدع سرانهم الى الله تعالى .

(١) الثعلبي، الكشف والبيان ٢٦٣/٩؛ الواحدي ، أسباب النزول ٦٥١-٦٥٢؛ البغوي، معالم التنزيل ٦١/٨؛ القرطبي، ، الجامع لاحكام القرآن ٣٠٤/١٧ .
(٢) سورة المجادلة الآيات ١٨ - ٢٢ .

الفصل الخامس

المشركون من خلال مرويات أسباب النزول

ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الاول

المسلمون يدعون المشركين للتوبة والاستقامة ويبشرونهم

بالمغفرة والجنة وهم يجادلون تكبرا وتعجيزا

المبحث الثاني

المشركون وأثرهم السيء على الدعوة الاسلامية

المبحث الثالث

جهاد المسلمين للمشركين بالنفس والمال

الفصل الخامس

المشركون من خلال مرويات اسباب النزول

اتخذ القرآن الكريم من الشرك موقفاً حازماً لاقتلاعه بجميع أشكاله وألوانه، وأفرد لدحضه السور والآيات البيّنات، وناقش المفاهيم والاتجاهات نقاشاً منطقيّاً وموضوعياً، فنقدها ونقضها، ورد كل زعم ودحض كل فرية، وأبان في النهاية العقيدة الصحيحة، عقيدة التوحيد والوحدانية لله رب العالمين ^(١)، والدعوة إلى الله عملاً بقوله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ^(٢).

وإنّ كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبي

(١) ينظر: الرحيلي؛ حمود بن أحمد بن فرج، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى

الإسلام ط ١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية

السعودية ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ١/ ١٤.

(٢) سورة يوسف آية: ١٠٨.

من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد^(١)، وأن الشرك بالله تعالى هو أعظم الذنوب وأكبر الكبائر على الإطلاق، وأول الأسباب التي أدت إلى هلاك الأمم المكذبة، وعواقبه وخيمة في الدنيا والآخرة، وذلك أن صاحبه في الدنيا يصبح ضحية للخرافات والوساوس والأوهام، الأمر الذي يعود على صحته وماله ووقته بالتلف والهلاك، وهو في الآخرة من الخالدين في نار جهنم، إذا مات وهو مصر على الشرك والعياذ بالله، وبسبب هيمنة البدع والخرافات التي تطورت إلى الشرك الذي هو من أعظم الأزمات التي عانت منها البشرية عبر تاريخها الطويل و أن عقيدة التوحيد كانت منذ خلق الله الإنسان الأول على هذه الأرض إلى بعثة محمد ﷺ، وستبقى إلى قيام الساعة، فهي البداية وهي النهاية وأن الإسلام دين الله الذي لا يقبل ديناً غيره، وهو دين الله في الأولين والآخرين، لأن الإسلام عبادة الله وحده لا شريك له، والمسلم يعبد إلهه ولا يعبد شيئاً سواه، وهو أحب إليه من كل ما سواه^(٢)، والإسلام هو التوحيد والاستسلام لله وحده وهو دين الفطرة فقد روى النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)^(٣)، ونصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تؤكد أن البشرية

(١) ينظر: ابن القيم، مدارج السالكين ٣/ ٤١٧، ٤١٨ .

(٢) ينظر: ابن تيمية؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني الحنبلي الدمشقي (ت

٧٢٨هـ)، الإيمان، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني ط ٥ المكتب الإسلامي، عمان، الأردن

١٤١٦هـ/١٩٩٦م ٣٣٢.

(٣) مسلم، صحيح مسلم ٤/ ٢١٩٧ .

قد صاحبته عقيدة التوحيد منذ بدايتها اذ بدأ بذلك نبي الله أبو البشر آدم عليه السلام، وتلقاها من بعده أبنائه جيلاً بعد جيل واستمر موكب الإيمان يتجدد من وقت لآخر، وتوالى الأنبياء في كل أمة يبينون للناس الحق والهدى كلما انتكسوا أو انحرفوا حتى جاء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ الذي دعا إلى التوحيد من جديد، وسلك نهج سلفه من الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى، وأكمل الله به الدين وأتم به النعمة^(١)، كما قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} ^(٢) ، وقد بقي القرآن الكريم محفوظاً بحفظ الله تعالى له يكشف الزيف، ويبين التحريف، ويهيمن على كل ما سبقه من الكتب السماوية، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} ^(٣)، وقال تعالى: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمَنَاجِيَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } ^(٤) وان بقاء القرآن محفوظاً كما أنزل على نبينا محمد ﷺ مع استمرار بقاء سيرته وسنته المبينة لمعاني القرآن صحيحة ثابتة هو بمثابة استمرار

(١) ينظر: الرحيلي ، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، ١ / ١٤ .

(٢) سورة المائدة آية: ٣ .

(٣) سورة الحجر آية: ٩ .

(٤) سورة المائدة آية: ٤٨ .

وجوده فينا على قيد الحياة (١).

والتوحيد دعوة جميع الرسل إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى، وإفراده بالعبادة، والتذلل إليه، والانقياد لأمره وحكمه، وتنزيهه عن الند والصاحبة والولد، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (٢).

وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر عن نفسه، وكما أخبر رسوله ﷺ، فهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد، وهو مبني على إخلاص التأله لله تعالى وحده، وإفراده بجميع أنواع العبادات، كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والدعاء، والنذر، والنحر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والرغبة، والرغبة، وغير ذلك من أنواع العبادات والقربات (٣).

وتوحيد العبادة حق الله على العباد، كما جاء في الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (أتدري ما حق الله على عباده؟) قلت: الله ورسوله أعلم. قال: (حق الله على

(١) الفوزان ؛ صالح بن فوزان بن عبد الله، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك

والإلحاد ، ط٤ دار ابن الجوزي ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ٢١٣ .

(٢) سورة الأنعام آية: ٧٩ .

(٣) ابن تيمية ، العبودية ، ٤ .

عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً^(١)، وأما مشركو العرب فإنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، وأن الله تعالى خالق السموات والأرض، كما أخبر تعالى عنهم بقوله: { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }^(٢) ، وقوله تعالى: { قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }^(٣) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالآخرة من قومك: لمن ملك الأرض ومن فيها من الخلق إن كنتم تعلمون من مالكمها؟ ثم أعلمه أنهم سيقرون بأنها لله ملكا، دون سائر الأشياء غيره. { قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }^(٤) يقول: فقل لهم إذا أجابوك بذلك كذلك: أفلا تذكرون فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء ، فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم وإعادتهم خلقا سويا بعد فنائهم^(٥) ، وكان النبي ﷺ يحرص على تعليق قلوب الصحابة بالله تعالى بالسؤال والرغبة وأن يعبدوا الله وحده، ويسألوه وحده في كل شيء فلما مات كانت قلوبهم قد اتصلت بربها الحي الذي لا يموت، وعاشوا

(١) البخاري، صحيح البخاري ٥٨/٦ .

(٢) سورة لقمان آية: ٢٥ .

(٣) سورة المؤمنون الآيتان: ٨٤-٨٥ .

(٤) سورة المؤمنون آية ٨٥ .

(٥) الطبري، جامع البيان ٩٧ / ١٧ .

وهم يحملون في قلوبهم تعظيم الله وحده والثقة به وسؤاله على الدوام في كل صغيرة وكبيرة ، وان أصل التوحيد سؤال الله تعالى وحده، والشرك سؤال غير الله تعالى ولم يكن المشركون يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم ، ولكن إقرارهم بهذا التوحيد لم يدخلهم في الإسلام، بل إنَّ الرسول ﷺ قاتلهم واستحل دماءهم وأموالهم وان الالهَ المستحق للعبادة إلهٌ واحدٌ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته^(١)، والإسلام حرص غاية الحرص على سد كل منافذ الشرك والعبودية لغير الله تعالى، فمنع الله تعالى الوسطة بينه وبين خلقه، وأمر بسؤاله مباشرة، ونهى عن اتخاذ الشفعاء، حتى تكون العبادة خالصة له.

(١) البراك ؛ عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم ، شرح العقيدة الطحاوية ، ط٢، دار التدمرية-المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ٧٩.

المبحث الاول

دعوة المسلمون المشركين للدخول في الإسلام وهم

يجادلون تكبرا وتعجيزا

الاسلام دين الرحمة والاستقامة والسعادة في الدارين ولما جاء ناس من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمدا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل (١): {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} (٢) ونزلت {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (٣) هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع

(١) البخاري، صحيح البخاري ٦ / ١٢٥؛ مسلم، صحيح مسلم ١ / ١١٣؛ الكاندهلوي؛ محمد يوسف بن محمد إلياس بن محمد إسماعيل (ت ١٣٨٤هـ)، حياة الصحابة، تحقيق: بشار عواد معروف، ط ١ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ١٤٢٠ هـ، ١ / ٧٤؛ الوادعي، الصحيح المسند من أسباب النزول ١٥٥.

(٢) سورة الفرقان آية ٦٨ .

(٣) سورة الزمر آية ٥٣ .

عنها، وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، وأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه (١) .

قال مشركو أهل مكة فقد قتلنا النفس التي حرم الله ودعونا مع الله إليها آخر وقد أتينا الفواحش فأَنْزَلَ اللهُ (٢) { إِنْ مِنْ تَابٍ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (٣) .

فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ، وهو شيخ كبير يدعم على عصا له، فقال: يا رسول الله إن لي غدرات وفجرات، فهل يغفر لي؟ فقال: (أأست تشهد أن لا إله إلا الله؟) قال: بلى، وأشهد أنك رسول الله. فقال: (قد غفر لك غدراتك وفجراتك) (٤) وقال تعالى: {ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا} (٥) .

ولما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة، فكلمه ان يزيد في هدنة الحديبية فلم يُقبل عليه رسول الله ﷺ فقام ودخل على ابنته أم حبيبة فلما

(١) ابن كثير، التفسير ٧ / ١٠٦ .

(٢) البخاري، صحيح البخاري ٥ / ٤٦؛ البيهقي، السنن الكبرى ٨ / ٢٩؛ الوادعي، الصحيح

المسند من أسباب النزول ١٥٥ .

(٣) سورة الفرقان آية ٧٠ .

(٤) أحمد، المسند ٣٢ / ١٧١؛ الطبراني، مسند الشاميين ٤ / ٣٤١ .

(٥) سورة النساء آية ١١٠ .

ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه فقال: يا بنية ارجبت بهذا الفراش عني ام بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وانت امرؤ نجس مشرك. فقال: يا بنية لقد أصابك بعدي شر^(١)، وقد فعلت ذلك رضي الله عنها لقوة إيمانها بالله تعالى، وشدة محبتها لرسوله ﷺ، وكان المشركون يأتون معهم بالطعام يتجرون فيه لما نزلت {يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتن عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم (٢٨) قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون} (٢) فلما نهبوا عن أن يأتوا البيت قال المسلمون من أين لنا الطعام؟ فأنزل (٣) الله {وإن خفتن عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم}.

ولما كان الزواج سكيئة ومودة ومبني على الايمان والعفة ، فإنه لا يمكن أن يكون بين طرفين متناقضين متباعدين، لذلك حرّم الإسلام الزواج

(١) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ١ / ٤٢٦ ؛ ابن القيم ، زاد المعاد في هدي خير العباد ٣ / ٣٥٠

(٢) سورة التوبة الآيتين ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان ١١ / ٤٠٥؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ٥ / ٥؛ السيوطي ، لباب

النقول ١٠٣ .

من المشركين إذ كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد^(١) وكان رجلا يحمل الأسرى من مكة ويأتي بهم المدينة قال وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها عناق وكانت صديقة له، وأنه كان وعد رجلا من أسارى مكة يحمله، قال فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة قال فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلي بجانب الحائط فلما انتهت إليّ عرفت فقالت: مرثد، فقلت: مرثد، فقالت مرحبا وأهلا. هلم فبت عندنا الليلة، فقلت: يا عناق حرم الله الزنا. قالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم قال فتبعتني ثمانية، وسلكت الخندمة^(٢)، فانتهيت إلى غار أو كهف فدخلت. فجاءوا حتى قاموا على رأسي وعماهم الله عني، قال: ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلا ثقيلا ففككت عنه أكبله فجعلت أحمله ويعييني حتى قدمت المدينة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقلت: يا رسول الله

(١) شهد مرثد وأبوه أبو مرثد جميعا بدرًا، كانا حليفين لحمزة بن عبد المطلب، أخى رسول الله ﷺ بينه وبين أوس بن الصامت أخى عبادة بن الصامت، وشهد مرثد بدرًا وأحدًا، وقتل يوم الرجيع شهيدًا، أمره رسول الله ﷺ على السرية التي وجهها معه إلى مكة، وذلك في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرًا من مهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة . ينظر: ابن حجر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣ / ١٣٨٣ .

(٢) الخندمة جبل بمكة المكرمة. ينظر: ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٨٢ .

أنكح عناقا، فأمسك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولم يرد على شيئا حتى نزلت (١) { الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } (٢) فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (يا مرثد {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ} دليل على أن نكاح الخبيثة غير مأمور به، بل منهي عنه كالمشركة، وكالفاجرة، كما قال تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ} أما إذا أصبحت المشركة ملك يمين فتحل للمسلم بعد استبراء رحمها ان كانت متزوجة كما حدث في غزوة حنين في سنة ثمان بعد الفتح (٣) عندما بعث رسول الله ﷺ جيشا إلى أوطاس (٤)، فلقوا عدوا،

(١) ينظر: الترمذي، سنن الترمذي ، ٥ / ١٨١-١٨٢ ؛ البغوي ، التفسير ٣ / ٣٨٠ ؛ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٦ / ١٠ ؛ السيوطي ، لباب النقول ١٣٨ ؛ الوادعي ، الصحيح المسند من أسباب النزول ١٤٢ .

(٢) سورة النور آية ٣ .

(٣) ابن هشام ، السيرة ٢ / ٤٣٧ .

(٤) (أوطاس) موضع عند الطائف (تخرجوا) خافوا الحرج وهو الإثم من غشيانهن أي من وطئنهن من أجل أنهن زوجات والمزوجة لا تحل لغير زوجها (والمحصنات) المراد بالمحصنات هنا المزوجات ومعناه والمزوجات حرام على غير أزواجهن إلا ما ملكتم بالسبي فإنه يفسخ نكاح زوجها الكافر وتحل لكم إذا انقضت استبرأؤها والمراد بقوله إذا انقضت عدتهن أي استبرأوهن وهي بوضع الحمل من الحامل وبحيضة من الحائل. (النووي ، شرح صحيح مسلم ٢ / ١٠٧٩ .)

فقاتلوهم فظهروا عليهم، وأصابوا لهم سبايا، فكأن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ تخرجوا من غشيانهن من أجل أزواجهن من المشركين، فأنزل (١) الله عز وجل في ذلك: {والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما} (٢).

وإن قريشا لما استعصت على النبي ﷺ، (دعا عليهم بسنين كسني يوسف)، فأصابهم قحط وجهد، حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، وحتى أكلوا العظام، فأتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله استغفر الله لمضر، فإنهم قد هلكوا، فقال: (لمضر إنك لجريء) قال: فدعا الله لهم، فأنزل الله عز وجل: {إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون} قال: فمطروا، فلما أصابتهم الرفاهية، قال: عادوا إلى ما كانوا عليه، قال: فأنزل (٣) الله عز وجل: {فارتقب يوم تأتي

(١) مسلم، صحيح مسلم ٢ / ١٠٧٩ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٣ / ٤٩٤ ؛ الواحدي ، أسباب النزول ١٤٨-١٤٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ٤ / ٣٨٨ ؛ السيوطي ، لباب النقول ٥٥؛الوادعي ، الصحيح المسند من أسباب النزول ٦٧ .

(٢) سورة النساء آية ٢٤ .

(٣) البخاري، صحيح البخاري ٦ / ١١٤ ؛مسلم، صحيح مسلم ٤ / ٢١٥٦ ؛ السيوطي ، لباب النقول ١٧٣-١٧٤ ؛ الوادعي ،الصحيح المسند من أسباب النزول ١٨٢ .

السَّمَاءِ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (١٦) { (١) .

وعاد المشركون للتعنت والمكابرة وقالوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انسب لنا ريك وصفه، فنزلت (٢): { وَالْهَكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } (٣) أي إلهكم المستحق للعبادة إله واحد، لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} أي لا معبود بحق إلا هو جلّ وعلا مُولي النعم ومصدر الإحسان وكان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما (٤)، فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا كيف يسع

(١) سورة الدخان الآيات ١١ - ١٦ .

(٢) السمعاني؛ أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) تفسير القرآن، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ابن غنيم، ط١ دار الوطن، الرياض - السعودية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م / ١ / ١٦١؛ ابن حجر، العجاب في بيان الأسباب ٤١٣ / ١ .

(٣) سورة البقرة آية ١٦٣ .

(٤) عن ابن مسعود، قال: دخل رسول الله ﷺ مكة، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما، فجعل يطعنها ويقول: { وَفُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا } [سورة الإسراء آية ٨١] . ينظر: الطبري، جامع البيان ١٥ / ٦١ .

الناس اله واحد فان كان محمد صادقاً في توحيد الإله فليأتنا بآية نعرف بها صدقه فنزل^(١) قوله تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }^(٢) ولكي يعلموا أنه إله واحد، وأنه إله كل شيء، وخالق كل شيء يعلمهم فيها أن لهم في خلق السموات والأرض وسائر ما ذكر آية بينة على وحدانية الله، وأنه لا شريك له في ملكه لمن عقل وتدبر ذلك بفهم صحيح،^(٣) وكان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١ / ٢٣٢ ؛ بن مخلوف الثعالبي؛ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٧٥هـ) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، ط ١ دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤١٨ هـ / ١ / ٣٤٩ .

(٢) سورة البقرة آية ١٦٤ .

(٣) تفسير الطبري ٣ / ٢٦٨؛ الواحدي ، أسباب النزول ٥١؛ ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ١ / ١٢٨؛ ابن حجر ، العجائب في بيان الأسباب ١ / ٤١٤ ؛ السيوطي ، لباب النقول ٢١ ؛ الزحيلي ، التفسير المنير ٢ / ٥٨ .

يشير قلقهم فاجتمع عتبة^(١) وشيبة^(٢) وأبو سفيان والنضر بن الحارث وأبو البختری^(٣) والوليد بن

(١) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد (ت ٢هـ) كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية. كان موصوفا بالرأي والحلم والفضل، خطيبا، نافذ القول. نشأ بتيما في حجر حرب بن أمية. وأول ما عرف عنه توسطه للصلح في حرب الفجار (بين هوازن وكنانة) وقد رضي الفريقان بحكمه، وانقضت الحرب على يده. وكان يقال: لم يسد من قريش مملق - فقير - إلا عتبة وأبو طالب، فإنهما سادا بغير مال. أدرك الإسلام، وطغى فشهد بدرا مع المشركين. وكان ضخم الجثة، عظيم الهامة، طلب خوذة يلبسها يوم " بدر " فلم يجد ما يسع هامته، فاعتجر على رأسه بثوب له، وقاتل قتالا شديدا، فأحاط به علي بن أبي طالب والحمزة وعبيدة بن الحارث، فقتلوه (ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق ٣٨ / ٢٣٨ - ٢٥٩؛ الزركلي، الأعلام ٤ / ٢٠٠).

(٢) شيبة بن ربيعة بن عبد شمس (ت ٢هـ) من زعماء قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام، وقتل على الوثنية، وهو أحد الذين نزلت فيهم الآية: { كما أنزلنا على المقتسمين } [سورة الحجر آية ٩٠] أي: الذين تتقاسموا شعب مكة ليصدوا عن سبيل الله من يريد رسول الله ﷺ وهم سبعة عشر رجلا، من قريش، اقتسموا عقبات مكة في بدء ظهور الإسلام، وجعلوا دأبهم في أيام موسم الحج أن يصدوا الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ولما كانت وقعة بدر، حضرها شيبة مع مشركيه، ونحر تسع ذبائح لإطعام رجالهم، وقتل فيها. (ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق ٣٨ / ٢٣٨ - ٢٥٩؛ الزركلي، الأعلام ٤ / ١٨١).

(٣) أبو البختری العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، (ت ٢هـ): من زعماء قريش في الجاهلية. كان ممن نقض الصحيفة التي تعاقد فيها مشركو قريش على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب حتى يسلموا إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم واتفق مع آخرين على تمزيقها، فشقوها. ولم يعرف عنه إيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم بل كان في بدء الدعوة يكف الناس عنه، ولما كانت وقعة بدر) حضرها مع المشركين، من قريش وغيرهم: ونحر لهم على ماء بدر عشرة جزر. ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله، إلا أن المجدر بن زياد البلوي قتله، في خبر طويل. (الزركلي، الأعلام ٣ / ٢٤٧).

المغيرة^(١) وأبو جهل^(٢)

(١) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس (ت ١هـ): من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش وكان يقال له "العدل" لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو "البيت" جميعها، والوليد يكسوه وحده. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاما على شربها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته، وهو الذي جمع قريشا وقال: "إن الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد، فتختلف أقوالكم فيه، فيقول هذا: كاهن، ويقول هذا: شاعر، ويقول هذا: مجنون، وليس يشبه واحدا مما يقولون، ولكن أصلح ما قيل فيه "ساحر" لأنه يفرق بين المرء وأخيه والزوج وزوجته! "وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. وهو والد سيف الله خالد بن الوليد. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ١/ ٥٥٧؛ الزركلي، الأعلام ٨/ ١٢٢.

(٢) أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي (ت ٢هـ): أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، سوّدت قريش أبا جهل ولم يطّر شاربه فأدخلته دار الندوة مع الكهول، أدرك الإسلام، وكان يقال له "أبو الحكم" فدعاه المسلمون "أبا جهل". سأله الأحنس بن شريق الثقفي، وكان قد استمعا شيئا من القرآن: ما رأيك يا أبا الحكم في ما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه، والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقاه!. واستمر على عناده، يثير الناس على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لا يفتتر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدا مع المشركين، فكان من قتلها. ينظر: ابن هشام، السيرة ١/ ٧١٠؛ الزركلي، الأعلام ٥/ ٨٧.

وعبد الله بن أبي أمية^(١) وأمّية بن خلف^(٢) ورؤساء قريش عند ظهر الكعبة^(٣) فقال بعضهم لبعض^(٤): "ابعثوا إلى محمد وكلموه وخاصموه حتى تعذروا به، فبعثوا إليه إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فجاءهم سريعا وهو يظن أنه بدأ لهم في أمره بداء، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه تعنتهم حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد إنا والله

(١) عبد الله بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة، إسلامه عام الفتح، وقيل: يوم الطائف، واسم أبي أمية: حذيفة بن المغيرة، أمه: عاتكة بنت عبد المطلب، رمي يوم الطائف رمية فمات شهيدا. (ينظر: أبو نعيم ، معرفة الصحابة ٣ / ١٥٨٩).

(٢) أمية بن خلف بن وهب، من بني لؤي (ت ٢هـ): أحد جبابرة قريش في الجاهلية، ومن ساداتهم، أدرك الإسلام، ولم يسلم، وهو الذي عدّب بلالا " الحبشي في بدء ظهور الإسلام، أسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر، فرآه بلال فصاح بالناس يحرضهم على قتله. فقتلوه. (ينظر: ابن هشام ، سيرة ١ / ٣١٨ ؛ الزركلي ، الأعلام ٢ / ٢٢).

(٣) أبو نعيم الأصبهاني ، دلائل النبوة ٢٠٥ ؛ الأبياري ؛ إبراهيم بن إسماعيل (ت ١٤١٤هـ)، الموسوعة القرآنية ، ط١ مؤسسة سجل العرب ١٤٠٥ هـ ، ١ / ٥٤ .

(٤) البغوي ، التفسير ٥ / ١٢٨-١٢٩؛ الواحدي ، أسباب النزول ٢٩٢-٢٩٤؛ ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ٣ / ٥٣ .

لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفّهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة، وما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا لتطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا ما تكون به أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الرئي^(١) الذي يأتيك نراه قد غلب عليك، بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ما بي ما تقولون، ما جئتم بما جئتم به لطلب أموالكم ولا للشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله عز وجل بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم)، قالوا له: يا محمد إن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك علمت أنه ليس أحد أضيّق بلاداً ولا أقلّ مالا ولا أشدّ عيشاً منا، سل لنا ريك الذي بعثك بما بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا، ويبسط لنا بلادنا ويجري فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق، وأن يبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن ممن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا، فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل؟، فإن صنعت ما سألتناك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولا كما تقول، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ما بهذا بعثت إنما جئتم من عند الله سبحانه، بما بعثني به، فقد بلغتم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوا

(١) الرئي من الجن، معه تابعة أي من الجن. (ابن منظور ، لسان العرب ٨ / ٢٩).

فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه أصبر لأمر الله) ، قالوا: فإن لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك، وسله فيجعل لك جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ويغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم في الأسواق كما تقوم وتلتمس المعاش كما نلتمسه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت بهذا إليكم، ولكن الله تعالى بعثني بشيرا ونذيرا) قالوا: فأسقط علينا كسفا من السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ذلك إلى الله إن شاء فعل)، فقال قائل منهم: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً^(١)، وقال عبد الله بن أمية المخزومي، وهو ابن عاتكة بنت عبد المطلب ابن عمه النبي - صلى الله عليه وسلم - لا أؤمن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما وترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، فانصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أهله حزينا بما فاته من متابعة قومه، ولما رأى من مبادئهم منه؛ فأُنزل^(٢) الله تعالى: { وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكِ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَافًا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِئًا وَمَلَأَكَةَ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُرْفٍ أَوْ تَرْقَى فِي

(١) ابن هشام ، السيرة ١ / ٣٠٩ .

(٢) البغوي ، التفسير ٥ / ١٢٨-١٢٩؛ الواحدي ، أسباب النزول ٢٩٢-٢٩٤؛ ابن الجوزي ، زاد

المسير في علم التفسير ٣ / ٥٣ .

السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفِيكَ حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قَلَّ سَبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا { (١) } .

واجه المشركون دعوة الرسول ﷺ بكثرة الاسئلة وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فأُنزل (٢) الله تعالى: { قَلَّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } (٣) هذه السورة التي تحمل صفات الباري عزَّ وجلَّ وبكلمات موجزة جامعة رداً على المشركين وأكمل حديث عن التوحيد تقريراً، وإثباتاً لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وتجريد محبته والإخلاص له، وخوفه ورجاؤه، والتوكل عليه والرضا به رباً وإلهاً وولياً، وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء، وهو توحيد الإلهية (٤) ، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا

(١) سورة الاسراء الآيات ٩٠-٩٣ .

(٢) الطبري ، التفسير ٢٤ / ٧٣٤؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٤ / ٤٥٣؛ الواحدي ، أسباب النزول ٤٧١-٤٧٢ ؛ ابن كثير ، التفسير ٨ / ٤٨٨-٤٨٩ ؛ محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي (ت ١٠٩٤هـ) ، جمع الفوائد من جامع الأصول - ومجمع الزوائد ، تحقيق وتخريج: أبو علي سليمان بن دريع ، ط ١ مكتبة ابن كثير ، الكويت - دار ابن حزم، بيروت ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، ٣ / ٢٢٨ ؛ حكمت بن بشير بن ياسين ، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ٤ / ٦٨١ .

(٣) سورة الإخلاص الآيات ١-٤ .

(٤) ينظر: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت ١٣٧٧هـ) ، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر ط ١ دار ابن القيم - الدمام، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ، ١ / ٥٤ .

سيورث، وإن الله جل ثناؤه لا يموت ولا يورث { ولم يكن له كفوا أحد } ولم يكن له شبيهه ولا عدل، وقوله عز وجل: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }^(١) (الصمد) السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفاته، لا تتبغى إلا له. { ولم يكن له كفوا أحد } لم يكن له شبيهه ولا عدل وليس كمثلته شيء ، فسبحان الله الواحد القهار^(٢).

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قائلا: [إنه خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (أقرأ عليكم ثلث القرآن)^(٣) ، فقرأ: قل هو الله أحد الله الصمد حتى ختمها، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (سلوه لأي شيء يصنع

(١) سورة الشورى الآية ١١.

(٢) أبو الشيخ الأصبهاني؛ أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري (ت ٣٦٩هـ)،

العظمة ، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط١ دار العاصمة - الرياض

١٤٠٨ هـ، ١ / ٣٨٣ ؛ العيني ، عمدة القاري ٢٠ / ٩ .

(٣) مسلم، صحيح مسلم ١ / ٥٥٧ .

ذلك؟) فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أخبروه أن الله يحبه)[^(١)].

وكان رسول الله ﷺ يبعث الرسل لتبليغ رسالة ربِّ العالمين للناس فكان منهم عتاة لا يستجيبون للرسول كما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قائلاً: "بعث النبي ﷺ مرة رجلاً إلى رجلٍ من فراعنة العرب، أن ادعه لي، فقال: يا رسول الله، إنه أعتى من ذلك! قال: (اذهب إليه فادعه). قال: فأتاه فقال: رسول الله ﷺ يدعوك! فقال: من رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو، أم من فضة، أم من نحاس؟ قال: فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره، فقال: (ارجع إليه فادعه) قال: فأتاه فأعاد عليه ورد عليه مثل الجواب الأول، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: (ارجع إليه فادعه) قال: فرجع إليه، فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما، إذ بعث الله سحابة بحيال رأسه فرعدت، فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه، فأنزل^(٢) الله تعالى:

{ وَيَسْبِحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمَحَالِّ }^(٣) وهو شديد المحال، قال علي رضي الله عنه: شديد الأخذ، له دعوة الحق، التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله^(٤).

(١) المصدر نفسه ١ / ٥٥٧.

(٢) الطبري، جامع البيان ١٦ / ٣٩٢؛ الواحدي، أسباب النزول ٢٧١؛ الوادعي، الصحيح

المسند من أسباب النزول ١٢١.

(٣) سورة الرعد آية ١٣.

(٤) البغوي، التفسير ٣ / ١٢.

وكان المشركون يبحثون عن أي شبهة للمحاجبة وليس لطلب الحق فلما تهجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات ليلة بمكة، فجعل يقول في سجوده: يا رحمن يا رحيم، فقال المشركون: كان محمد يدعو إليها واحدا فهو الآن يدعو إلهين اثنين: الله والرحمن، ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، فأنزل^(١) الله تعالى {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا^(٢)} أي قل أيها الرسول لمشركي قومك الذين أنكروا اسمَ الرَّحْمَنِ سَمَوًا اللَّهُ أَيُّهَا الْقَوْمُ أَوْ سَمُوا الرَّحْمَنَ، فبأي أسمائه جلَّ جلاله تسمونه فهو حسن؛ لأنَّ كلَّ أسمائه حسنى، إذ فيها التعظيم والتقديس لأعظم موجود، وهو خالق السموات والأرض وهذان الاسمان منها^(٣) فأسماءه تعالى كثيرة لكثرة أوصافه وتعدد كماله، فكل واحد منها دل على صفة كمال^(٤) و أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ مَا اقْتَضَى أَحَبُّ الْأَوْصَافِ إِلَيْهِ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أحبُّ الأسماء إلى الله عبد الله

(١) ينظر: الطبري، التفسير ١٥ / ١٢٤؛ الواحدي، أسباب النزول ٢٩٤؛ السمعاني، التفسير ٣ / ٩٣؛ البغوي، التفسير ٥ / ١٣٧؛ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير ٣ / ٦٠؛ ابن كثير، التفسير ٥ / ١٢٨؛ الزحيلي، التفسير المنير ٩ / ١٧٢.

(٢) سورة الاسراء آية ١١٠ .

(٣) أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) تفسير المراغي، ط ١ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٥ هـ ١٥ / ١٠٩ .

(٤) ابن القيم، طريق الهجرتين ١٢٥؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٨٥ .

وعبد الرحمن)^(١) بإضافة العبودية إلى اسمه " الله " و " الرحمن " ، وهذا لأنّ التعلق الذي بين العبد وربه إنّما هو العبودية المحضّة، والتعلق بَيْنَ الله وَبَيْنَ الْعَبْدِ بِالرَّحْمَةِ الْمَحْضَةِ، فَبِرَحْمَتِهِ كَانَ وجوده وكمالُه، والغاية التي أوجده لأجلها أن يتألّه وحده محبة وخوفا ورجاء^(٢)

والمأ من قريش متعاونين على الباطل والجدال والمكابرة فعندما اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والعاص بن هشام، والنضر بن الحارث، ونظراؤهم، فقالوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفًا على أبي قبيس ونصفًا على قعيقعان^(٣)، فقال لهم النبي ﷺ: (إن فعلت تؤمنوا؟) قالوا: نعم ، وكانت ليلة بدر، فسأل الله عزوجل أن يعطيه ما سألوا، فأمسى القمر قد سلب نصفًا على أبي قبيس^(٤) ونصفًا على

-
- (١) مصنف ابن أبي شيبة ٥ / ٢٦٣؛ سنن الدارمي ٣ / ١٧٦٦؛ سنن الترمذي ٥ / ١٣٢ .
(٢) ينظر: الطبري ، جامع البيان ١ / ١٦١ ؛ محمد بن سليمان التميمي (ت ١٢٠٦هـ) ، مختصر زاد المعاد ، ط ٢ ، دار الريان للتراث - القاهرة ، ١٤٠٧ هـ ، ٧٠ .
(٣) جبل بمكة . و أنّ جرهما وقطورا لما احتزبت بمكة، قعقت السلاح بذلك المكان، فسّمى قعيقعان . (البكري ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ٣ / ١٠٨٦)
(٤) جبل أبي قبيس، وهو الجبل الذي يشرف على الصّفا. البكري، المسالك والممالك ١ / ٤٠١).

قعيقان، ورسول الله ﷺ ينادي: يا أبا سلمة بن عبد الأسد^(١) والأرقم بن الأرقم اشهدوا ، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة سحركم، فاسألوا السفار فسألوهم فقالوا: نعم قد رأينا، فأُنزل^(٢) الله عز وجل { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ }^(٣).

وكان بين قريش والفرس علاقات ومكاتبات فلما أنزل الله تعالى تحريم الميتة كتب المجوس من أهل فارس إلى مشركي قريش إنَّ محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون أن ما ذبحوا فهو حلال وما ذبح الله فهو حرام فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء،

(١) عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ابن عمه رسول الله صلى عليه وسلم، أمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم، أخو النبي ﷺ من الرضاعة، يكنى أبا سلمة، ذو الهجرتين: هجرة الحبشة والمدينة، وولد له بالحبشة عمر بن أبي سلمة، كان أول من هاجر من قريش إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة معه امرأته أم سلمة، توفي بعد أن شهد بدرا بالمدينة، وحضره رسول الله ﷺ فأغمضه فقال: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلف في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يوم الدين» (أبو نعيم ، معرفة الصحابة ٣ / ١٦٩٦) .

(٢) الواحدي ،أسباب النزول ٤٠٠ ؛ ابن كثير، السيرة النبوية ٢ / ١١٦ .

(٣) سورة القمر الآيتين ١ ، ٢ .

فأنزل^(١) الله تعالى { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ }^(٢) .

ولما كان المشركون في مكة يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله، جاء القرآن في عامة نصوصه ينكر على المشركين شركهم بالله، ويسخر من عقول عباد الأصنام والأوثان، ويسفه أحلامهم، ويكشف لهم عن حقارة هذه الأصنام وعجزها، وأنها لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعاً ولا ضرراً، ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً، فكيف يعبدونها من دون الله؟ لكن قريشاً اهل خصام وجدل فلما نزل قوله تعالى : { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ }^(٣) .

أي : جميع المعبودات مع عابديها في النار ليوفظ تلك العقول الجامدة لعل أصحابها يتعمقون في التفكير فشق ذلك على قريش، فقالوا: أيشتم آلهتنا؟ فجاء ابن الزبيري^(٤) فقال: ما لكم؟ قالوا يشتم آلهتنا، قال: فما قال؟ قالوا:

(١) الطبري ، جامع البيان ٩ / ٥٢٠ ؛ ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ٢ / ٧٢ ؛ ابن

كثير ، التفسير ٣ / ٣٢٩ ؛ فتح القدير للشوكاني ٢ / ١٨٠ .

(٢) سورة الانعام آية ١٢١ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٩٨ .

(٤) عبد الله بن الزبيري بن قيس السهمي القرشي (ت ١٥ هـ) ، أبو سعد: شاعر قريش في

الجاهلية، كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال فيه حسان

أبياتا، فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر، ومدح النبي ﷺ فأمر له بحلة (الخركوشي ؛ أبو

سعد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٤٠٧ هـ)، شرف المصطفى ، ط ١ دار

البشائر الإسلامية - مكة ١٤٢٤ هـ ١ / ٣٢٣ ؛ اللزركلي، الأعلام ٤ / ٨٧) .

قال: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ }^(١) قال: ادعوه لي، فلما دعي النبي - ﷺ - قال: يا محمد هذا شيء لألهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله؟ قال: (لا، بل لكل من عبد من دون الله)، فقال ابن الزبير: خصمت ورب هذه البنية - يعني الكعبة - ألسنت تزعم أن الملائكة عباد صالحون وأن عيسى عبد صالح وأن عزيزا عبد صالح، قال: (بلى)، قال: فهذه بنو مليح يعبدون الملائكة، وهذه النصارى يعبدون عيسى عليه السلام، وهذه اليهود يعبدون عزيزا، قال: فصاح أهل مكة، فأُنزل^(٢) الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ }^(٣) الملائكة وعيسى وعزيز عليهم السلام { أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ } والملائكة والأنبياء بل الصالحون يستحقون المحبة والمواودة

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٨.

(٢) الواحدي ، أسباب النزول ٣٠٥ - ٣٠٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق ٤٠ / ٣٢٩؛ الشوكاني ، فتح القدير ٣ / ٥٠٧؛ الواحدي ، الصحيح المسند من أسباب النزول ١٣٥.

(٣) سورة الأنبياء الآيتان ١٠١ ، ١٠٢ .

والتكريم والثناء لكن يحرم الغلوّ فيهم والشرك بهم، والصراط المستقيم صراط
الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، هو القيام
بما أمر الله به ورسله (١) .

المبحث الثاني

المشركون واثرم السيء على الدعوة الاسلامية

كان للمشركين دورٌ كبيرٌ بصد الناس عن الاسلام واثّر كبيرٌ على خاتمة ابي طالب الذي كان
يُدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفاعاً عظيماً، وما استطاعت قريش أن تتال من
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يوم كان حياً، فلما حضرت الوفاة أبا طالب جاءه رسول
الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: (يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله) فقال أبو
جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم:
هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: (أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك)، فأنزل (٢) الله عز وجل: { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ

(١) ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، الرد على الإخنائي، ط ١، المكتبة العصرية - بيروت
٢٢٣هـ ١٤٢١.

(٢) البخاري، صحيح البخاري ٥/ ٥٢؛ مسلم، صحيح مسلم ١/ ٥٤؛ الواحدي، أسباب النزول
٢٦٠-٢٦٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ١/ ٦١٠؛ السيوطي، لباب النقول ١١٣؛ الواحدي،
الصحيح المسند من أسباب النزول ١١١.

وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قَرَبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهَا أَسْحَابُ الْجَحِيمِ { (١) وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي أَبِي طَالِبٍ، مَخَاطِبًا رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (٢) لَقَدْ كَانَ الْحَصْنُ الَّذِي تَحْتَمِي بِهِ الدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنْ هَجَمَاتِ الْكِبْرَاءِ وَالسَّفَهَاءِ وَلَكِنَّهُ بَقِيَ عَلَى مِلَّةِ الْأَشْيَاحِ مِنْ أَجْدَادِهِ، وَلِأَنَّ الشَّرْكَ بِاللَّهِ تَعَالَىٰ يَحْبِطُ الْأَعْمَالَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (٣) .

وكان رسول الله ﷺ شديد الحرص على إسلام المشركين فعندما دعاه عقبة ابن أبي معيط الى الطعام شرط عليه الاسلام وكان يجلس مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمكة لا يؤذيه وكان رجلا حليما، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه، وكان عقبة خليلا لأمية بن خلف ، فقالت قريش: صبا أبو معيط وقدم خليله من الشام ليلا فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه؟ فقالت: أشد مما كان أمرا. فقال: ما فعل خليلي أبو معيط؟ فقالت: صبا. فبات بليلة سوء! فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه فلم يرد عليه التحية فقال: مالك لا ترد علي تحيتي؟ فقال: كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت؟ فقال: أوقد فعلتها قريش؟ قال فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلت؟ قال: تأتيه في مجلسه وتبزق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلمه

(١) سورة التوبة آية ١١٣ .

(٢) سورة القصص آية ٥٦ .

(٣) سورة الزمر آية ٦٥ .

من الشتم، ففعل، فلم يزد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن مسح وجهه من البزاق ثم التفت إليه فقال: (إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً) فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: اخرج معنا، قال قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقي صبراً، فقالوا: لك جمل أحمر لا يدرك فلو كانت الهزيمة طرت عليه، فخرج معهم فلما هزم الله المشركين وحل^(١) به جملة في جدد من الأرض فأخذه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أسيراً في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو معيط، فقال: تقتلني من بين هؤلاء. قال: (نعم بما بزقت في وجهي) فلما أراد قتله قال: يا محمد من للصبيّة؟ قال: (النار)، فقتل وصلب، وهو أول مصلوب في الإسلام^(٢)، فأُنزل^(٣) الله في أبي معيط: قوله تعالى: { ويوم يعضُّ الظالمُ على يديه يقولُ يا ليتني اتخذتُ مع الرسولِ سبيلاً (٢٧) يا ويلتني ليتني لم أتخذُ فلاناً خليلاً (٢٨) لقد أضلني عن الذكرِ بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً }^(٤)

(١) الوحل: الطين الرقيق الذي ترتطم فيه الدواب. (ابن منظور ، لسان العرب ١١ / ٧٢٣).

(٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ١ / ٦٦٧- ٦٧٣.

(٣) مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٤هـ)، تفسير مجاهد، المحقق: محمد

عبد السلام أبو النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر ١٤١٠ هـ ، ٥٠٣؛ الطبري ،

جامع البيان ١٩ / ٢٦٢-٢٦٣؛ ابن أبي حاتم ، التفسير ٨ / ٢٦٨٥؛ الواحدي ، أسباب النزول

٣٣٣ ؛ الواحدي ، الصحيح المسند من أسباب النزول ١٥٣-١٥٤.

(٤) سورة الفرقان الآيات ٢٧-٢٩ .

يخبر الله تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول وما جاء به من عند الله تعالى من الحق المبين، الذي لا مرية فيه، وسلك طريقا أخرى غير سبيل الرسول ﷺ، فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم، وعَضَّ على يديه حسرة وأسفا ، وإنَّها عامة في كل ظالم^(١)، كما قال تعالى: { يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا }^(٢) .

وكان المشركون يؤذون الرسول ﷺ وهو يريد لهم خيري الدنيا والآخرة ولما نزلت: { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ }^(٣)، صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا، فجعل ينادي: (يا بني فهر، يا بني عدي) - لبطون قريش - حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: (أرأيتم لو أخبرتم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟) قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتمنا؟ فنزل^(٤) قوله تعالى: { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٦ / ١٠٨ .

(٢) سورة الاحزاب الآيات ٦٦-٦٨ .

(٣) سورة الشعراء آية ٢١٤ .

(٤) البخاري، صحيح البخاري ٦ / ١١١؛ الواحدي ، أسباب النزول ٤٦٩-٤٧٠؛ ابن كثير ،

البداية والنهاية ٣ / ٥١؛ السيوطي ، لباب النقول ٢١٩ .

وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ^(١) .

سَيَصْلَىٰ نَارًا سيجد حرّها ويذوق وبالها، ذَاتَ لَهَبٍ لَهَبِ النَّارِ: ما يسطع منها عند اشتعالها، وذات لَهَبٍ: أي تلهب وتوقد، وهي مناسبة لكنيته بأبي لَهَبٍ: أي تلهب وجهه إشراقا وحمرة. وَأَمْرَأَتُهُ أُم جَمِيلٌ^(٢) ، حَمَّالَةَ الْحَطَبِ أي تحمله حقيقة، فتحمل حزمة الشوك والحسك، وتنتثرها بالليل في طريق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣). فِي جِيدِهَا فِي عُنُقِهَا. حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ حبل مفتول من ليف، أي مما مسد أي فتل وربط الحبل على هذه الصورة: تصوير لها بصورة الحطّابة التي تحمل الحزمة، وتربطها في عنقها، تحقيرا لشأنها، أو

(١) سورة المسد الآيات ١ - ٥ .

(٢) أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان - لا تقل عن زوجها في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم، كانت امرأة سليطة اللسان، وتطيل عليه الإفتراء والدس، وتؤجج نار الفتنة، وتثير حربا شعواء على النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك وصفها القرآن بحمالة الحطب. (ينظر: بن بشكوال ؛ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الخزرجي الأنصاري الأندلسي (ت ٥٧٨هـ) غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة ، المحقق: عز الدين علي السيد ، محمد كمال الدين عز الدين ط ١ عالم الكتب - بيروت ١٤٠٧ ، ١ / ١٩٠ ؛ المباركفوري ، الرحيق المختوم ٧٥ - ٧٦) .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٥ .

بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع، وفي جيدها سلسلة من النار^(١) .

وكانت ردود فعل المشركين تجاه الدعوة الاسلامية بممارسة مختلف أنواع الأساليب لا يذاء رسول الله ﷺ وصحابته فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نُحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور^(٢) بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد ﷺ - إذا سجد، فانبعث اشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم انظر، ولو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبي ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة رضي الله عنها فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه، ثم اقبلت عليهم تشتمهم فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان اذا دعا دعا ثلاثاً، واذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، ثم قال اللهم عليك بابي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وامية بن خلف، وعقبة بن ابي معيط، وذكر السابع ولم أحفظه فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق، لقد

(١) الزحيلي ، التفسير المنير ٣٠ / ٤٥٦ .

(٢) اللقافة التي يكون فيها ولد الناقه في بطن امه . ينظر: النووي ، شرح صحيح مسلم، ١٢ / (١٥١ ، ١٥٢) .

رأيت الذي سمى، صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر)^(١) .

وكانت قريش تسمى الحمس^(٢) وذلك لأنهم عظموا الحرم تعظيما زائدا بحيث التزموا بسببه أن لا يخرجوا منه ليلة عرفة وكانوا يقولون: نحن أبناء الحرم وقطان^(٣) بيت الله فكانوا لا يقفون بعرفات مع علمهم أنها من مشاعر إبراهيم عليه السلام - حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا قرروه من البدعة الفاسدة وكانوا يمنعون الحجيج والعمار أن يأكلوا إلا من طعام قريش ولا يطوفوا إلا في ثياب قريش فإن لم يجد أحد منهم ثوب أحد من الحمس طاف عريانا ولو كانت امرأة ولهذا كانت المرأة تقول من يعيرني تطوفا^(٤)

(١) مسلم، صحيح مسلم ١٤١٨/٣ .

(٢) سموا حمسا؛ لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا وكانوا سكان الحرم ولا يخرجون أيام الموسم إلى عرفات إنما يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم . ينظر: ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث ١ / ٤٤٠؛ ابن منظور، لسان العرب ٦ / ٥٨ .

(٣) وهم المقيمون بالموضع لا يكادون يبرحونه. (الزبيدي ، تاج العروس ٣٦ / ٥).

(٤) تطوفا: هو ثوب تلبسه المرأة تطوف به وكان أهل الجاهلية يطوفون عراة ويرمون ثيابهم ويتركونها ملقاة على الأرض ولا يأخذونها أبدا ويتركونها تداس بالأرجل حتى تبلى ويسمى اللقاء حتى جاء الإسلام فأمر الله تعالى بستر العورة فقال تعالى {خذوا زينتكم عند كل مسجد} وقال النبي ﷺ لا يطوف بالبيت عريان . (مسلم، شرح صحيح مسلم ٤ / ٢٣٢٠).

وأكثر ما كان الناس يطوفون عراة بالليل، ^(١) فكانوا كذلك حتى بعث الله محمدا ﷺ وأنزل عليه القرآن ورد عليهم فيما ابتدعوه فقال: { تُمْ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } ^(٢) وأن رسول الله ﷺ كان يقف بعرفات قبل أن ينزل عليه توفيقا من الله تعالى له ^(٣).

وكان كفار قريش قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد كلما طافوا شوطا سجدوا لأصنامهم، ولم يزدادوا بذلك من الله تعالى إلا بعدا وما ينبغي للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله، وعلى المسلمين منعهم من ذلك؛ لأن المساجد تعمر لعبادة الله وحده، إمّا بلزومها وكثرة إتيانها، وإمّا بالعمارة أي بالبناء ولا يكون الكافر صاحب منة على المسلمين والكافر نجس في الحكم ^(٤)، لقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } ^(٥) ولا يجترز من النجاسة، وتطهير المسجد واجب، لقوله تعالى: { وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ

(١) ابن كثير ، السيرة النبوية ١ / ٢٨٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٩ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢ / ٣٧٤ .

(٤) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب ١٠ / ٤٣ .

(٥) سورة التوبة آية ٢٨ .

مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ مَصَلَّى وَعَهَدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ {^(١) }
 ،وَكَانَتْ قَرِيشٌ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَرَاءَ تَصْفَرُّ وَتَصَفَّقُ، وَكَانَ الْمَكَاءُ وَالتَّصَدِيَّةُ نَوْعَ عِبَادَةٍ لَهُمْ، أَنَّ
 صَلَاتِهِمْ عِنْدَ الْبَيْتِ، وَتَقَرُّبِهِمْ، وَعِبَادَتِهِمْ إِنَّمَا كَانَ تَصْفِيرًا وَتَصْفِيقًا، لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ تَعْظِيمٌ
 لِرَبِّهِمْ، وَلَا مَعْرِفَةٌ بِحَقِّهِ، وَلَا احْتِرَامٌ لِأَفْضَلِ الْبِقَاعِ وَأَشْرَفِهَا وَلَا يَحْتَرِمُونَ حَرَمَةَ الْبَيْتِ
 ،وَوَصَفَ ابْنُ عَمْرِو صَلَاتِهِمْ عِنْدَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ قَائِلًا: كَانُوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ وَيَصْفِقُونَ، وَوَصَفَ
 الصَّفِيقَ بِيَدِهِ، وَيَصْفِرُونَ، وَوَصَفَ صَفِيرَهُمْ، وَيَضَعُونَ خُدُودَهُمْ بِالْأَرْضِ فَنَزَلَتْ {^(٢) } وَمَا كَانَ
 صَلَاتِهِمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاءٌ وَتَصَدِيَّةٌ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ {^(٣) }

وَأَنْزَلَ {^(٤) } اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ رِداً عَلَيْهِمْ فِيمَا كَانُوا حَرَمُوا مِنَ الْبِطَاسِ وَالطَّعَامِ عَلَى النَّاسِ: { يَا بَنِي
 آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي
 أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
 يَعْلَمُونَ } {

(١) سورة البقرة آية ١٢٥ .

(٢) الواحدي ، أسباب النزول ٢٣٦ ؛ الزحيلي ، التفسير المنير ٩ / ٣١٥ .

(٣) سورة الأنفال الآية ٣٥ .

(٤) مسلم ، صحيح مسلم ٤ / ٢٣٢٠ ؛ الواحدي ، أسباب النزول ٢٢٥ - ٢٢٦ ؛ الواحدي ،

الصحيح المسند من أسباب النزول ٩٥ ؛ الالباني ، صحيح السيرة النبوية ٤٨ .

(١) وقال النبي ﷺ: (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة)^(٢) وقال رسول الله ﷺ: (لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء)^(٣) .

وأن الأنصار كانوا إذا حجوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم إذا رجع أحدهم إلى بيته بعد إحرامه قبل تمام حجه لأنهم يعتقدون أن المحرم لا يجوز أن يحول بينه وبين السماء حائل وكانوا يتسنمون^(٤) . ظهور بيوتهم^(٥) فعن البراء رضي الله عنه، قال: [كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا، لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار، فدخل من قبل بابه، فكأنه عير بذلك، فنزلت^(٦)]: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }^(٧) نزلت هذه الآية فينا، يسألك أصحابك -أيها النبي-: عن الأهلة وتغير أحوالها، قل لهم: جعل الله الأهلة علامات يعرف بها الناس أوقات عباداتهم المحددة

(١) سورة الاعراف الآيتين ٣١ ، ٣٢ .

(٢) البخاري، صحيح البخاري ١٤١ / ٧ .

(٣) المصدر نفسه ١٤١ / ٧ .

(٤) تسنم السحاب الأرض إذا جادها. وتسنم الفحل الناقة إذا ركب ظهرها وأسمن الدخان أي ارتفع. وأسمنت النار: عظم لهيها . (ابن منظور ،لسان العرب ٣٠٦ / ١٢).

(٥) أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير ٢ / ٢٣٧ ؛ الشوكاني ، فتح القدير ١ / ٢١٨ .

(٦) البخاري، صحيح البخاري ٨ / ٣ ؛مسلم، صحيح مسلم ٢٣١٩ / ٤ .

(٧) سورة البقرة الآية ١٨٩ .

بوقت مثل الصيام والحج، ومعاملاتهم. وليس الخير ما تعودتم عليه في الجاهلية وأول الإسلام من دخول البيوت من ظهورها حين تُحرمون بالحج أو العمرة، ظانين أن ذلك قربة إلى الله، ولكنّ الخير هو فعلٌ من اتقى الله واجتنب المعاصي، وادخلوا البيوت من أبوابها عند إحرامكم بالحج أو العمرة، واخشوا الله تعالى في كل أموركم، لتفوزوا بكل ما تحبون من خيري الدنيا والآخرة^(١)، وكان الأنصار قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل^(٢)، فكانوا يخرجون بالطواف بالصفاء والمروة، فلما أسلموا، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتخرج ان نطوف بين الصفا والمروة، فأُنزل^(٣) فأُنزل^(٣) الله تعالى: { إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ }^(٤).

-
- (١) البغوي ، معالم التنزيل ١ / ٢١٢ ؛ عبد الله بن عبد المحسن التركي، التفسير الميسر ٢٠٣
- (٢) أقدمها كلها مناة وقد كانت العرب تسمي عبد مناة، وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة وما قارب ذلك من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له. (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٥ / ٢٠٤).
- (٣) البخاري، صحيح البخاري ٢ / ١٥٧ ، ٣ / ٦ ؛ مسلم، صحيح مسلم ٢ / ٩٢٨ ؛ الواحدي ، أسباب النزول ٤٧ ؛ ابن حجر ، العجَاب في بيان الأسباب ١ / ٤٠٦ ؛ الوادعي ، الصحيح المسند من أسباب النزول ٢٤ .
- (٤) سورة البقرة آية ١٥٨ .

ولما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا، وكان بالمدينة تجار يطففون، وكانت بيعاتهم كشبه القمار المنابذة والملامسة والمخاطرة^(١) وكان بها رجل يقال له: "أبو جهينة" ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل^(٢) الله تعالى:

{ وَيَلِ لِلْمُطَفِّينَ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }^(٣) فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السوق وَقَرَأَهَا فَأَحْسَنُوا الْكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ وَهِيَ أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ^(٤).

وكان المشركون يفتخرون بعمارة المسجد، والحجابه، والسقاية وغيرها من اعمال البر فرد عليهم البارى عز وجل بان الشرك قد احبط اعمالهم فقد روى ابن عباس رضى الله عنهما: انه لما أسر العباس يوم

(١) المنابذة : نبذت الشيء إذا رميته ، أن يقول الرجل لصاحبه: انبذ إلي الثوب أي ألقه ليجب البيع؛ الملامسة أن يقول: إذا لمست ثوبي أو لمست ثوبك فقد وجب البيع؛ المخاطرة : المناحبة والمراهنة. ابن الاثير ،النهاية في غريب الحديث والأثر ٥ / ٦ ، ٤ / ٢٦٩ ، ٥ / ٢٧ .

(٢) الطبري ، جامع البيان ٢٤ / ٢٧٧؛ صحيح ابن حبان ١١ / ٢٨٦؛ البغوي ، معالم التنزيل ٥ / ٢٢١؛ نُور الدَّيْنِ الحَلْبِيِّ علي بن إبراهيم بن أحمد ا ، أبو الفرج ، (ت ١٠٤٤هـ)، السيرة الحلبية ، ط ٢ دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٧هـ ، ٢ / ١١٥ .

(٣) سورة المطففين الآيات ١ - ٦ .

(٤) النسائي، السنن الكبرى ١٠ / ٣٢٧ ؛ الواحدي ، أسباب النزول ١٣ ، ٤٥٢ ؛ ابن حجر ، فتح البارى ٨ / ٦٩٦ ؛ السيوطي ، لباب النقول ٢١٠ .

بدر عَيْرُهُ المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم، وأغلظ علي رضي الله عنه له القول، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا؟ فقال له علي رضي الله عنه: ألكم محاسن؟ فقال: نعم، إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب^(١) الكعبة ونسقي الحاج، فأُنزل^(٢) الله عز وجل رداً على العباس: { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧) } إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ }^(٣) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ، وَلَمْ يَخْفَ فِي الدِّينِ غَيْرَ اللَّهِ وَلَمْ يترك أمر الله ونهيه لخشية غيره، و ما ينبغي للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله، لقد استبدلوا الركوع والسجود بالمكاء والتصدية فبأي شيء كانوا أولى بهذا البيت من المؤمنين الذين هم في

(١) الحاجب الشعر النابت على العظم، سمي بذلك لأنه يحجب عن العين شعاع الشمس، وحاجب الأمير واستحجبه ولاه الحجة والحجاجة: ولاية الحاجب (ابن منظور ، لسان العرب ١ / ٢٩٩) .

(٢) مقاتل بن سليمان، التفسير ٢ / ١٦٢؛ الواحدي ، أسباب النزول ٢٤٣؛ البغوي ، معالم التنزيل ٢ / ٣٢٣؛ ابن عادل ، اللباب في علوم الكتاب ١٠ / ٤٢-٤٣ ؛ علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (ت ١٠٤٤هـ) ، السيرة الحلبية ؛ إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ط ٢ ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢٧هـ ٢ / ٢٧٢ .

(٣) سورة التوبة الآيتين ١٧ ، ١٨ .

صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، إلى آخر ما وصفهم الله به من الصفات الحميدة، والأفعال السديدة، لا جرم أن الله أورثهم بيته الحرام، ومكنتهم منه^(١)، فالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله بالمال، والنفس أفضل وأعظم درجة عند الله من أعمال السقاية والسدانة أو العمارة، فعن النعمان بن بشير، قال: كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه،

فأنزل^(٢) الله عز وجل: {أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (٣).

(١) الشوكاني، فتح القدير ٢ / ٣٥١؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . ٣٢٠.

(٢) مسلم، صحيح مسلم ٣ / ١٤٩٩؛ الواحدي، أسباب النزول ٢٤٣ - ٢٤٤؛ البغوي، معالم التنزيل ٤ / ٢٢؛ السيوطي، لباب النقول ١٠٢ - ١٠٣؛ الواحدي، الصحيح المسند من أسباب النزول ١٠٦.

(٣) سورة التوبة آية ١٩ .

وكانت العلاقات الاجتماعية مبنية على الظلم والجور ولاسيما مع النساء كما في الإيلاء والطلاق وكان إيلاء^(١) أهل الجاهلية السنة والسنتين وأكثر من ذلك، فكان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها أبداً، ويتركها لا أيما ولا ذات بعل، فجعل الله تعالى الأجل أربعة أشهر وأنزل^(٢) الله تعالى: { لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نَسَائِهِمْ تَرِيصَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }^(٣) وكذلك الطلاق كان الرجل إذا طلق امرأته ثم راجعها قبل أن تنقضي عدتها، كان ذلك له، وإن طلقها ألف مرة، فعمد رجل إلى امرأة له فطلقها، ثم أمهلها حتى إذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها، ثم طلقها وقال: والله لا آويك إلي ولا تحلين أبداً، فأنزل^(٤) الله عز وجل { الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا

-
- (١) وهو اليمين ويكون في الضرار والغضب بالامتناع من الدخول، وللإيلاء في الفقه أحكام تخصه لا يسمى إيلاء دونها. (ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ١٤ / ٤٠ - ٤١) .
- (٢) الواحدي ، أسباب النزول ٧٩؛ ابن حجر ، العجائب في بيان الأسباب ١ / ٥٧٩ .
- (٣) سورة البقرة آية ٢٢٦ .
- (٤) الواحدي ، أسباب النزول ٧٩-٨٠ ؛ ابن حجر ، العجائب في بيان الأسباب ١ / ٥٨٣ .

أَلَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }^(١) .

ومن مضار الجاهلية التي غيرها الإسلام منع الزوجة من العودة لزوجها فقد زوج معقل بن يسار أخته جمل بنت يسار من رجل من المسلمين هو أبو البداح بن عاصم الأنصاري^(٢) ، وكانت، عنده ما كانت فطلقها تطليقة ثم تركها ومضت العدة، فكانت أحق بنفسها، فخطبها مع الخطاب فرضيت أن ترجع إليه، فخطبها إلى معقل بن يسار، فغضب معقل وقال: أكرمتك بها فطلقتها، لا والله لا ترجع إليك بعدها، فأُنزل^(٣) {وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }^(٤) أي لا تضيقوا عليهن بمنعكم إياهن أيها

(١) سورة البقرة آية ٢٢٩ .

(٢) ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٧ / ٣٠ .

(٣) البخاري، صحيح البخاري ٧ / ١٦؛ الواحدي ، أسباب النزول ٨٢؛ ابن حجر ، العجايب في بيان الأسباب ١ / ٥٩٢؛ الواحدي ، الصحيح المسند من أسباب النزول ٣٧ .

(٤) سورة البقرة آية ٢٣٢ .

الأولياء من مراجعة أزواجهن بنكاح جديد تبتغون بذلك مضارتهن^(١) ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه، فترك الحمية وأنقاد لأمر الله تعالى^(٢) . وكانت المرأة قبل الاسلام مضطهدة، يبغى عليها ويستهان بشأنها و إذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة، فصار أحق بها من نفسها ومن غيره، فإن شاء أن يتزوجها بغير صداق، إلا الصداق الذي أصدقها الميت، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ولم يعطها شيئاً، وإن شاء عضلها وضارها لتقتدي منه بما ورثت من الميت، أو تموت هي فيرثها^(٣)، إذ كان أهل الجاهلية لا يحرمون نكاح امرأة الأب ولا ولا الجمع بين الأختين ولما توفي أبو قيس بن الأسلت^(٤) وكان من صالحى الأنصار فخطب ابنه قيس^(٥) امرأة أبيه

(١) الطبري ، جامع البيان ٤ / ١٩٣ .

(٢) البخاري، صحيح البخاري ٧ / ٥٨ .

(٣) الطبري، جامع البيان ٨ / ١٠٧ - ١٠٩؛ الواحدي، أسباب النزول ١٤٦-١٤٨ ؛ السيبوطي ، لباب النقول ٥٤ .

(٤) صيفي بن عامر الأسلت بن جشم بن وائل الأوسي الأنصاري، أبو قيس: شاعر جاهلي، من حكمائهم. كان رأس الأوس وكان يكره الأوثان، ويبحث عن دين يطمئن إليه، فلقى علماء من اليهود ورهبانا وأخبارا، ووصف له دين إبراهيم فقال: أنا على هذا. ولما ظهر الإسلام، اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم وترث في قبول الدعوة، فمات بالمدينة، قبل أن يسلم (١ هـ - ٦٢٢ م). (ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ / ٧٣٤ ؛ الزركلي ، الأعلام ٣ / ٢١١) .

(٥) قيس بن أبي قيس بن الأسلت صحب النبي (ﷺ) وشهد أحدا ولم يزل في المشاهد حتى بعثه سعد بن أبي وقاص طليعة له حين خرج إلى الكوفة فلم يدر حتى هجم على مسلحة بالعذيب للعجم فشدوا عليه فقاتلوه حتى قتل. (ابن عساكر، تاريخ دمشق ٢٤ / ٢٤٨).

فقلت: إني أعدك ولدا ولكن آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم استامره فأتته، فأخبرته فأُنزل (١) الله تعالى: { وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (٢٢) حَرَمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ وَعَمَّاتِكُمْ وَخَالَاتِكُمْ وَبَنَاتِ الْأَخِ وَبَنَاتِ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتِكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتِكُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتِ نِسَائِكُمْ وَرِبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلَ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ يَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا } (٢) .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعامل الناس على ظاهرهم ويترك السرائر الى الله تعالى، فلما قدم في شوال من العام السادس الهجري (٣) ناسا من عرينة المدينة، فاجتووها، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدقة، فتشربوا من ألبانها وأبوالها)، ففعلوا، فصحوا، ثم مالوا

(١) الواحدي ، أسباب النزول ١٤٨؛ ابن حجر، العجَاب في بيان الأسباب ٢ / ٨٥١؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ٣ / ١٩١؛ الواحدي ، الصحيح المسند من أسباب النزول ٦٦ .
(٢) سورة النساء الآيتين ٢٢، ٢٣ .
(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٤ / ٢٠٤ .

على الرعاء، فقتلوه وارتدوا عن الإسلام، وساقوا نود رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث في أثرهم فأتي بهم، فقطع أيديهم، وأرجلهم، وسمل أعينهم^(١)، وتركهم في الحرة، حتى ماتوا^(٢) فَأَنْزَلَ^(٣) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { إِمَّا جَزَاءَ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }^(٤).

ومن مقتضى العقل السليم ان يتوسموا من بوارق ظهور النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وانتقال أحوال دعوته في مدارج القوة أن ما وعدهم به واقع بأخذه^(٥)، وأن يقولوا اللهم إن كان هذا الحق من عندك فاهدنا إليه لكن التعالى والكبرياء يجعل قبولهم الحق أمرا شديدا على أنفسهم، لا يستطيعه إلا من ألهمه الله تعالى الرشد وهده سواء السبيل، وبسبب الحسد والكبر

(١) (عريضة) حي من بجيلة من قحطان (فاجتووها) إذا لم يوافقهم هواؤها (وساقوا نود رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي أخذوا إبله وقدموها أمامهم سائقين لها طاردين (سمل أعينهم) أي فقأها. (شرح محمد فؤاد عبد الباقي، صحيح مسلم ٣ / ١٢٩٦).

(٢) البخاري، صحيح البخاري ٨ / ١٦٢؛ مسلم، صحيح مسلم ٣ / ١٢٩٦.

(٣) النسائي، سنن النسائي ٧ / ٩٤؛ الواحدي، أسباب النزول ١٩٤؛ السيوطي، لباب النقول ٧٩؛ الوادعي الصحيح المسند من أسباب النزول ٨٤.

(٤) سورة المائدة آية ٣٣.

(٥) نبيل أحمد صقر، منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، ط١: الدار المصرية -

القاهرة ١٤٢٢ هـ ١٠٣.

قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، " فنزل (١) قوله تعالى: { وما كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصِلُونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (٢).

ولقد أثبت القرآن البعث والنشور مستدلاً بالنشأة الأولى رداً على المنكرين وكان المشركون يستدلون بالعقول القاصرة على أمور غيبية لاتدركها عقولهم فقد جاء العاص بن وائل (٣) إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعظم حائل (٤) ففته فقال يا محمد أيبعث الله هذا بعد ما

(١) البخاري، صحيح البخاري ٦/٦٢؛ البغوي، التفسير ٢/٢٨٩؛ ابن كثير، تفسير القرآن

العظيم ٤/٤٨؛ السيوطي، لباب النقول ٩٨.

(٢) سورة الأنفال الآيتين ٣٣، ٣٤.

(٣) العاص بن وائل بن هاشم السهمي (ت ٣ ق هـ)، من قريش أدرك الإسلام، وبقي على

الشرك، وكان على رأس بني سهم، في حرب (الفجار - ٣٣ ق هـ ٥٥١ م -) انتفخت رجله

حتى صارت مثل عنق البعير وكانت سبب موته، وهو والد عمرو بن العاص رضي الله عنه

فاتح مصر. (محمد بن حبيب بن أمية أبو جعفر البغدادي (ت ٢٤٥ هـ)، المنمق في أخبار

قريش، المحقق: خورشيد أحمد فاروق، ط ١ عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م،

٣٨٧. الزركلي، الأعلام ٣/٢٤٧).

(٤) الحائل: المتغير من البلى و إذا أتى على الشيء حول كامل قد أحال. (الخطابي؛ أبو

سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت ٣٨٨ هـ)، غريب الحديث، المحقق:

عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، ط ١ دار الفكر ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ١/٢٣٩).

أرم^(١)؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (نعم يميئك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم)، فنزل^(٢) قوله تعالى: { أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مِثْلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسَبِّحْهُنَّ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }^(٣).

و يستهزء المشركون بالمسلمين ولا يعطونهم حقوقهم كما روى خباب بن الارت^(٤) رضي الله عنه قائلا: كان لي على العاص بن وائل دين،

(١) أرم: إذا فني، وأرض أرمة لا تنبت شيئا. و أرممت، أي بليت وصرت رميما. (ابن الاثير ،النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ٤٠) .

(٢) الحاكم ، المستدرک ٢/ ٤٢٩؛ الواحدي ، أسباب النزول ٢٠٩؛ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٣/ ٦٠٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ١٩ / ٣٥٧ ؛ السيوطي ، أسباب النزول ١٨٢؛ حكمت بن بشير بن ياسين ، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، ٤ / ١٩٢ .

(٣) سورة يس الآيات ٧٧-٨٣ .

(٤) خباب بن الأرت، تميمي النسب، لحقه سباء في الجاهلية، فاشتريته امرأة من خزاعة وأعتقته، فهو تميمي بالنسب، خزاعي بالولاء، زهري بالحلف، كان قينا يعمل السيوف في الجاهلية، كان فاضلا من المهاجرين الأولين، شهد بدر وما بعدها من المشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم، سأل عمر خبابا - رضي الله عنهما - عما لقي من المشركين، فقال: يا أمير المؤمنين، انظر إلى ظهري، فنظر، فقال: ما رأيت كاللوم! قال خباب: لقد أوقدت لي نارٌ وسحبت عليها فما أطفأها إلا ودك ظهري، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بينه وبين تميم مولى خراش ابن الصمة ، نزل الكوفة، ومات بها سنة سبع وثلاثين . (ينظر: ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ / ٤٣٧ - ٤٣٩) .

فأنتيته أتقاضاه"، فقال: وإني لمبعوث من بعد الموت؟ " فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد، فنزل^(١) قوله تعالى: { أَفَرَأَيْتِ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَا لَمْ يُؤْتِ اللَّهُ إِلَّا مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ إِلَهًا ۚ مَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ إِنَّهُ كَانَ كَاذِبًا كَرِيمًا } (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ الْخَزَائِنَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَزَّهْتُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا { (٢).

و يثير المشركون الشبهات والشكوك ليصدون الناس عن الدخول في دين الاسلام^(٣)، لما كان رسول الله ﷺ يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني، يقال له: جبر، عبد لبني الحضرمي، فكانوا يقولون: والله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتي به إلا جبر النصراني، غلام بني

(١) البخاري، صحيح البخاري ٣ / ٦٠؛ مسلم، صحيح مسلم (٤ / ٢١٥٣؛ الواحدي ، أسباب النزول ٣٠١-٣٠٢ ؛ السيوطي ، لباب النقول ١٣١-١٣٢ ؛ الواحدي ، الصحيح المسند من أسباب النزول ١٣٤ .

(٢) سورة مريم الآيات ٧٧-٨٠ .

(٣) ينظر: الواحدي ، أسباب النزول ٢٨١؛ الواحدي ، الصحيح المسند من أسباب النزول ١٢٤؛ حكمت بن بشير بن ياسين ، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ٢ / ٢٦٤ .

الحضرمي. فأُنزل (١) الله تعالى: { قَلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) } وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (٢) وهذا الغلام الذي كانوا يشيرون إليه كان بياعاً يبيع عند الصفا، وكان أعجمي اللسان لا يعرف العربية، أو أنه كان يعرف الشيء اليسير، بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه (٣)، وكيف للأعجمي أن يأتي بهذا الكتاب الذي تحدى الله به الإنس والجن على حد سواء؟! وقال تعالى: { قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً } (٤) "وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَلَغَ الْقُرْآنَ لَفْظَهُ وَمَعْنَاهُ لَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِ مَعَانٍ مُجَرَّدَةً؛ إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَأَمَكَنَ أَنْ يُقَالَ: تَلَّقَى مِنْ هَذَا الْأَعْجَمِيِّ مَعَانٍ صَاغَهَا بِلِسَانِهِ فَلَمَّا ذَكَرَ

(١) ابن هشام ، السيرة ١ / ٣٩٣ ؛ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٤ / ٦٠٤ ؛ ابن كثير ، السيرة

النبوية ٢ / ٨٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ٣ / ١٣٠ ؛ محمد بن أبو شهبة السيرة النبوية على

ضوء القرآن والسنة ١ / ٢٧٣ .

(٢) سورة النحل الآية ١٠٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٦٣٦ .

(٤) سورة الإسراء الآية ٨٨ .

قَوْلُهُ: { لِسَانُ الَّذِي يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ }^(١) بَعْدَ قَوْلِهِ: { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ }^(٢) دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ رُوحَ الْقُدُسِ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ بِهَذَا اللَّسَانِ الْعَرَبِيِّ الْمُبِينِ^(٣) .

-
- (١) سورة النحل جزء من آية ١٠٣ .
(٢) سورة النحل جزء من آية ١٠٢ .
(٣) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ٦ / ٥٣٦ .

المبحث الثالث

جهاد المسلمين للمشركين بالنفس والمال

إن أصحاب رسول الله ﷺ، استأذنوا رسول الله ﷺ في قتل الكفار إذا آذوهم واشتدوا عليهم بمكة قبل الهجرة غيلة سرا؛ فأنزل (١) الله في ذلك: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} (٢) يقول تعالى نكره: إن الله يدفع غائلة المشركين عن الذين آمنوا بالله وبرسوله، إن الله لا يحب كل خوان ، يخون الله فيخالف أمره ونهيه ، ويعصيه (٣)، ثم أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة فغادر بيته في ليلة ٢٧ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة الموافق ١٢ / ١٣ سبتمبر سنة ٦٢٢ م (٤)، ولما

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ) ، المحقق: الشاهد البوشيخي، ط ١ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة ١٤٢٩ هـ ٧ / ٤٨٩٨ .

(٢) سورة الحج آية ٣٨ .

(٣) الطبري ، جامع البيان ١٦ / ٥٧١ .

(٤) المباركفوري ، الرحيق المختوم ١٤٨ .

أخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة، قال أبو بكر رضي الله عنه: "أخرجوا نبيهم ليهلكن" فأُنزل (١) الله تعالى { أُنزِلَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ } (٢) فقال أبو بكر: "لقد علمت أنه سيكون قتال"، وهي أول آية نزلت في القتال لقد أذنوا بالقتال بسبب كونهم مظلومين، وكان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا، وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه، فيقول لهم: اصبروا، فإني لم أؤمر بقتال، وأذن للمسلمين في قتال المشركين بعد ما عفا عنهم عشر سنين وكان ناس من المؤمنين خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة فأدركهم الكفار، فأذن للمؤمنين بقتال الكفار فقاتلوهم فهو أول قتال أذن الله به للمؤمنين، فلما هاجر رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة، أطلق لهم قتالهم وقتالهم، وإن الله على نصر المؤمنين الذين يقاتلون في سبيل الله لقادر، وقد نصرهم فأعزهم ورفعهم وأهلك عدوهم وأذلهم بأيديهم (٣).

(١) سنن الترمذي ٥ / ٣٢٥؛ الطبري ، جامع البيان ١٨ / ٦٤٤-٦٤٥؛ السيوطي ، لباب النقول ١٣٥؛ الوادعي ، الصحيح المسند من أسباب النزول ١٣٩ - ١٤٠؛ حكمت بن بشير بن ياسين ، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ٣ / ٤١٨.

(٢) سورة الحج آية ٣٩.

(٣) الواحدي ، أسباب النزول ٣٠٨؛ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٥ / ٤٣٣؛ الزحيلي ، التفسير المنير ١٧ / ٢٣٢.

وإنّ رسول الله ﷺ لم يأمن قريش فبعث عبد الله بن جحش^(١) أرضي الله عنه وهو ابن عمّة النبي ﷺ في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن أبي وقاص الزهري^(٢)

(١) عبد الله بن جحش، بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة، أمه أميمة بنت عبد المطلب، وهو حليف لبني عبد شمس. أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكان عبد الله ممن هاجر إلى أرض الحبشة مع أخويه: أبي أحمد، وعبيد الله بن جحش، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدرا، واستشهد يوم أحد، يعرف بالمجدع في الله، لأنه مثل به يوم أحد وقطع أنفه. روى سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم وقال: لأبعثن عليكم رجلا ليس بخيركم، ولكنه أصبركم للجوع والعطش، فبعث عبد الله بن جحش. (ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ٨٧٧-٨٧٨).

(٢) سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري أبو إسحاق أسلم قديما وهاجر قبل رسول الله ﷺ وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وشهد بدرا والمشاهد كلها وهو أحد الستة أهل الشورى وكان مجاب الدعوة مشهورا بذلك وكان أحد الفرسان من قريش الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ في مغازيه وهو الذي كوف الكوفة وتولى قتال فارس وفتح الله على يديه القادسية وكان أميراً على الكوفة مات سنة إحدى وخمسين وهو ابن ثلاث وسبعين وهو آخر العشرة وفاة. (ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب ٣/ ٤٨٣-٤٨٤).

وعكاشة بن محصن الأسدي^(١) وعتبة بن غزوان السلمي^(٢) وأبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة^(٣)

(١) عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي. حليف بني عبد شمس، يكنى أبا محصن كان من سادات الصحابة وفضلائهم. هاجر إلى المدينة ، وشهد بدرًا وأبلى فيها بلاءً حسناً ، وانكسر في يده سيف، فأعطاه رسول الله ﷺ عرجونا - عودا - فعاد في يده سيفاً يومئذ شديد المتن، أبيض الحديد، فقاتل به حتى فتح الله عز وجل على رسوله ﷺ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل في قتال أهل الردة، وهو عنده وشهد أحداً، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وبشره رسول الله ﷺ أنه ممن يدخل الجنة بغير حساب. (ينظر: ابن عساكر ، تاريخ دمشق ١١ / ١١٢ ؛ ابن الاثير ، أسد الغابة ٣ / ٥٦٤ - ٥٦٥) .

(٢) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب بن نسيب بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف بن مازن بن منصور المازني أبو عبد الله ويقال أبو غزوان حليف بني شمس شهد بدرًا كان طوالاً جميلاً وهو قديم الإسلام وهاجر إلى الحبشة وكان أول من اختط البصرة وقال وهو يخطب بالبصرة لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد فاتزرت ببعضها واتزر ببعضها ما أصبح منا اليوم واحد إلا وهو أمير على مصر من الأمصار ، وكان قدم على عمر يستغفبه فأبى فرجع فمات في الطريق سنة سبع عشرة وهو ابن سبع وخمسين سنة. (ينظر: الصفدي ، الوافي بالوفيات ١٩ / ٢٩٣ ؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٧ / ١٠٠) .

(٣) أبو حذيفة مهشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العيشمي ، كان من السابقين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين وصلّى إلى القبلتين ، أسلم بعد ثلاثة وأربعين إنساناً. وأنّ أبا حذيفة بن عتبة كان ممّن شهد بدرًا يكنى سالماً كان طوالاً حسن الوجه ، استشهد يوم اليمامة، وهو ابن ستّ وخمسين سنة. (ينظر: الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣ / ١٠٧ ؛ ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٧ / ٧٤) .

وسهيل بن بيضاء^(١) وعامر بن ربيعة^(٢) وواقد بن عبد الله^(٣)

(١) سهل بن بيضاء القرشيّ وبيضاء أمه، واسمها دعد، واسم أبيه وهب بن ربيعة بن عمرو ابن عامر بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبّة بن الحارث بن فهر القرشيّ، كان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبها قريش على بني هاشم، أسلم سهل بمكة فكتّم إسلامه، فأخرجته قريش إلى بدر، فأسر يومئذ، فشهد له ابن مسعود أنه رآه يصلّي بمكة، فأطلق. ومات بالمدينة وصلى النبيّ صلى الله عليه وسلم على أخيه سهيل في المسجد. (ينظر: ابن اسحاق ، السير والمغازي ٢٢٤؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ١ / ٧٢ ، ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة ٣ / ١٦٢).

(٢) عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رفيدة بن عنز بن وائل العنزي كان أحد السابقين الأولين، وهاجر إلى الحبشة، ومعه امرأته ليلى بنت أبي خيثمة، ثم هاجر إلى المدينة أيضا، وشهد بدرا وما بعدها، وكان صاحب عمر لما قدم الجابية، واستخلفه عثمان على المدينة لما حجّ وقال يحيى بن سعد الأنصاريّ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة: قام عامر بن ربيعة يصلّي من الليل، وذلك حين نشب الناس في الطعن على عثمان، فنام فأتاه آت فقال له: قم فاسأل الله أن يعينك من الفتنة. فقام فصلّي ثم اشتكى فما خرج بعد إلا بجنازته. (ينظر: ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٣ / ٤٦٩).

(٣) واقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين اليربوعي التميمي حليف بني عدي: صحابي، قديم الإسلام، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين بشر بن البراء بن معرور، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شجاعا وهو أول من قتل في الإسلام قتيلا من المشركين. مات بالمدينة، في خلافة عمر ١٣ هـ. (ينظر: الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢ / ١٦٦ ؛ الزركلي ، الأعلام ٨ / ١٠٩).

وخالد بن بكير^(١) رضي الله عنهم، وكتب لأميرهم عبد الله بن جحش رضي الله عنه كتابا وقال: (سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فإذا نزلت منزلين فافتح الكتاب واقراه على أصحابك، ثم امض لما أمرتك، ولا تستكرهن أحدا من أصحابك على المسير معك)، فسار عبد الله يومين، ثم نزل وفتح الكتاب فإذا فيه: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ". أما بعد، فسر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك أن تأتينا منه بخبر" فلما نظر عبد الله الكتاب قال: سمعا وطاعة، وقال لأصحابه ذلك، وقال: إنه قد نهاني أن استكره واحدا منكم. حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع وقد أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فاستأذنا أن يتخلفا في طلب بعيرهما فأذن لهما فتخلفا في طلبه، ومضى عبد الله ببقية أصحابه حتى وصل بطن نخلة بين مكة والطائف، فبينما هم كذلك إذ مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة من تجارة الطائف، فيهم عمرو بن الحضرمي^(٢)

(١) خالد بن بكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن بكر بن ليث بن عبد مناة الليثي، حليف بني عدي بن كعب مشهور من السابقين، وشهد بدرًا، استشهد يوم الرّجيع وهو ابن أربع وثلاثين سنة. (ينظر: ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ١٩٤).

(٢) عمرو بن الحضرمي عبد الله بن عباد بن أكبر بن ربيعة بن عريقة بن مالك بن الخزرج ابن إياد بن الصدق بن زيد بن مقنع بن حضرموت بن قحطان، وهو من حلفاء بني أمية أول قتيل من المشركين قتله المسلمون في سرية عبد الله بن جحش، وهي أول سرية وكان له من الإخوة عشرة ومنهم عامر بن الحضرمي الذي أمره أبو جهل لعنه الله فكشف عن عورته وناداه واعمراه حين اصطف المسلمون والمشركون يوم بدر فهاجت الحرب وقامت على ساق وكان ما كان. (ينظر: ابن كثير ، البداية والنهاية ٥ / ٣٧٤).

والحكم بن كيسان^(١) وعثمان بن عبد الله بن المغيرة^(٢)
ونوفل^(٣) بن عبد الله المخزوميان؛ فلما رأوا أصحاب رسول الله

-
- (١) الحكم بن كيسان مولى بني مخزوم - وكان حجاما - أسلم فحسن إسلامه تزوج أمنة بنت عَمَّان أخت عثمان، وكانت ماشطة ، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا. ينظر: ابن هشام ، السيرة ١ / ٦٠٥ ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٩٥).
- (٢) عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي أسره عبد الله بن جحش ببطن نخلة حتى قدم به على رسول الله ﷺ، فافتدى فرجع إلى قريش حتى غزا أحدا ويمشي إليه الحارث بن الصمة فتضاربا ساعة بسيفين، ثم يضرب الحارث رجله فبرك وذفف عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى قتالهما وسأل رسول الله ﷺ عن الرجل، فإذا عثمان بن عبد الله بن المغيرة، فقال: الحمد لله الذي أحانه. (ينظر: الواقدي ، المغازي ١ / ٢٥٢ - ٢٥٣).
- (٣) نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي؛ أقبل على فرس له ليوثبه الخندق فوق في الخندق فقتله الله، وكبر ذلك على المشركين وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: إنا نعطيكم الدية على أن تدفعوه إلينا فندفنه. فرد إليهم رسول الله ﷺ: إنه خبيث الدية لعنه الله ولعن ديته ولا تمنعكم أن تدفنوه، ولا أرب لنا في ديته. (ينظر: الذهبي ، تاريخ الإسلام ١ / ٢٠٢).

- ﷺ - هابوهم، فقال عبد الله بن جحش: إن القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم فإذا رأوه مطوقا أمنوا وقالوا: قوم عمار، فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم فقالوا: قوم عمار لا بأس عليكم فأمنوهم، وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون أنه من جمادى أو هو رجب، فتشاور القوم فيهم وقالوا: لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم، فأجمعوا أمرهم في مواجهة القوم فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، وكان أول قتيل من المشركين، واستأسر الحكم وعثمان، فكانا أول أسيرين في الإسلام، وأفلت نوفل وأعجزهم، واستاق المؤمنون العير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله - ﷺ - بالمدينة، فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف و ييذعر^(١) الناس في معاشهم فسفك فيه الدماء وأخذ فيه الحرائب^(٢)، وعير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين، فقالوا: يا معشر الصباة استحلتم الشهر الحرام فقاتلتم فيه؟ وتفاءلت اليهود بذلك وقالوا: واقد وقادت الحرب وعمرو عمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب، وبلغ ذلك رسول الله - ﷺ - فقال لابن جحش وأصحابه: (ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام)، ووقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا، فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أن قد

(١) بذعر: ابذعر الناس: تفرقوا: وفي حديث عائشة رضي الله عنها: ابذعر النفاق

أي تفرق وتبدد. (ابن منظور ،لسان العرب ٤ / ٥١).

(٢) وهي مال الرجل الذي يعيش به.(الخطابي ، غريب الحديث ٢ / ٥٥٣ ؛ الزمخشري ،الفائق

في غريب الحديث ١ / ٢٧٤).

هلكوا، وسقط في أيديهم وقالوا: يا رسول الله إنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب، فلا ندري أفي رجب أصبناه أو في جمادى، ، فأُنزل^(١) الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزُدَّوَكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ^(٢) فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس، فكان أول خمس في الإسلام، وقسم الباقي بين أصحاب السرية، فكان أول غنيمة في الإسلام، وبعث أهل مكة في فداء أسيريهم، فقال: بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة، وإن لم يقدما قتلناهما بهما، فلما قدما فاداهما؛ فقال المسلمون: أتطمع لنا أن تكون غزوة، فأُنزل^(٣) الله فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ^(٤).

(١) . ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ١٧٨ - ١٨٠ ؛ الطبري ، جامع البيان ٣ / ٦٥٤ ؛ البيهقي ،

السنن الكبرى ٩ / ١٠٠ ؛ الواحدي ، أسباب النزول ٦٩ - ٧١ .

(٢) سورة البقرة آية ٢١٧ .

(٣) ابن شبة ، تاريخ المدينة ٢ / ٤٧٧ ؛ ابن حجر ، العجايب في بيان الأسباب ١ / ٥٣٨ .

(٤) سورة البقرة آية ٢١٨ .

وكانوا ثمانية وأميرهم التاسع عبد الله بن جحش " ، وذلك في رجب قبل بدر بشهرين ، وأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله ﷺ بالمدينة، فقتل يوم بئر معونة^(١) شهيدا، وأما عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة، فمات بها كافرا؛ وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق على المسلمين، فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا، فقتله الله تعالى، وطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله ﷺ (خذوه فإنّه خبيث الجيفة خبيث الدية)^(٢).

(١) شهداء بئر معونة : عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتاه رعل، ونكوان، وعصية، وبنو لحيان، فزعموا أنهم قد أسلموا، واستمدوه على قومهم، «فأمدهم النبي ﷺ بسبعين من الأنصار»، قال أنس: كنا نسميهم القراء، يحطبون بالنهار ويصلون بالليل، فانطلقوا بهم، حتى بلغوا بئر معونة، غدروا بهم وقتلوه، فقنت شهرا يدعو على رعل، ونكوان، وبنو لحيان، قال قتادة: وحدثنا أنس: أنهم قرءوا بهم قرآنا: ألا بلغوا عنا قومنا، بأنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا وأرضانا، ثم رفع ذلك بعد . (البخاري، صحيح البخاري ٧٣ / ٤).

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ١٧٨ - ١٨٠ ؛ الطبري ، جامع البيان ٣ / ٦٥٤ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ٩ / ١٠٠ ؛ الواحدي ، أسباب النزول ٦٩ - ٧١ ؛ ابن كثير، السيرة النبوية ٢ / ٣٦٨ - ٣٧٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ٣ / ٣٠٦ - ٣٠٧ ؛ ابن حجر ، العجائب في بيان الأسباب ١ / ٥٣٨ ؛ السيوطي ، لباب النقول ٣١ حكمت بن بشير بن ياسين ، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ١ / ٣٢٨ .

ويحسب المشركون أنفسهم أحبَّ إلى الله تعالى بما يأتونه من صلة رحم وبعض أعمال الخير فقد استفتح أبو جهل في يوم بدر^(١) فقال: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرفه، فأحنه الغداة، اللهم أينما كان أحبُّ إليك وأرضى عندك فانصره اليوم، وفي ذلك أنزل^(٢) الله تعالى: { إِنَّ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ }^(٣) .

وفي معركة بدر نزلت آيات تصور ملاقة صحابة رسول الله ﷺ للمشركين كما روى قيس بن عباد^(٤) قائلا: سمعت أبا ذر^(٥) رضي الله عنه يقسم:

(١) الذهبي ، تاريخ الإسلام ١ / ٥٦ .

(٢) الواحدي ، أسباب النزول ٢٣٤ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١ / ٣٦٠ ؛ السيوطي ، لباب النقول ٩٦ ؛ الوادعي ، الصحيح المسند من أسباب النزول ١٠١ ؛ المباركفوري ، الرحيق المختوم ١٩٥ .

(٣) سورة الأنفال آية ١٩ .

(٤) قيس بن عباد الضبعي (ت ٨٥ هـ) : من ثقات التابعين ومن كبار صالحيه . قدم المدينة في خلافة عمر رضي الله عنه وروى الحديث ، وسكن البصرة . وخرج مع ابن الأشعث ، فقتله الحجاج . ينظر : العجلي ، الثقات ٣٩٤ ؛ الأعلام ، الزركلي ٥ / ٢٠٧ .

(٥) أبو ذر الغفاري جندب بن جنادة بن سكن ، دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وسمع من قوله ، فأسلم مكانه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيتك أمري) فقدمت على أخي فأخبرته أنني أسلمت ، قال : فأني على دينك ، فانطلقنا إلى أمنا فقالت : فأني على دينكما . قال : وأتيت قومي فدعوتهم . فتبعني بعضهم ، فأقام في بلاد قومه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، ومضت بدر وأحد ، ولم تنتهياً له الهجرة إلا بعد ذلك ، وكان طويلاً أسمر اللون نحيفاً ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتدئ أبا ذر إذا حضر ، ويتفقده إذا غاب وكانت وفاته بالريذة سنة إحدى وثلاثين . (ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٧ / ١٠٥ - ١٠٩) .

لنزلت^(١) هؤلاء الآيات، في هؤلاء الرهط الستة يوم بدر قوله تعالى: {هَذَا خِطْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَيْحِهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ} (٢).

وقوله: {يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ} (٣) يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم ما

في بطونهم من الشحوم، وتشوى

(١) البخاري، صحيح البخاري ٥/ ٧٥؛ مسلم، صحيح مسلم ٤/ ٢٣٢٣؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه

٢/ ٩٤٦؛ أسباب النزول ٣٠٨؛ السيوطي، لباب النقول ١٣٤؛ الوادعي، الصحيح

المسند من أسباب النزول ١٣٨.

(٢) سورة الحج الآيات ١٩ - ٢٤ .

(٣) سورة الحج آية ٢٠ .

جلودهم منه فتساقط. والصهر: هو الإذابة، يقال منه: صهرت الألية بالنار: إذا أذبتها ،
أصهرها صهرا (١) .

وقوله تعالى: { هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمَا فِي رَهْمٍ } (٢) فقد خرج ثلاثة من خيرة فرسان قريش كانوا
من عائلة واحدة، وهم عتبة وأخوه شيبه ابناً ربيعة، والوليد بن عتبة، فلما انفصلوا من الصف
طلبوا المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من شباب الأنصار، عوف (٣) ومعوذ (٤) ابنا الحارث - وأمهما
عفراء - وعبد الله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار. قالوا: أكفء كرام، ما لنا
بكم حاجة، وإنما

(١) الطبري ، جامع البيان ١٦ / ٤٩٦ .

(٢) سورة الحج آية ١٩ .

(٣) عوف بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك، وهو ابن عفراء، أخو معاذ، ومعوذ،
استشهد ببدر مع رسول الله ﷺ روى عنه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. (ينظر: ابن
سعد . الطبقات الكبرى ٣ / ٣٧٤ - ٣٧٥؛ أبو نعيم ، معرفة الصحابة ٤ / ٢٢٠٦).

(٤) معوذ بن الحارث بن رفاعه بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم وأمّه عفراء بنت عبید ابن
ثعلبة بن عبید بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار. وكان لمعوذ من الولد الربيع بنت معوذ
وعميرة بنت معوذ وأمهما أم يزيد بنت قيس بن زعوراء بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم
بن عدي بن النجار. شهد العقبة مع السبعين من الأنصار وشهد بدر، وهو الذي ضرب أبا
جهل هو وأخوه عوف بن الحارث حتى أثبتاه وعطف عليهما أبو جهل. لعنه الله. يومئذ
فقتلها. ووقع أبو جهل صريعا فذفف عليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وليس لمعوذ بن
الحارث عقب. (ينظر: ابن سعد . الطبقات الكبرى ٣ / ٣٧٤ - ٣٧٥).

نريد بني عمناء، ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفءنا من قومنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قم يا عبيدة بن الحارث^(١)، وقم يا حمزة^(٢)، وقم يا علي، فلما قاموا وذنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ فأخبروهم، فقالوا: أنتم أكفء كرام، فبارز عبيدة - وكان أسن القوم - عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبعة، وبارز علي الوليد، فأما حمزة وعلي فلم يمهلا قرنيهما أن قتلاهما، وأما عبيدة فاختلف بينه وبين

(١) عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي، يكنى أبا الحارث. كان أسن من رسول الله ﷺ بعشر سنين، وكان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكانت هجرته إلى المدينة مع أخويه الطفيل والحسين بن الحارث بن المطلب ومعه مسطح بن أثاثة بن عباد ابن المطلب، وكان لعبيدة ابن الحارث قدر ومنزلة عند رسول الله ﷺ، شهد عبيدة بن الحارث بدرًا، فكان له فيها غناء عظيم، ومشهد كريم، وكان أسن المسلمين يومئذ، قطع عتبة بن ربيعة رجله يومئذ. فارتث منها، فمات بالصفراء وكان عمره ثلاث وستون سنة. (ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/١٠٢٠-١٠٢١؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٣/٤٤٩).

(٢) حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - بن هاشم بن عبد مناف أبو عمارة وقيل: أبو يعلى، كان عم النبي ﷺ، وأخاه من الرضاعة، أسد الله وأسد رسوله، تزوج عبد المطلب هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة، فولدت له حمزة وصفية، وكانت ثوية مولاة أبي لهب، أرضعت حمزة ورسول الله ﷺ، وكان حمزة أسن من النبي ﷺ بستين، أسلم بمكة حمية، وكان إسلامه عزا ومنعة لرسول الله ﷺ شهد بدرًا، واستشهد بأحد، وهو ابن أربع وخمسين سنة، يوم السبت في النصف من شوال، من سنة ثلاث للهجرة. (ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة ٢/٦٧٢-٦٧٣؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ٢/١٠٥-١٠٧).

قرنه ضربتان، فأخذن كل واحد منهما صاحبه، ثم كر علي وحمزة على عتبة فقتلاه واحتملا عبدة، وقد قطعت رجله، فلم يزل صمتاً^(١) حتى مات بالصفراء بعد أربعة أو خمسة أيام من وقعة بدر، حينما كان المسلمون في طريقهم إلى المدينة^(٢).

وكان المشركون في مكة يحترقون غيظاً على المسلمين مما أصابها في معركة بدر من مأساة الهزيمة وقتل الصناديد والأشراف، وتجييش فيها نزعات الانتقام وأخذ الثأر، حتى أنهم منعوا البكاء على قتلاهم في بدر، ومنعوا من الإستعجال، في فداء الأسارى، حتى لا يتقطن المسلمون مدى مأساتهم وحزنهم، وعلى أثر غزوة بدر اتفقت قريش على أن تقوم بحرب شاملة ضد المسلمين، تشفي غيظها، وتروي حقدتها، وأخذت في الإستعداد للخوض في مثل هذه المعركة، وكان عكرمة بن أبي جهل^(٣)،

(١) أطل السكوت . (ابن منظور ،لسان العرب ٢ / ٥٤) .

(٢) ينظر: الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١ / ٣٥٩؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ١ / ٥٥ ، ٢ / ٤٣ ؛ المباركفوري ، الرحيق المختوم ١٩٦ ؛ أبو الحسن الندوي ، السيرة النبوية ٣٠٩ .

(٣) عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، كان كأبيه من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما كان يوم الفتح ركب عكرمة بن أبي جهل الى البحر هارباً فركب البحر فأصابهم عاصف، فقال أصحاب السفينة: أخلصوا، فإن آلهتكم لا تغني عنكم ها هنا شيئاً ، فجعل الصراري والملاحون ومن فى السفينة يدعون الله ويوحونه قال ما هذا قالوا هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله و جاء الملاح الى عكرمة وقال له أخلص العمل قال ماذا أقول قال قل لا إله إلا الله فإن هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله قال عكرمة فهذا إله محمد الذى يدعونا إليه فارجعوا بنا فرجع فأسلم عكرمة عام الفتح وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مرحباً مرحباً بالركب المهاجر) واستعمله على صدقات هوازن استشهد بأجنادين سنة ثلاث عشرة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. (ينظر: ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣ / ١٠٨٣ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٤ / ١٥٦ ؛ ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٤ / ٤٤٤) .

وصفوان بن أمية^(١)، وأبو سفيان بن حرب، وعبد الله بن أبي ربيعة^(٢) أكثر زعماء قريش نشاطا وتحمسا لخوض المعركة، وأول ما فعلوه بهذا الصدد أنهم احتجزوا العير التي كان قد نجا بها أبو سفيان والتي كانت سببا لمعركة بدر، وقالوا للذين كانت فيها أموالهم: يا معشر قريش، إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم،

(١) صفوان بن أمية بن خلف، أبو وهب الجمحي، قتل أبوه يوم بدر كافرا، وإنه هرب يوم فتح مكة، وأسلمت امرأته وهي ناجية بنت الوليد بن المغيرة، وأحضر له ابن عمه عمير بن وهب أمانا من النبي صلى الله عليه وسلم، فحضر. وحضر وقعة حنين قبل أن يسلم ثم أسلم، وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من الغنائم فأكثر فقال: أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي، فأسلم، وأقام في مكة حتى مات بها في مقتل عثمان رضي الله عنه. (ينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٣٤٩ - ٣٥٠).

(٢) عبد الله بن أبي ربيعة واسمه عمرو، ويلقب ذا الرّمحين، ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، يكنى أبا عبد الرحمن، كان اسمه بجيرا، فغيّره النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخو عياش بن أبي ربيعة لأبويه، أمهما أسماء بنت مخزوم، وهو والد عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر المشهور وولى عبد الله الجند لعمر رضي الله عنه، واستمر إلى أن جاء لينصر عثمان رضي الله عنه، فسقط عن راحلته بقرب مكة، فمات. (ينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ٤/٦٩).

فأعينونا بهذا المال على حربته، لعلنا أن ندرك منه ثأراً، فأجابوا لذلك، فباعوها، وكانت ألف بغير، والمال خمسين ألف دينار، وفي ذلك أنزل^(١) الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ }^(٢) ولكن الله تعالى أخبرهم بأن هذه النفقة ستكون وبالاً عليهم في الدنيا والآخرة، وأنه مال ضائع في سبيل الشيطان، ولا يؤدي إلى النصر، وإنما مصيره إلى الهزيمة، فهم يغلبون وينكسرون، كما قال الله تعالى: { كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ }^(٣).

فلما كان سنة تسع أراد رسول الله ﷺ أن يحج ثم قال: إنه يحضر المشركون فيطوفون عرابة فبعث أبا بكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقوم للناس الحج^(٤) وبعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ، قبل حجة الوداع، أبا هريرة رضي الله عنه في رهط، يؤذنون في الناس يوم النحر: "لا

(١) ابن هشام ، سيرة ١ / ٦٧١ ؛ الواحدي ، أسباب النزول ٢٣٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ٤ /

١٢ ؛ المباركفوري ، الرحيق المختوم ٢٢٤ ؛ الزحيلي ، التفسير المنير ٩ / ٣١٧ .

(٢) سورة الأنفال آية ٣٦ .

(٣) سورة المجادلة آية ٢١ .

(٤) البغوي، معالم التنزيل ٢ / ٣١٦ .

يُحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان" (١) ولما أمر الله تعالى أن يمنع المشركون من قربان المسجد الحرام في الحج وغيره. قالت قریش: لينقطعن عنا المتاجر والأسواق أيام الحج وليذهبن ما كنا نصيب منها، فعوضهم الله عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فعزم رسول الله ﷺ على قتال الروم لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله (٢)، وقد قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } (٣) فغزا رسول الله ﷺ الروم عام تبوك سنة تسع من الهجرة في رجب منها وكان ذلك في حر شديد وضيق من الحال جلى للناس أمرها ودعي من حوله من أحياء الأعراب للخروج معه فأوعب معه بشر كثير قريبا من ثلاثين ألفا (٤)، ولما سمع الرومان وحلفاؤهم بزحف رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابهم الرعب فلم يجترئوا على التقدم واللقاء، بل تفرقوا في البلاد في داخل حدودهم، فكان لذلك أحسن الأثر لسمعة المسلمين العسكرية، في داخل الجزيرة وأرجائها النائية (٥)، وحصل بذلك

(١) مسلم، صحيح مسلم ٢ / ٩٨٢.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ٥ / ٥.

(٣) سورة التوبة الآية ١٢٣.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية ٥ / ٢.

(٥) المباركفوري، الرحيق المختوم ٣٩٩.

المسلمون على مكاسب سياسية كبيرة ، بما لم يكونوا يحصلون عليها لو وقع هناك اصطدام بين الجيشين، وجاء صاحب أيلة، فصالح الرسول ﷺ وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء^(١) وأهل أذرح^(٢)، فأعطوه الجزية، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابا فهو عندهم، وكتب لصاحب أيلة^(٣) وأقر بإعطاء الجزية، وكذلك دومة وتبوك وأيلة وتيماء^(٤)، وأيقنت القبائل التي كانت تعمل لحساب الرومان أن اعتمادها على سادتها الأقدمين قد فات أوانه، فانقلبت

(١) جرباء :موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام قرب جبال السراة من ناحية الحجاز، وهي قرية من أذرح بينهما ميل واحد وأقل .(البكري ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ٢ / ٣٧٤ ؛الحموي ،معجم البلدان ٢ / ١١٨).

(٢) أذرح : وهي هضاب تنبسط على الأرض حمر، والدَّرح شجر تتخذ منه الرحالة بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة، ثم من نواحي البلقاء. وعمان مجاورة لأرض الحجاز .(البكري ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ١ / ١٣٠ ؛ الحموي ،معجم البلدان ١ / ١٢٩).

(٣) أيلة :مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وهي مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير، وكانت مدينة لليهود الذين حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير .(البكري ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ١ / ٢١٦ ؛الحموي ،معجم البلدان ١ / ٢٩٢).

(٤) تيماء : بليد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى، ولما بلغ أهل تيماء في سنة تسع وطف النبي، ﷺ، وادي القرى أرسلوا إليه وصالحوه على الجزية وأقاموا ببلادهم وأرضهم بأيديهم، فلما أجلي عمر، رضي الله عنه، لليهود عن جزيرة العرب أجلاهم معهم . (البكري ، معجم ما استعجم ١ / ٣٢٩ ؛ الحموي ، معجم البلدان ٢ / ٦٧) .

لصالح المسلمين، وهكذا توسعت حدود الدولة الإسلامية، حتى لاقت حدود الرومان مباشرة (١) ثم أحدث الإسلام تغييراً جذرياً في ما كان عليه الناس في جاهليتهم من عادات باطلة فقرر الإسلام إبعاد المشركين، عن المسجد الحرام، ومنعهم من عمارته؛ لأنه لا يستقيم لهم أن يجمعوا بين عمارة المساجد والإشراك بالله كما عدّهم نجساً، وحرّم الزواج منهم للاختلاف الشاسع بين من يعبد الله وحده، ويؤمن برسوله ﷺ، ومن يعبد الأصنام والأوثان، وحرّم ذبائحهم؛ لأنّهم يذبحونها لغير الله تعالى، وبين أنه لا يجوز الاستغفار لهم بعد إصرارهم على الشرك، وموتهم على ذلك، كما قرر إلغاء عهودهم؛ لأنّ المشركين لاعد لهم لأنّهم إن يظفروا بالمسلمن لا يرقبوا فيهم عهداً ولا نمة، وإنما يرضونهم بالكلام المنمق، وتمتّع قلوبهم عن الإذعان والوفاء بما يبذونه بألسنتهم، بينما اشتمل الإسلام على عبادات وأحكام شرعية وأخلاقية، لها وزنها وقيمتها في تربية الفرد والجماعة والأمة على منهاج الله تعالى الملائم للفطرة البشرية (٢)، ومن أجل رفع راية التوحيد وكلمة لا إله إلا الله ونشرها واعتقادها بعلم ويقين وإخلاص والعمل بمقتضاها فيه الخلاص والنجاح والسعادة الابدية .

(١) المباركفوري ، الرحيق المختوم ٣٩٩ - ٤٠٠ .

(٢) الرحيلي ؛ حمود بن أحمد بن فرج ، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام

. ٨٥٥ / ٢

الختامة

الخاتمة

إنَّ علم أسباب نزول القرآن نال عناية كبيرة من علماء المسلمين منذ ان كان مرويات متفرقة في بطون كتب التفسير والحديث والسيرة حتى أصبحت له مؤلفات خاصة به ناتجة من حرصهم على تحري مروياته سندا وممتا بالدراسة والتمحيص وذلك لاهميته إذ لا يمكن معرفة تفسير الآية من دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها؛ لأنَّه طريق قوي في فهم معاني القرآن ويعين على فهم الآية، وبعد الدراسة والبحث تبين ما يأتي :

- ١- لا توجد صيغة محددة لأسباب النزول.
- ٢- قول الصحابي في سبب النزول، حكمه الرفع؛ لأنَّ أسباب النزول غير خاضعة للاجتهاد .
- ٣- إنَّ ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة كل أولئك من دواعي تقرر الأشياء ورسوخها في الذهن وسهولة استنكارها.
- ٤- من فوائد أسباب النزول الاستدلال التاريخي من خلال مرويات أسباب النزول فهو أصدق مرويات يستند إليها التاريخ الإسلامي والذي يجب أن تحاكم رواياته التاريخية بنفس طريقة محاكمة أهل الحديث للسنة النبوية؛ لأنَّ هناك روايات تدخل في صلب عقيدة المسلم .
- ٥- علم أسباب النزول و علم المناسبة علمان يكملان بعضهما بعضا، أي أن علم المناسبة هو المكمل لعلم أسباب النزول وبهما

يتضح تفسير القرآن.

٦- الذي يتتبع مرويات اسباب النزول التي تخص اليهود يجدهم أهل الكذب والبهت والغدر والمكر ومن أبرز صفات اليهود في الحاضر والماضي الافساد ولا تجد في الغالب في هذا الوقت وما قبله نحلة فاسدة أو مذهباً منحرفاً إلا ولليهود فيه اليد الطولى .

٧- إن دين النصارى دخلت فيه كثير من الديانات الوثنية وإن مرويات أسباب النزول التي تخص النصارى اقل مما جاء عن اليهود؛ لأن احتكاك النصارى بالمسلمين في عصر التنزيل اقل ولأنهم كانوا يعيشون في اطراف الجزيرة وفي الشام وكانت النصارى أكثر تجاوبا ولينا مع الوفود الاسلامية المرسله اليهم والمتبعين دين عيسى عليه السلام هم الذين في قلوبهم رأفة ورحمة واقربهم مودة للمسلمين وليس جميع النصارى لأنهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرههم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم .

٨- أصل النفاق الشك والريب، وعدم التصديق وتغليب المنافع الدنيوية، وموادة أهل الباطل وان رسول الله ﷺ تعامل مع المنافقين بغاية الحكمة للحفاظ على وحدة الصف الاسلامي وتماسكه ومدارة لاتباع المنافقين ودرءا لتقولات المتريصين بالمسلمين ، وكان ﷺ يقبل ما يظهرون من الإسلام ويدع سرائرهم الى الله تعالى .

٩- سبب الشرك التمسك بدين الآباء المخالف للشرع ومتابعة الملاء

اهل الحرص على النفوذ و الوجاهة والمخافة على السمعة وكان علاج الاسلام لهم بنشر كلمة التوحيد ودعوتهم لاعتقادها بعلم و يقين و اخلاص والعمل بمقتضاها لما فيها من النجاح والسعادة الابدية .

١٠- لقد اشتملت مرويات اسباب النزول على معالجات سياسية واجتماعية ويعدُ انموذجاً لمعالجة واقع المسلمين من خلال الوقائع المشابهة في عصر التنزيل. وفي الختام أرجو من الله تعالى أن يتقبل هذا العمل ، ويتجاوز عما فيه من الزلل ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وابتغاءً لمرضاته ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم.

١- المصادر

- ابن الأثير ؛ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ).
 - ١-أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٦م .
 - ٢-الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٧م.
- ابن الأثير؛ ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ).
 - ٣-النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، ط١٣٨٣، ١هـ.
- الأدنه وي؛ أحمد بن محمد (من علماء القرن الحادي عشر هجري).
 - ٤-طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٩٩٧م.
- ابن اسحاق؛ محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١هـ).
 - ٥-السير والمغازي المعروف بسيرة ابن اسحاق، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٧٨م.

- الأسفراييني؛ أبو المظفر طاهر بن محمد، (ت ٤٧١هـ).
- ٦- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، المحقق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الأشبيلي؛ أبو محمد عبد الحق (ت ٥٨١هـ).
- ٧- الأحكام الشرعية الكبرى، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ٢٠٠١م.
- آل الشيخ؛ عبد الرحمن بن حسن (ت ١٢٨٥هـ).
- ٨- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق - بيروت، ط١، ١٩٨٢م.
- ابن الأعرابي؛ أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد (ت ٣٤٠هـ).
- ٩- المعجم، تحقيق وتخريج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٩٧م.
- الألوسي؛ شهاب الدين محمود البغدادي (ت ١٢٧٠هـ).
- ١٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (د.ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- الأنباري؛ أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ).
- ١١- الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط٣، ٢٠٠٤م.
- الأنباري؛ كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري (ت ٥٧٧هـ).
- ١٢- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة

- المنار، الأردن، الزرقاء - الأردن، ط ٣، ١٩٨٥ م.
- ابن إياس؛ محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠ هـ).
- ١٣- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، دار النشر فرانز شتاينر - فيسبادن، ط ١، ١٣٩٥ هـ.
- البخاري؛ محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ).
- ١٤- الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠١ م.
- ١٥- التاريخ الكبير، تحقيق: هاشم الندوي، د. ت، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، ١٣٦٠ هـ.
- البرسوي؛ إسماعيل حقي (ت ١١٣٧ هـ).
- ١٦- روح البيان في تفسير القرآن، (د.ت)، المطبعة العثمانية، ١٣٣٠ هـ.
- البزار؛ أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق العتكي (ت ٢٩٢ هـ).
- ١٧- البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق: عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ٢٠٠٥ م.
- البستاني، بطرس (ت ١٨٨٣ م).
- ١٨- محيط المحيط، ط جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧ م.
- ابن بشكوال؛ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود (ت ٥٧٨ هـ).

- ١٩ - الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.
- ٢٠ - غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة ، المحقق: عز الدين علي السيد ، محمد كمال الدين عز الدين ط ١ عالم الكتب - بيروت ١٤٠٧ .
- البجلي؛ ابو عبدالله محمد بن ابي الفتح الحنبلي(ت٧٠٩ هـ). .
- ٢١ - المطلع على أبواب المقنع، تحقيق: محمد بشير الادلبي، المكتب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.
- البغدادي؛ صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق الحنبلي (ت٧٣٩هـ).
- ٢٢ - مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- البغوي؛ محي السنة الحسين بن مسعود (ت٥١٦هـ).
- ٢٣ - معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٩٨٩م.
- البقاعي؛ برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت٨٨٥هـ).
- ٢٤ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، (القاهرة، د.ت).
- البكري؛ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت٤٨٧هـ).
- ٢٥ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، (بيروت، د.ت).

- البلاذري؛ أحمد بن يحيى (٢٧٩هـ).
 ٢٦- أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف، (مصر، د.ت).
- ابن بلبان؛ علاء الدين علي الفارسي (٧٣٩هـ).
 ٢٧- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.
- البلخي؛ أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي (١٥٠هـ).
 ٢٨- تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١.
- البيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ).
 ٢٩- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٨م.
- الترمذي؛ محمد بن عيسى بن سوره (٢٧٩هـ).
 ٣٠- الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٧٧م.
- ابن تغري بردي؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (٨٧٤هـ).
 ٣١- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، (د.ت)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ٣٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين

- شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٢م.
- التهانوي؛ محمد علي (ت بعد ١١٥٨هـ).
- ٣٣- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة:
توفيق العجم، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي،
تحقيق: علي دحروج، الترجمة الأجنبية، جورج زينات، مكتبة لبنان
ناشرون، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٦م.
- ابن تيمية؛ تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني (ت ٧٢٨هـ).
- ٣٤- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق:
ناصر عبد الكريم العقل، (د.ت)، مكتبة الرشد، الرياض.
- ٣٥- الإيمان، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني ط ٥ المكتب
الإسلامي، عمان، الأردن ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- ٣٦- جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار المدني للنشر
والتوزيع، جدة، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- ٣٧- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن
بن ناصر وعبد العزيز إبراهيم العسكر وحمدان بن محمد الحمدان، دار
العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط ٢،
١٩٩٩م.
- ٣٨- درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٩٩١م.

- ٣٩- مجموع الفتاوى، تحقيق: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية - المنصورة، ط٣، ٢٠٠٥م.
- الثعلبي؛ أبو إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري (ت٤٢٧هـ).
٤٠- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ت)، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥م.
- ٤١- الكشف والبيان، تحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.
- الجبرتي؛ عبد الرحمن بن حسن (ت١٢٤٠هـ).
٤٢- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- ابن جبیر؛ محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ).
٤٣- رحلة ابن جبیر، (د.ت)، دار صادر، بيروت.
- ابن الجزري؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت٧٣٨هـ).
٤٤- تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت - صيدا، ط١، ١٩٩٨م.
- ابن الجزري؛ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الدمشقي الشافعي (ت٨٣٣هـ).

- ٤٥ - غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
- ابن الجزري؛ أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبى (ت٧٤١هـ).
- ٤٦ - التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٥م.
- الجصاص؛ أحمد بن علي الرازي (ت٣٧٠هـ).
- ٤٧ - أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
- ابن الجوزي؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البغدادي (ت٥٩٧هـ).
- ٤٨ - زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.
- ٤٩ - صفة الصفوة، تحقيق: طارق محمد عبد المنعم، د. ت، دار ابن خلدون، الإسكندرية.
- ٥٠ - غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطي أمين قلجى، دار الكتب العلمية (د.ت)، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م.
- ٥١ - مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط٢.
- ٥٢ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٢م.

- الجوهري؛ إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ).
- ٥٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٩٠م.
- ابن أبي حاتم؛ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ).
- ٥٤- تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض، ط ١، ١٩٩٧م.
- ٥٥- الجرح والتعديل، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن - الهند، ط ١، ١٩٥٣م.
- الحاكم؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ).
- ٥٦- المستدرک على الصحيحين، تحقيق وتعليق: مقبل الوداعي، دار الحرمين للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م.
- ٥٧- معرفة علوم الحديث، تحقيق: أحمد بن فارس سلوم، دار ابن خزم، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٣م.
- ابن حبان؛ محمد بن حاتم البستي (ت ٣٥٤هـ).
- ٥٨- تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار، تحقيق: بوران الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٨م.
- ٥٩- الثقات، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد - الدكن، ط ١، ١٩٧٣م.
- ابن حبيب؛ أبو جعفر محمد الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ).

- ٦٠- المحبر، تحقيق: إييزة ليختن شتيتير، دار الأفاق الجديدة، (بيروت، د.ت).
- ابن حجر؛ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).
- ٦١- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ٦/٢٢٨.
- ٦٢- إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: حسن حبشي، (د.ت)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر- القاهرة، ١٩٦٩م.
- ٦٣- تهذيب التهذيب، تحقيق: إبراهيم الزبيق وعادل مرشد، (د.ت)، مؤسسة الرسالة.
- ٦٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.
- ٦٥- العجائب في بيان الأسباب، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٩٧م.
- ٦٦- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (د.ت)، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٦٧- لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢م.
- ٦٨- المجروحين، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصمعي

- للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط١، ٢٠٠٠م.
- ٦٩- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر،
تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، سلسلة دراسات في المنهج
الرياض، ط١، ٢٠٠١م.
- ٧٠- هدي الساري مقدمة الفتح الباري، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد
الفاريابي، دار طيبة، الرياض، ط١، ٢٠٠٥م.
- ابن حديدة؛ محمد بن علي بن أحمد الأنصاري (ت٧٨٣هـ).
٧١- المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك
الأرض من عربي وعجمي، تحقيق: محمد عظيم الدين، عالم الكتب،
بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.
- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت٤٥٦هـ).
٧٢- جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار
المعارف، مصر، ط٥، ١٩٨٢م.
- ٧٣- الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر
وعبد الرحمن عميرة، (د.ت)، دار الجيل، بيروت.
- الحسيني؛ أبو المحاسن محمد بن علي العلوي (ت٧٦٥هـ).
٧٤- التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة، تحقيق: رفعت فوزي عبد
المطلب، (د.ت)، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الحلبي؛ بدر الدين الحسن بن عمر (ت٧٧٩هـ).
٧٥- المقتفى من سيرة المصطفى ﷺ، تحقيق:

- مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة - مصر، ط ١،
١٩٩٦ م.
- أبو حمزة الثمالي؛ ثابت بن دينار (ت ١٤٨ هـ).
- ٧٦- تفسير القرآن الكريم، تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين،
مطبعة الهادي، إيران، ط ١، ١٤٢٠ هـ
- الحميدي بن أبي نصر؛ أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت ٤٨٨ هـ) .
- ٧٧- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: زبيدة محمد
سعيد عبد العزيز، ط ١، مكتبة السنة - القاهرة ١٤١٥ - ١٩٩٥ .
- الحميري؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠ هـ).
- ٧٨- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس،
مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠ م.
- الحميري؛ نشوان بن سعيد اليميني (ت ٥٧٣ هـ).
- ٧٩- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن
عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ط ١،
١٩٩٩ م.
- ابن حنبل؛ أحمد بن محمد الشيباني (ت ٢٤١ هـ).
- ٨٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون،
مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.

- أبو حيان الأندلسي؛ محمد بن يوسف (ت ٧٣٢هـ).
- ٨١- البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
- الخرکوشي؛ أبو سعد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٤٠٧هـ).
- ٨٢- شرف المصطفى، ط١ دار البشائر الإسلامية - مكة ١٤٢٤هـ.
- .
- الخطيب البغدادي؛ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ).
- ٨٣- الأسماء المبهمة في الأنباء المحکمة، تحقيق: عز الدين علي السيد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.
- ٨٤- تأريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- ابن خلدون؛ عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ).
- ٨٥- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، (د.ت)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.
- ابن خلكان؛ شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ).
- ٨٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (د.ت)، دار صادر، بيروت.
- ابن خياط؛ خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ).
- ٨٧- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٩٨٥م.

- الدارمي؛ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (ت ٢٥٥هـ).
- ٨٨- سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- أبو داود؛ سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ).
- ٨٩- السنن، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.
- الداودي؛ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ).
- ٩٠- طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٣م.
- ابن دقيق العيد؛ تقي الدين محمد بن علي (ت ٧٠٢هـ).
- ٩١- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٤م.
- الدمياطي؛ أحمد بن أيوب بن عبد الله (ت ٧٤٩هـ).
- ٩٢- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: قيسر أبو فرح، (د.ت)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ابن أبي الدنيا؛ أبو بكر عبد الله بن محمد (ت ٢٨١هـ).
- ٩٣- الأهوال، تحقيق: رضا الله محمد إدريس المباركفوري، الدار السلفية، بومبائي - الهند، ط ١، ١٩٩٣م.
- ٩٤- حسن الظن بالله، تحقيق: عبد الحميد شانوحه، مؤسسة الكتب

الثقافية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٣ م.

- الديار بكري؛ حسين بن محمد بن حسن.

٩٥- تاريخ الخميس وأحوال أنفوس النفيس، (د.ت)، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت.

- الذهبي؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ).

٩٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط ١، ١٩٩٤ م.

٩٧- تذكرة الحفاظ، (د.ت)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٩٨- تجريد أسماء الصحابة، (د.ت)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

٩٩- تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: غنيم عباس غنيم وأيمن سلامة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤ م.

١٠٠- تراجم الأئمة الكبار أصحاب السنن والآثار، تحقيق: فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٩٣ م.

١٠١- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١١، ١٩٩٦ م.

١٠٢- طبقات القراء، تحقيق: أحمد خان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط ١، ١٩٩٧ م.

١٠٣- العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٥ م.

- ١٠٤- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيهما،
تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١،
١٩٩٥م.
- ١٠٥- المختصر المحتاج إليه من تأريخ ابن الديبشي (ت٦٣٧هـ)،
تحقيق: مصطفى جواد، (د.ت)، مطبعة الزمان، بغداد.
- الراغب الأصفهاني؛ أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ).
- ١٠٦- المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار
المعرفة، بيروت - لبنان.
- ابن رجب؛ عبد الرحمن بن أحمد (ت٧٩٥هـ).
- ١٠٧- جامع العلوم والحكم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس،
مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٩٩٩م.
- ١٠٨- الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان
العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٥م.
- الرّوياني؛ أبو بكر محمد بن هارون (ت٣٠٧هـ).
- ١٠٩- مسند الرّوياني، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة
للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
- الرّبيدي؛ محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ).
- ١١٠- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد
فراج، مطبعة الكويت، ١٩٦٥م.
- الزبير، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (ت٢٣٦هـ).

- ١١١- نسب قریش، تحقیق: لیفی بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٢م.
- الزركشي؛ بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ).
- ١١٢- الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة- رضي الله عنها- على الصحابة، تحقيق وتخريج: رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
- ١١٣- البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ت)، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ).
- ١١٤- آثار البلاد وأخبار العباد، (د.ت)، دار صادر، بيروت.
- الزمخشري؛ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ).
- ١١٥- أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
- ١١٦- الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢.
- ١١٧- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.
- ابن زيد الحنبلي؛ أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الدمشقي (ت ٨٧٠هـ).
- ١١٨- محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي، تحقيق

وتعليق: شكيب أرسلان، (د. ت)، مطبعة عيسى البابي الحلبي،
مصر.

- سبط ابن العجمي الحلبي؛ أحمد بن إبراهيم بن محمد (ت ٨٨٤هـ).
- ١١٩- كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق: شوقي شعث وفالح البكور، دار القلم العربي، حلب، ط١، ١٩٩٦م.
- السبكي؛ تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ).
- ١٢٠- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلوة، (د.ت)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- السخاوي؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ).
- ١٢١- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
- ١٢٢- فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث، تحقيق: عبد الكريم بن عبد الله الخضير ومحمد بن عبد الله آل فهيد، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط١، ١٤٢٦ هـ.
- السدي الكبير؛ إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٨هـ).
- ١٢٣- تفسير السدي الكبير، جمع وتوثيق ودراسة: محمد عطا يوسف، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة - مصر، ط١، ١٩٩٣م.
- السرقسطي؛ أبو محمد القاسم بن ثابت (ت ٣٠٢هـ).
- ١٢٤- الدلائل في غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠١م.

- ابن سعد؛ محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ).
 ١٢٥ - كتاب الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي،
 القاهرة، ط ١، ٢٠٠١م.
- ابن سعيد الأندلسي؛ ابو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ).
 ١٢٦ - نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق: نصرت عبد
 الرحمن، (د.ت)، مكتبة الأقصى، عمان - الأردن.
- السفاريني؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (ت ١١٨٨هـ).
 ١٢٧ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضوية
 في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين ومكبتها، دمشق، ط ٢،
 ١٩٨٢م.
- ابن سلام؛ أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ).
 ١٢٨ - فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، تحقيق: أحمد بن عبد الواحد
 الخياطي، (د.ت)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،
 ١٩٩٥م.
- السمرقندي؛ أبو الليث نصر بن محمد (ت ٣٧٥هـ).
 ١٢٩ - بحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض وعادل عبد الموجود
 وزكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١،
 ١٩٩٣م.
- السمعاني؛ أبو سعيد عبد الكريم بن محمد التميمي (ت ٥٦٢هـ).
 ١٣٠ - الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت

- لبنان، ط ١، ١٩٨٨م.
- السمعاني؛ أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ).
- ١٣١- تفسير القرآن ، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، ط ١ دار الوطن، الرياض - السعودية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
- السمهودي؛ علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي نور الدين أبو الحسن (ت : ٩١١هـ).
- ١٣٢- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ، ١٤١٩هـ.
- السمين الحلبي؛ أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦هـ).
- ١٣٣- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، (د.ت)، دار القلم، دمشق.
- السهيلي؛ أبو القاسم عبد الرحمن (ت ٥٨١هـ).
- ١٣٤- الرّوض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، مصر، ط ١، ١٩٦٧م.
- ابن سيد الناس؛ أبو الفتح محمد بن محمد اليعمري (ت ٧٣٤هـ).
- ١٣٥- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: د. محمد العيد الخطراوي ومحبي الدين مستو، (د.ت)، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة.
- السيوطي؛ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر

(ت ٩١١هـ).

- ١٣٦- الاتقان في علوم القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية (د.ت).
- ١٣٧- الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨١م.
- ١٣٨- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٢، ١٩٧٩م.
- ١٣٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.
- ١٤٠- لباب النقول في أسباب النزول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- الشاطبي؛ أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي (ت ٧٩٠هـ).
- ١٤١- الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيسى الهاللي، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٩٢م.
- ١٤٢- الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الخبر، ط١، ١٩٩٧م.
- ابن شبه، أبو زيد عمر بن شبه النمري البصري (ت ٢٦٢هـ).
- ١٤٣- أخبار المدينة النبوية، (د.ت)، دار العليان، المملكة العربية

السعودية.

- الشرييني؛ شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب (ت ٩٧٧هـ) .
١٤٤ - السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا
الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية)، مصر، ١٨٨١م.
- الشريف الجرجاني؛ علي بن محمد بن علي الزين (ت ٨١٦هـ).
١٤٥ - التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ط جديدة، ١٩٨٥م.
- الشوكاني؛ محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ).
١٤٦ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق: محمد حسن
حلاق، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط ١، ٢٠٠٦م.
- ١٤٧ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،
تحقيق: عبد الرحمن عميرة، (د.ت)، لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار
الوفاء.
- ابن أبي شيبة؛ أبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت ٢٣٥هـ).
١٤٨ - مسند ابن أبي شيبة، تحقيق: عادل بن يوسف الغزاوي وأحمد
فريد المزيدي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١، ١٩٩٧م.
- ١٤٩ - المصنف، تحقيق: أسامة بن إبراهيم بن محمد، الفاروق الحديثة
للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م.
- أبو الشيخ؛ عبد الله بن محمد بن جعفر الأصفهاني (ت ٣٦٩هـ).
١٥٠ - أخلاق النبي صلى اله عليه وسلم وآدابه، تحقيق: عصام الدين
سيد الصبابطي، الدار المصرية اللبنانية، ط ٢، ١٩٩٣م.
- ١٥١ - العظمة ، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط ١

- دار العاصمة - الرياض ١٤٠٨ .
- الشيرازي؛ أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت ٤٧٦هـ).
- ١٥٢ - طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، (د.ت)، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ١٩٧٠م.
- الصالحي الشامي؛ محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ).
- ١٥٣ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، (د.ت)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٧م.
- الصفدي؛ صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ).
- ١٥٤ - أعيان العصر وأعيان النصر، تحقيق: علي أو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٨م.
- ١٥٥ - الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م.
- ابن الصلاح؛ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ).
- ١٥٦ - مقدمة علوم الحديث، تحقيق: نور الدين عتر، د. ت، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م.
- الصنعاني؛ عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ).
- ١٥٧ - المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣م.
- الضبي؛ أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ).
- ١٥٨ - بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي،

القاهرة، ١٩٦٧م.

- الضبي؛ المفضل بن محمد (ت نحو ١٦٨هـ).

١٥٩- أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت

- لبنان، ط٢، ١٩٨٣م.

- طاش كبري زاده؛ أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ).

١٦٠- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار

الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٥م.

- الطبراني؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ).

١٦١- الأحاديث الطوال، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، المكتب

الإسلامي، بيروت - دمشق، ط٢، ١٩٩٨م.

١٦٢- المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار

الحرمين للطباعة والنشر والإعلان، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.

١٦٣- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن

تيمية، القاهرة، ط٢.

- الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).

١٦٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد

المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة،

ط١، ٢٠٠١م.

١٦٥- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار

المعارف بمصر، ط٢.

- ابن عادل؛ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي

(ت ٨٨٠هـ).

- ١٦٦- اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود
وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- ابن عبد البر؛ أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (٤٦٣هـ).
١٦٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عادل مرشد، دار
الأعلام، الأردن، ط١، ٢٠٠٢م.
- ابن عبد الهادي؛ أبي عبد الله محمد بن أحمد الصالحي (ت ٧٤٤هـ).
١٦٨- طبقات علماء الحديث، مؤسسة الرسالة، تحقيق: أكرم البورشي
وإبراهيم الزبيق، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.
- ابن العبري؛ أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون الملطي (ت ٦٨٥هـ).
١٦٩- تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار
الرائد اللبناني، الحازمية - لبنان، ط٢، ١٩٩٤م.
- أبو عبيد؛ القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).
١٧٠- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، تحقيق: أحمد عبد الواحد
الخياطي، د. ت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية ،
١٩٩٥م.
- العجلي؛ أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي (ت ٢٦١هـ).
١٧١- معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر
مذاهبهم وأخبارهم، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي،

- (د.ت)، مكتبة الدار، المدينة المنورة - السعودية، ١٩٨٥م.
- ابن عدي؛ أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ).
- ١٧٢- الكامل في ضعفاء الرجال، (د.ت)، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت.
- ابن العديم؛ كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي (ت ٦٦٠هـ).
- ١٧٣- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، (د.ت)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٩٨٨م.
- العراقي؛ زين الدين ابو الفضل عبد الرحيم بن حسين (ت ٨٠٦هـ).
- ١٧٤- طرح التثريب في شرح التقریب، (د.ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- العراقي؛ محمد بن أسعد (ت ٥٦٧هـ).
- ١٧٥- أسباب النزول والقصص الفرقانية، تحقيق: عصام أحمد أحمد غانم، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ٢٠٠٧م.
- ابن عساكر؛ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ).
- ١٧٦- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٧م.
- العصامي؛ عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت ١١١١هـ).
- ١٧٧- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل

- أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
- ابن عطية؛ أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ).
- ١٧٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط ١ دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٢ هـ.
- ابن العماد الحنبلي؛ شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد العكري (ت ١٠٨٩هـ).
- ١٧٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط ١، ١٩٨٦م.
- العيني؛ بدر الدين محمود بن أحمد الحنفي (ت ٨٥٥هـ).
- ١٨٠- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠١م.
- ابن فارس؛ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ).
- ١٨١- مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٨٦م.
- الفخر الرازي؛ محمد بن عمر الشهير بخطيب الري (ت ٦٠٤هـ).
- ١٨٢- مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٨١م.
- ابن فرحون؛ إبراهيم بن نور الدين المالكي (ت ٧٩٩هـ).
- ١٨٣- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون

- بن محيي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،
ط ١٩٩٦م، ١م.
- بن فورك؛ أبو بكر محمد بن الحسن الأنصاري الأصبهاني، (ت ٤٠٦هـ).
١٨٤- مشكل الحديث وبيانه، تحقيق: موسى محمد علي، ط ٢، عالم الكتب -
بيروت، ١٩٨٥م.
- الفيروزآبادي؛ مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ).
١٨٥- القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة
الرسالة، بيروت، ط ٨، ٢٠٠٥م.
- الفيومي؛ أحمد بن محمد بن علي (ت ٧٧٠هـ).
١٨٦- المصباح المنير، د. ت، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.
- ابن قتيبة؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ).
١٨٧- عيون الأخبار، (د.ت)، مطبعة دار الكتب المصرية،
القاهرة، ١٩٩٦م.
- ١٨٨- أدب الكاتب، تحقيق: محمد الدالي، (د.ت)، مؤسسة الرسالة،
بيروت.
- ابن قدامة؛ موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي الحنبلي (ت ٦٢٠هـ).
١٨٩- الكافي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ط ١، ١٩٩٧م.
- القرطبي؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر

(ت ٦٧١هـ).

١٩٠- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

١٩١- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، المحقق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، ط١.

- القزويني؛ زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ).

١٩٢- آثار البلاد وأخبار العباد، (د.ت)، دار صادر، بيروت.

- القسطلاني؛ شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ٩٢٣هـ).

١٩٣- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق - مصر، ط٧، ١٣٢٢هـ.

- القلقشندي؛ أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ).

١٩٤- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (د.ت)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م.

- القنوجي، صديق بن حسن (ت ١٣٠٧).

١٩٥- أبجد العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، د. ت، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨م.

- ابن القيم؛ شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي (ت ٧٥٠هـ)،

١٩٦- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٧هـ.

- ١٩٧ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٦م.
- ١٩٨ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١.
- ١٩٩ - زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٨م.
- الكتبي؛ محمد بن شاکر (ت ٧٦٤ هـ).
- ٢٠٠ - فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، (د. ت)، دار صادر، بيروت.
- ابن كثير؛ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤ هـ).
- ٢٠١ - البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
- ٢٠٢ - تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط٢، ١٩٩٩م.
- ٢٠٣ - السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط١، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
- ٢٠٤ - طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي، بنغازي - ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م.
- ٢٠٥ - فضائل القرآن، تحقيق: أبو اسحاق الحويني، ط١، مكتبة ابن

- تيمية، القاهرة، ١٤١٦ هـ .
- ابن الكلبي؛ أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤ هـ).
 ٢٠٦- الأضنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية
 بالقاهرة، ط٢، ١٣٤٣ هـ-١٩٢٤ م.
- ٢٠٧- نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، مكتبة النهضة
 العربية، ط١، ١٩٨٨ م.
- لسان الدين بن الخطيب؛ محمد بن عبد الله بن سعيد الأندلسي (ت ٧٧٦ هـ).
 ٢٠٨- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة
 الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٧٥ م.
- ابن ماجه؛ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني.
 ٢٠٩- سنن ابن ماجه، (د. ت). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة
 دار إحياء الكتب العربية.
- ابن ماكولا؛ سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر (ت ٤٧٥ هـ).
 ٢١٠- الإكمال في رفع الارتياح عن المؤلف والمختلف في الأسماء
 والكنى والأنساب، تحقيق: نايف العباسي، دار الكتاب الإسلامي،
 القاهرة، ط٢، ١٩٩٣ م.
- مالك؛ مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ).
 ٢١١- الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ت)، دار إحياء التراث

- العربي، بيروت - لبنان، ١٩٨٥ م.
- الماوردي؛ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت ٤٥٠هـ).
- ٢١٢- أعلام النبوة، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط١، ١٤٠٩ هـ.
- ٢١٣- النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١.
- مجاهد؛ أبو الحجاج بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ).
- ٢١٤- تفسير مجاهد، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط١ دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- المرادي؛ محمد خليل بن علي (ت ١٢٠٦هـ).
- ٢١٥- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، (د. ت)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- المرزباني؛ محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ).
- ٢١٦- معجم الشعراء، تصحيح وتعليق: ف. كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٢ م.
- المروزي؛ أبو عبد الله محمد بن نصر (ت ٢٩٣هـ).
- ٢١٧- السنة، تحقيق: عبد الله بن محمد البصيري، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠٠١ م.
- المزي؛ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن (ت ٧٤٢هـ).

- ٢١٨- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
- المسعودي؛ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ).
- ٢١٩- التنبيه والاشراف، (د.ت)، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩٣م.
- ٢٢٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٩٧٣م.
- مسلم؛ مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ).
- ٢٢١- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩١م.
- مغلطاي؛ علاء الدين بن قليط (ت٧٦٢هـ).
- ٢٢٢- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: عادل بن محمد وأسامة بن إبراهيم، دار الفاروق للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
- ٢٢٣- الإنابة إلى معرفة المختلف فيهم من الصحابة، تحقيق: عزت المرسي وآخرون، (د.ت)، مطبعة الرشد، الرياض.
- مقاتل؛ أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت١٥٠هـ).
- ٢٢٤- تفسير مقاتل، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
- المقرئ؛ تقي الدين أحمد بن علي الحسيني (ت٨٤٥هـ).
- ٢٢٥- إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال

- والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار
الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- ٢٢٦- الأوزان والأكيال الشرعية، تحقيق: سلطان بن هليل بن عيد
المسمار، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.
- المناوي؛ محمد عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين (ت ١٠٣١هـ) .
- ٢٢٧- فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار المعرفة، بيروت -
لبنان، ط٢، ١٩٧٢م.
- ابن المنذر؛ أبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٣١٨هـ).
٢٢٨- كتاب تفسير القرآن، تحقيق: سعد بن محمد السعد، دار المآثر
للنشر والتوزيع، المدينة النبوية، ط١، ٢٠٠٢م.
- ابن منصور؛ سعيد (ت ٢٢٧هـ).
٢٢٩- سنن سعيد بن منصور، تحقيق: سعد بن عبد اله آل حُميد،
دار الصميدعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الرياض،
ط١، ١٩٩٣م.
- ابن منظور؛ محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ).
٢٣٠- لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار
المعارف، مصر.
- أبو موسى المدني؛ محمد بن عمر بن أحمد (ت ٥٨١هـ).
٢٣١- خصائص مسند الإمام أحمد، تحقيق: محمد ناصر العجمي، دار
البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.

- الميداني؛ أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ).
 ٢٣٢- مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د.ت)،
 مطبعة السنة المحمدية، مصر، ١٩٥٥م.
- النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي (ت بعد ٧٩٣هـ).
 ٢٣٣- المرقية العُليا فيمن يستحق القضاء والفتية أو تاريخ قضاة
 الأندلس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٥، ١٩٨٣م.
- النحاس؛ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨هـ).
 ٢٣٤- الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في
 ذلك، تحقيق: سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم، مؤسسة الرسالة،
 بيروت، ط ١، ١٩٩١م.
- ابن النديم؛ أبو الفرج محمد بن إسحاق المعروف بالوراق (ت ٣٨٠هـ).
 ٢٣٥- الفهرست، تحقيق: رضا - تجدد، حقوق الطبع محفوظة
 للمحقق.
- النسائي؛ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ).
 ٢٣٦- السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة
 - بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- ٢٣٧- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية
 الإمام السندي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية،
 بيروت - لبنان، ط ٤، ١٩٩٤م.
- النسفي؛ نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد (ت ٥٣٧هـ).

- ٢٣٨- طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- أبو نعيم الأصبهاني؛ أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٣٠هـ).
٢٣٩- دلائل النبوة، تحقيق: محمد رواس قلعه جي وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٢٤٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٨م.
- ٢٤١- معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١.
- ابن نقطة؛ حمد بن عبد الغني بن أبي بكر الحنبلي البغدادي (ت ٦٢٩هـ).
٢٤٢- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن-الهند، ط١، ١٩٨٣م.
- النووي؛ محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ).
٢٤٣- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- ٢٤٤- تهذيب الأسماء واللغات، (د. ت)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٢٤٥- شرح صحيح مسلم، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، ط١، ١٩٢٩م.
- النيسابوري؛ مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ).

- ٢٤٦- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩١م.
- ابن هشام؛ عبد الملك (ت٢١٨هـ).
- ٢٤٧- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (د.ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- أبو هلال العسكري؛ الحسن بن عبد الله بن سهل (ت نحو ٣٩٥هـ).
- ٢٤٨- الأوائل، تحقيق: محمد السيد الوكيل، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا، ط١، ١٩٨٧م.
- ٢٤٩- جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد عبد السلام ومحمد سعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٨م.
- هناد؛ هناد بن السري الكوفي (ت٢٤٣هـ).
- ٢٥٠- الزهد، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط١، ١٩٨٥م.
- الهيثمي؛ نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ).
- ٢٥١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الواحدي؛ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (ت٤٦٨هـ).

- ٢٥٢ - أسباب نزول القرآن - رواية بدر الدين أبي نصر محمد بن عبد الله الأريغاني (ت ٥٢٩هـ)، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، دار الميمان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط ١، ٢٠٠٥م.
- ٢٥٣ - الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
- ٢٥٤ - الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٤.
- الواقدي؛ محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ).
- ٢٥٥ - المغازي، تحقيق: مارسدن جونز، عالم الكتب، ط ٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ابن وضاح؛ محمد بن وضاح القرطبي (ت ٢٨٦هـ).
- ٢٥٦ - البدع والنهي عنها، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، ط ٣، ٢٠٠٨م.
- ابن أبي الوفاء الحنفي؛ محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد القرشي (ت ٧٧٥هـ).
- ٢٥٧ - الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلوة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٣م.
- وكيع؛ محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ).
- ٢٥٨ - أخبار القضاة، تحقيق: محمد سعد اللحام، (د. ت)، عالم الكتب.

- اليافعي؛ أبي محمد عبد الله بن أسعد المكي (ت ٧٦٨هـ).
- ٢٥٩- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
- اليعقوبي؛ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد ٢٩٢هـ).
- ٢٦٠- تاريخ اليعقوبي، (د.ت)، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٣م.
- أبو يعلى؛ أحمد بن علي بن المثنى الموصلبي (ت ٣٠٧هـ).
- ٢٦١- مسند أبي يعلى، تحقيق: ارشاد الحق الأثري، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط١، ١٩٨٨م.
- ابن أبي يعلى؛ أبو الحسين محمد بن الفراء الحنبلي (ت ٥٢٦هـ).
- ٢٦٢- طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٩٩٩م.

٣- المراجع

- أباطة؛ نزار، والمالح؛ محمد رياض.
- ٢٦٣- إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام للزركلي)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- أحمد؛ إبراهيم خليل.
- ٢٦٤- محاضرات في مقارنة الأديان، دار المنار، القاهرة، ط٢،

١٤١٢

هـ - ١٩٩٢م.

- إسماعيل؛ محمد بكر (ت ١٤٢٦هـ).
- ٢٦٥ - دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- الأشقر؛ عمر سليمان (ت ١٤٣٣هـ).
- ٢٦٦ - القيامة الصغرى، دار النفائس، الكويت، ط٣، ١٩٩١م.
- الأطير؛ حسني يوسف.
- ٢٦٧ - عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية، دار الأنصار، ط١، ١٤٠٥هـ.
- الأعظمي؛ محمد ضياء الرحمن.
- ٢٦٨ - دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشد ناشرون، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط٢، ٢٠٠٣م.
- الألباني؛ محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠هـ).
- ٢٦٩ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠٠١م.
- أنور؛ احمد فؤاد.
- ٢٧٠ - تاريخ اليهود، دار الراية، ط١، ١٩٩٩م.
- البراك؛ عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم.
- ٢٧١ - شرح العقيدة الطحاوية، ط٢، دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩ - ٢٠٠٨ م.
- أبو بكر الجزائري؛ جابر بن موسى بن عبد القادر.
- ٢٧٢ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة

- المنورة - المملكة العربية السعودية، ط ٥، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- أبو بكر؛ علاء.
- ٢٧٣- المسيحية الحقبة التي جاء بها المسيح، (د.ت)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٨هـ.
- البغدادي؛ إسماعيل باشا (ت ١٣٣٩هـ).
- ٢٧٤- هدية العارفين وآثار المصنفين، (د.ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- البلادي؛ عاتق بن غيث (ت ١٤٣١هـ).
- ٢٧٥- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط ١، ١٩٨٢م.
- التنير؛ محمد طاهر البيروتي (ت ١٣٥٢هـ).
- ٢٧٦- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، (د.ت)، دار الصحوة للنشر، القاهرة.
- الجبوري؛ كامل سلمان.
- ٢٧٧- معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ٢٠٠٣م.
- جنيبير؛ شارل.
- ٢٧٨- المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبد الحليم محمود، (د.ت)، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- الجهيني؛ مانع بن حماد.

- ٢٧٩- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة،
دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط٤، ١٤٢٠هـ.
- الحاج؛ محمد أحمد.
- ٢٨٠- النصرانية من التوحيد إلى التثليث، دار القلم، دمشق، ط١،
١٩٩٢م.
- حاجي خليفة؛ مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ).
- ٢٨١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، د. ت، دار إحياء
التراث العربي، بيروت - لبنان.
- الحجازي؛ محمد محمود،
- ٢٨٢- التفسير الواضح، دار الجيل الجديد، بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ.
- أبو الحسن الندوي؛ علي بن عبد الحي (ت١٤٢٠هـ).
- ٢٨٣- السيرة النبوية، (د.ت)، الطبعة العصرية للطباعة والنشر،
صيدا-لبنان.
- الحكمي؛ حافظ بن أحمد (ت١٣٧٧هـ).
- ٢٨٤- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق:
عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، المملكة
العربية السعودية - الدمام، ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- حلاق؛ محمد صبحي بن حسن.
- ٢٨٥- الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان، ط١، مكتبة
الجيل الجديد، الجمهورية اليمنية، (صنعاء، ٢٠٠٧م).

- حلوة؛ حماد عبد الخالق.
- ٢٨٦ - أسباب نزول القرآن، د. ت، مكتبة الطليعة، أسيوط - مصر، ١٩٨٠م.
- الحمد؛ محمد بن إبراهيم بن أحمد.
- ٢٨٧ - مصطلحات في كتب العقائد، دار ابن خزيمة، ط ١.
- الحميدان؛ عصام بن عبد المحسن.
- ٢٨٨ - الصحيح من أسباب النزول، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط ١٩٩٩م.
- حميد الله؛ محمد (ت ١٤٢٤هـ).
- ٢٨٩ - مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ط ٦، ١٤٠٧هـ.
- الخضري؛ أمل عاطف محمد،
- ٢٩٠ - التصير في فلسطين في العصر الحديث، بحث أكاديمي مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية - غزة، ٢٠٠٤م.
- الخضري؛ محمد (ت ١٣٤٥هـ).
- ٢٩١ - إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، (د. ت)، المكتبة الثقافية، بيروت - لبنان، ١٩٨٢م.
- الخطيب؛ عبد الكريم (ت ١٤٠٦هـ).
- ٢٩٢ - المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، دار الكتب الحديثة، ط ١، ١٩٦٥م.

- الخطيب؛ محمد عجاج،
٢٩٣- السنة قبل التدوين، مكتبة وهبة، مصر، ط٢، ١٩٨٨م.
- الخلف؛ سعود بن عبد العزيز.
٢٩٤- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة أضواء السلف،
الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- خليفة؛ محمد محمد.
٢٩٥- مع نزول القرآن، (د. ت)، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٧١م.
- الخولي؛ محمد علي ،
٢٩٦- حقيقة عيسى المسيح، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، ط١،
١٩٩٠م.
- دروزة؛ محمد عزة (ت ١٤٠٤ هـ).
٢٩٧- القرآن المجيد تنزيهه وأسلوبه، منشورات المكتبة العصرية،
صيدا - بيروت (د. ت).
- الرحيلي؛ حمود بن أحمد بن فرج.
٢٩٨- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، عمادة
البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية
السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- الرشيد؛ عماد الدين محمد.
٢٩٩- أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص ، (د. ت)، دار
الشهاب، دمشق، ١٩٩٩م.
- الرومي؛ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان.

- ٣٠٠ - دراسات في علوم القرآن، ط٢، ١٢٤، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- الزحيلي؛ وهبة بن مصطفى.
- ٣٠١ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ.
- الزرقاني؛ محمد عبد العظيم (ت١٣٦٧ هـ).
- ٣٠٢ - مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت ١٩٩٥ م.
- الزركلي؛ خير الدين (ت١٣٩٦ هـ).
- ٣٠٣ - الأعلام قاموس التراجم، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط١١، ٢٠٠٢ م.
- أبو زهرة؛ محمد (ت١٣٩٤ هـ).
- ٣٠٤ - محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦ م.
- أبو زهو؛ محمد محمد (١٤٠٣ هـ).
- ٣٠٥ - الحديث والمحدثون، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط٢، ١٩٨٤ م.
- زيدان؛ عبد الكريم.
- ٣٠٦ - أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢ هـ.
- أبو زيد؛ بكر (ت١٤٢٩ هـ).

- ٣٠٧ - طبقات النسابين، دار الرشد، الرياض، ط١، ١٩٨٧م.
- السباعي؛ مصطفى (ت١٣٨٤هـ).
- ٣٠٨ - السيرة النبوية دروس وعبر، (د.ت)، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق، ١٣٩٢هـ.
- سركييس؛ يوسف اليان سركييس (ت١٣٥١هـ).
- ٣٠٩ - معجم المطبوعات العربية والمعربة، د. ت، مطبعة بهمن، قم، ١٤١٠هـ.
- السعدي؛ عبد الرحمن بن ناصر (ت١٣٧٦هـ).
- ٣١٠ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المعروف بتفسير السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- سعفان؛ كامل.
- ٣١١ - مسيحية بلا مسيح، (د.ت)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- السقا؛ أحمد علي.
- ٣١٢ - البداية والنهاية لأمة بني إسرائيل، دار الكتاب بالعربي، سوريا، ط١، ٢٠٠٤م.
- السلمي؛ عياض بن نامي بن عوض.
- ٣١٣ - أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- شاكر؛ أحمد محمد (ت١٩٥٨م).
- ٣١٤ - الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير،

- (د.ت)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- شُرَّاب؛ محمد بن محمد حسن.
- ٣١٥- المعالم الأثرية في السنة والسيرة، دار القلم، دمشق، ط١،
١٤١١هـ.
- الشريف؛ أحمد إبراهيم .
- ٣١٦- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ ، ط١ دار الفكر
العربي .
- شلبي؛ أحمد (ت٢٠٠٠م).
- ٣١٧- مقارنة الأديان- المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،
ط١٠، ١٩٩٨م.
- شلبي؛ رؤوف.
- ٣١٨- يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، مكتبة الأزهر، مصر،
ط١، ١٩٧٤م.
- أبو شهبة؛ محمد بن محمد (ت١٤٠٣هـ)،
- ٣١٩- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق، ط٢،
١٩٩٢م.
- الشيخ؛ محمد محمد مرسي.
- ٣٢٠- تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (د.ت)، دار المعرفة الجامعية،
الاسكندرية، ١٩٩٤م.
- الصالح؛ صبحي (ت١٤٠٧هـ).

- ٣٢١- مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ٢٠٠٠م.
- صبح؛ عبد المجيد حامد.
- ٣٢٢- الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، دار المنارة للنشر والتوزيع والترجمة، المنصورة - مصر، ط٢، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- صقر؛ نبيل أحمد،
- ٣٢٣- منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، الدار المصرية، القاهرة، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- الصلابي؛ علي محمد.
- ٣٢٤- أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٣٢٥- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٧، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- صوفي؛ عبد القادر بن محمد عطا.
- ٣٢٦- أثر الملل والنحل القديمة في بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط٦، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ضميرية؛ عثمان جمعة.
- ٣٢٧- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط٤، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ٢٠٠٣ م.
- طنطاوي؛ محمد سيد.

- ٣٢٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة ط١ ، ١٩٩٧م.
- الطهطاوي؛ محمد عزت.
- ٣٢٩- النصرانية في الميزان، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.
- الطيار؛ مساعد بن سليمان بن ناصر.
- ٣٣٠- أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ.
- عاشور؛ سعيد عبد الفتّاح (ت٢٠٠٩م)،
- ٣٣١- الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.
- ابن عاشور؛ محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت١٣٩٣هـ).
- ٣٣٢- التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- عبد الوهاب؛ أحمد.
- ٣٣٣- طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، مكتبة وهبة، مصر، ط١، ١٩٨٠م.
- العنمي؛ أبو عبد الله عثمان السالمي.
- ٣٣٤- غاية المأمول في التعليقات على الصحيح المسند من أسباب النزول، (د.ت)، مكتبة صنعاء الأثرية، صنعاء.
- العزاوي؛ رحيم يونس كرو،
- ٣٣٥- مقدمة في منهج البحث العلمي، دار دجلة، المملكة الأردنية الهاشمية - عمان، ط١، ٢٠٠٨.
- العسيري؛ احمد معمور.

- ٣٣٦- موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر،
الناشر: غير معروف، ط١، ١٤١٧هـ.
- عصفور؛ محمد أبو المحاسن.
٣٣٧- معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية
للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٨٧م.
- العك؛ خالد عبد الرحمن (ت ١٤٢٠هـ).
٣٣٨- تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، دار المعرفة للطباعة
والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م.
- العلاونة؛ أحمد.
٣٣٩- ذيل الأعلام، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة - السعودية،
ط١، ١٩٩٨م.
- عليوي؛ عليوي خليفة.
٣٤٠- جامع النقول في أسباب النزول وشرح آياتها، مطابع الإشعاع،
الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ.
- العلي؛ إبراهيم محمد (ت ١٤٢٥هـ).
٣٤١- صحيح أسباب النزول، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق -
سوريا، ط١، ٢٠٠٣م.
- علي؛ جواد (ت ١٤٠٧هـ).
٣٤٢- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ساعدت جامعة بغداد
على نشره، منشورات الشريف الرضي، ط١، ١٣٨٠هـ.
- عمر، أحمد مختار (ت ١٤٢٤هـ).

- ٣٤٣- معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط١،
١٤٢٩هـ.
- العمري؛ أكرم ضياء .
٣٤٤- بحوث في تاريخ السنة المشرفة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة
المنورة، ط٥.
- ٣٤٥- السيرة النبوية الصحيحة، (د.ت)، مركز بحوث السنة والسيرة -
جامعة قطر، ١٩٩١م
- العواجي؛ محمد بن محمد.
٣٤٦- مرويات الإمام الزهري في المغازي، الجامعة الإسلامية، المدينة
المنورة، ط١، ٢٠٠٤م.
- عوض؛ محمد مؤنس .
٣٤٧- الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب
الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،
ط١، ١٩٩٥م.
- غازي؛ محمد جميل وأحمد؛ خليل إبراهيم وعبد الوهاب؛ أحمد .
٣٤٨- مناظرة بين الإسلام والنصرانية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث
العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية،
ط٢، ١٩٩٢م.
- الفوزان ؛ صالح بن فوزان بن عبد الله .

- ٣٤٩- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ،
ط٤ دار ابن الجوزي ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- القاسمي؛ ظافر .
- ٣٥٠- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، دار النفائس -
لبنان، ط٢.
- القاسمي؛ محمد جمال الدين (ت١٣٣٢هـ).
- ٣٥١- محاسن التأويل، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى
البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط١، ١٩٥٧م.
- ٣٥٢- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق: محمد بهجة
البيطار، عيسى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٦١م.
- القاضي؛ عبد الفتاح عبد الغني (ت١٤٠٣هـ).
- ٣٥٣- أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين، تخريج وشرح: أحمد
عبد الرزاق البكري، دار السلام، مصر، ط١، ٢٠٠٣م.
- القطان؛ مناع (ت١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- ٣٥٤- مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، مصر، ط١١، ٢٠٠٠م.
- قطب؛ سيد (ت١٣٨٦هـ).
- ٣٥٥- في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط٣٢، ٢٠٠٣م.
- الكاندهلوي؛ محمد يوسف بن محمد إلياس بن محمد إسماعيل (ت١٣٨٤هـ) .
- ٣٥٦- حياة الصحابة ، تحقيق: بشار عواد معروف ، ط١ مؤسسة
الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ١٤٢٠ هـ .

- كحالة؛ عمر رضا (ت ١٤٠٨هـ).
- ٣٥٧- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، (د. ت)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٣٥٨- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٩٩٧م.
- ٣٥٩- معجم المؤلفين، (د. ت)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الكيرانوي؛ محمد رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني الهندي الحنفي (ت ١٣٠٨هـ).
- ٣٦٠- مختصر إظهار الحق، تحقيق واختصار: محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٥هـ.
- المباركفوري؛ صفي الرحمن (ت ١٤٢٧هـ).
- ٣٦١- الرحيق المختوم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- المجذوب؛ محمد.
- ٣٦٢- علماء ومفكرون عرفتهم، (د. ت)، دار الشواف، القاهرة، ١٩٩٢م.
- محمد جميل غازي وإبراهيم خليل أحمد وأحمد عبد الوهاب،
- ٣٦٣- مناظرة بين الإسلام والنصرانية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٩٩٢م.
- محمد؛ علي جمعة.

- ٣٦٤ - حقيقة عيسى المسيح، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، ط١،
١٩٩٠م.
- ٣٦٥ - المكايل والموازن الشرعية، القدس للنشر والإعلان، القاهرة،
ط١، ٢٠٠١م.
- محيسن؛ محمد محمد محمد سالم.
- ٣٦٦ - فتح الرحمن في أسباب نزول القرآن، دار الأفاق العربية،
القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.
- المراغي؛ أحمد بن مصطفى (ت ١٣٧١هـ)،
٣٦٧ - تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.
- المرعشلي؛ يوسف.
- ٣٦٨ - عقد الجواهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر،
وهو نيل على كتاب نثر الجواهر والدرر في أعيان القرن الرابع عشر،
دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
- ٣٦٩ - نثر الجواهر والدرر في أعيان القرن الرابع عشر، دار المعرفة،
بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
- المزيني؛ خالد بن سليمان.
- ٣٧٠ - المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، دار ابن
الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ.
- مسعود؛ جبران.

- ٣٧١- الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧،
١٩٩٢م.
- المسيري؛ عبد الوهاب.
- ٣٧٢- من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟ ، دار الشروق، القاهرة ،
ط١، ٢٠٠٨م.
- المقدم؛ محمد أحمد إسماعيل،
- ٣٧٣- تفسير القرآن الكريم بترقيم الشاملة آليا.
- مهران؛ محمد بيومي.
- ٣٧٤- دراسات في تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية، ط٢.
- الميداني؛ عبد الرحمن حسن حبنكة (ت١٤٢٥هـ)،
- ٣٧٥- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير - الاستشراق -
الاستعمار، دار القلم، دمشق، ط٨، ٢٠٠٠م.
- الناصري؛ سيد أحمد علي.
- ٣٧٦- تاريخ الأمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، دار النهضة
العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٩١م.
- نخبة من أساتذة التفسير.
- ٣٧٧- التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف -
السعودية، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- ٣٧٨- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة،
الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٠ هـ.

- ٣٧٩- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف د. مانع بن حماد
الجهني.
- النملة؛ علي بن إبراهيم الحمد.
- ٣٨٠- التنصير - مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، مكتبة
التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية ط٢، ١٤١٩هـ .
- نويهض؛ عادل.
- ٣٨١- معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر،
مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط٣،
١٤٠٩هـ.
- الهلالي؛ سليم بن عيد، وآل نصر؛ محمد بن موسى.
- ٣٨٢- الاستيعاب في بيان الأسباب، دار ابن الجوزي، المملكة العربية
السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ.
- هنتس؛ فالتر.
- ٣٨٣- المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري،
ترجمة: كامل العسلي، (د.ت)، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠.
- الوادعي؛ مقبل بن هادي (ت ١٤٢٢هـ)،
- ٣٨٤- الصحيح المسند من أسباب النزول، مكتبة صنعاء الأثرية،
ط٢، ٢٠٠٤م.
- ول ديورانت؛ ويليام جيمس (ت ١٩٨١م).
- ٣٨٥- قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين، (د.ت)،
دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٩٨٨م.

- ياسين؛ حكمت بن بشير .
- ٣٨٦- التفسير الصحيح - موسوعة الصحيح المسبور من التفسير
بالمأثور-، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، المدينة النبوية، ط١،
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ياقوت الحموي؛ بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ).
٣٨٧- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأديب)، تحقيق:
إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
- ٣٨٨- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
- ٣٨٩- المقتضب من كتاب جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن، الدار
العربية للموسوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٧.
- يوسف؛ محمد خير رمضان.
٣٩٠- تنمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.
- ٣٩١- تكملة معجم المؤلفين، ط١، دار ابن حزم، بيروت- لبنان،
١٩٩٧م.
- ٣٩٢- معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة
وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم، د. ت، مطبوعات الملك فهد
الوطنية، الرياض، ٢٠٠٤م.

٣- المقالات والبحوث في المجلات الدورية

- الرحيلي؛ حمود بن أحمد بن فرج .
٣٩٣- العلمانية وموقف الإسلام منها، مجلة الجامعة الإسلامية،
العدد ١١٥، السنة ٣٤، ١٤٢٢هـ.

- فارع؛ محمد طاهر أنعم،
٣٩٤- تاريخ النصرانية والإثم العظيم، مجلة البيان، تصدر عن
المنتدى الإسلامي، المملكة العربية السعودية - العدد ١٩٥.
- الهاللي؛ تقي الدين (ت ١٤٠٧هـ)،
٣٩٥- التقدم والرجعية، مجلة الجامعة الإسلامية، مجلة تصدر عن
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - العدد ٥، السنة الثانية، ١٣٨٩هـ.
- الوهبي؛ عبد الله بن إبراهيم،
٣٩٦- أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم، مجلة البحوث
الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث
العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ،
العدد ٣٨.

٤- شبكة الانترنت

- ٣٩٧- شبكة الألوكة <http://www.alukah.net>
٣٩٨- منتدى شبكة القراءات القرآنية <http://qiraatt.com>
٣٩٩- موقع أحباب الكتاوية، <http://www.alkeltawia.com>
٤٠٠- موقع المكتبة الشاملة على الانترنت
<http://shamela.ws/index.php>

٤٠١ - موقع المكتبة الوقفية <http://www.waqfeya.com>

٤٠٢ - موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة

[.http://ar.wikipedia.org/wiki](http://ar.wikipedia.org/wiki)

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٣	الآية القرآنية الكريمة
٥	الإهداء
٧	المقدمة
٢١	التمهيد
٣٩	الفصل الأول: علم أسباب النزول وصيغ وطرائق معرفته، وفوائده، وجهود العلماء في تطويره
٤١	المبحث الأول: صيغ معرفة أسباب النزول وطرقها وفوائدها
٤١	صيغ أسباب النزول :
٤٧	طرق معرفة أسباب النزول
٥١	فوائد معرفة أسباب النزول
٥٧	المبحث الثاني: تدوين علم أسباب النزول
٧١	مرحلة أفراد أسباب النزول بالتأليف
٧٧	عرض كتاب الواحدي إنموذجا
٨٢	مؤلفات أسباب النزول في العصر الحديث
٩١	الفصل الثاني: اليهود من خلال مرويات أسباب النزول
١٠٢	المبحث الأول: أثر الدعوة الإسلامية على اليهود
١٢٤	المبحث الثاني: التحريف وكتمان الحق وافتراء الباطل دينا لليهود
١٣٩	المبحث الثالث: اليهود يكيّدون للمسلمين ويحرضون الأعداء لمحاربتهم

١٦٦	المبحث الرابع:اليهود يكثرون الاسئلة والجدال ويتعلمون السحر ويعملون به
١٨٩	الفصل الثالث : النصرارى من خلال مرويات أسباب النزول
١٩٥	المبحث الاول: بولس وتحريف الإنجيل والجنور الوثنية لعقيدة التثليث النصرانية
١٩٥	بولس و تحريف الإنجيل
٢٠٠	الجنور الوثنية لعقيدة التثليث النصرانية
٢٠٤	التأليه والتثليث عند النصرارى
٢١٤	الغلو و البدع في الديانة النصرانية
٢٢٨	المبحث الثاني: بشرى بحيرا الراهب وتحقق الوعد وانتصار الروم على الفرس و مناظرات نصرارى نجران والمباهلة
٢٢٨	بشرى بحيرا الراهب
٢٣٦	تحقق الوعد وانتصارالروم على الفرس
٢٣٩	مناظرات نصرارى نجران والمباهلة
٢٥١	الفصل الرابع : المنافقون من خلال مرويات أسباب النزول
٢٦٣	المبحث الاول : المنافقون اصحاب جدل وخصام و يعترضون على توزيع الصدقات ويستهنئون بالمتصدقين.

٢٧٥	المبحث الثاني : عداء المنافقين للمسلمين ودورهم في نصرة اعدائهم ودورهم في غزوة بني المصطلق
٢٩٣	المبحث الثالث : اختلاق المنافقين لحادثة الإفك والتبرئة القرآنية الخالدة
٣١١	المبحث الرابع : دورالمنافقين في غزوة تبوك واتخاذهم مسجدا للضرار بالمسلمين
٣٣١	الفصل الخامس : المشركون من خلال مرويات أسباب النزول
٣٣٩	المبحث الأول: دعوة المسلمون المشركين للدخول في الإسلام وهم يجادلون تكبرا وتعجيزا
٣٦٠	المبحث الثاني: المشركون وأثرهم السيء على الدعوة الاسلامية
٣٨٤	المبحث الثالث: جهاد المسلمين للمشركين بالنفس والمال
٤١١	قائمة المصادر والمراجع
٤٧٣	المحتويات

طبع بمطابع هيئة ادارة واستثمار اموال الوقف السني
e-mail : printprint25@yahoo.com

Science of Holly Quran Reason

Historical Study

Ph.D

Abdul Satar Jabur Ghayeb Al Hamoodi

